مدخل إلى اللغويات

الدكتور
موسى حامد موسى خليفة
أستاذ اللغويات المساعد
مركز اللغات والترجمة بجامعة جوبا
وكلية التربية للبنات بجامعة الباحة

١٤٣٠- ٢٠٠٩م

مكتبة الرشد
ناشرون

مدخل إلى اللغويات

الدكتور
موسى حامد موسى خليفة
أستاذ اللغويات المساعد
مركز اللغات والترجمة بجامعة جوبا
وكلية التربية للبنات بجامعة الباحة

مكتبة الرشد
ناشـــــــرون

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

مكتبة الرشد - ناشرون
المملكة العربية السعودية - الرياض
الإدارة : شارع الأمير محمد بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص ٠ ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس ٤٥٧٣٣٨١
المركز الرئيسي : الدائري الغربي - بين مخرجي ٢٧ و٢٨ هاتف ٤٣٢٩٣٣٢
Email: rushd@rushd.com
Website : www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

الرياض : فرع طريق عثمان بن عفان تقاطع مخرج ٧ مع مخرج ٩
الرياض : فرع الدائرى الشرقى هاتف ٤٩٧١١٩٩ فاكس ٤٩٦١٥٩٩
فرع مكة المكرمة : شارع الطائف هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
فرع المدينة المنورة : شارع أبي ذر الغفارى هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
فرع جدة : مقابل ميدان الطائرة هاتف ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
فرع القصيم : بريدة - طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
فرع ابها : شارع الملك فيصل هاتف ٣٢١٧٣٠٧ فاكس ٢٢٤٢٤٠٢
فرع الدمام : شارع الخزان هاتف ٨١٥٠٥٥٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣
فرع حائل : هاتف ٥٣٢٢٢٤٦ فاكس ٥٦٦٢٢٤٦
فرع الإحساء : هاتف ٥٨١٣٠٢٨ فاكس ٥٨١٣١١٥
فرع : تبوك هاتف ٤٢٤١٦٤٠ فاكس ٤٢٣٨٩٢٧

مكاتبنا بالخارج

القاهرة ك مدينة نصر : هاتف ٢٧٤٤٦٠٥- موبايل ٠١٠١٦٢٢٥٣
بيروت : بئر حسن هاتف ٨٥٨٥٠١/٠١ موبايل ٠٣٥٥٤٣٥٣ فاكس ٨٥٨٥٠٢/٠١

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أبي.

إلى روح أستاذي بروفيسور عون الشريف قاسم.

إلى أمي الحبيبة
وأخواني
وأخواتي.

إلى زوجتي الشيماءُ.
وابنتي مريم
وابني مصطفى
وابنتي مَلَكَ

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على اشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، جاء كتابنا (اللغويات العامة)، لخدمة طالبي وطالبات العلم. ولقد راعينا في هذا الكتاب قدر الإمكان،أن يشمل أهم عناصر الدراسات اللغوية، التي اختلف العربُ في المشرق، والمغرب قديماً، وحديثاً في الإشارة إليها بمصطلح موّحد. فهذا العلم يُسمى في مصر (فقه اللغة) وفي المغرب يُطلق عليه (اللسانيات)، وفي السودان يُسمى(اللغويات)، وفي الشام يُطلق عليه (الألسنية). فجاء هذا الكتاب باسم اللغويات ونعني به (Linguistics) ليقابل كل المصطلحات السابقة إذ أنّها كلّها تدل على معنى واحد.وهو دراسة اللغة لذاتها.

مهما يكن من أمر فقد جاء هذا الكتاب في أربعة أبواب. تناول الباب الأول منها عدة أمور: منها التعريف باللغة من الناحية اللغوية (مادة، " ل غ و ")، ومن الناحية الاصطلاحية، والمفهوم العام للغة، والتعريفات العلمية للغة لدى العرب والغربيين. ثم تناولنا علم اللغة بتعريفه، والفرق بينه وبين فقه اللغة، وأغراض علم اللغة، وطرق ومناهج دراسة اللغة (المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج التقابلي، والمنهج الجغرافي). وطرق جمع المادة اللغوية (الملاحظ بأنواعها، الأجهزة،

التجريب، القياس..)، بجانب رصد بعض ميادين وموضوعات أشهر البحوث اللغوية.

أما الباب الثاني فقد تناولنا فيه العلوم اللغوية مثل علم اللغة الاجتماعي (الثنائية اللغوية، والازدواجية اللغوية، والتخطيط اللغوي). وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الجغرافي (الأطلس اللغوي وطرق عمله وإعداده). ونشأة اللغة: نظريات نشأة اللغة (الوقف، التواضع والاتفاق، الغريزة، المحاكاة، الاستعداد الفطري، الملاحظة).

ثم يأتي الباب الثالث الذي تحدثنا فيه عن عدد من الموضوعات منها: الفرق بين اللغة واللهجة، وانقسام اللغات إلى لهجات، وتطور اللهجات إلى لغات. والتصنيف اللغوي بعرض نظرياته (القديمة، والحديثة مثل " نظرية شليجل، ماكس مولر، النظرية الجغرافية. وتصنيف ماكس مولر (أسرة اللغات الهندوأوروبية، أسرة اللغات السامية الحامية، أسرة اللغات الطورانية). ثم رأينا ضرورة عرض تصنيف (جوزيف جرين بيرج) للغات الأفريقية. ثم خصصنا فصلاً للغات السامية تحدثنا فيه عن موطن الساميين بعرض نظريات الموطن الأصلي للساميين، ثم الهجرات السامية، وخصائص ومميزات اللغات السامية. ثم قدمنا عرضاً تفصيلياً للغات السامية (اللغات الكنعانية، واللغات الآرامية، واللغة العربية). ثم فصّلنا أكثر في الحديث عن اللغة العربية، بتصدير موجز عن وصف جزيرة

العرب، والجنس العربي (العرب البائدة، والعرب الباقية " قحطانيون، وعدنانيون"). ثم تحدثنا عن اللغة العربية بشقيها (البائدة " عربية النقوش" ، والباقية في أطوارها المختلفة، الطور الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، المملوكي.. الخ.

ثم خصصنا الباب الأخير لمسألتين من المسائل التطبيقية هما : الأولى التطور اللغوي (جوانبه، عوامله، مظاهره، التطور الصوتي وخصائصه، وأنواعه، والتطور التاريخي). وقوانين التطور الصوتي (قانون المماثلة، قانون المخالفة، قانون السهولة والتيسير). ثم عرضنا لبعض التغيرات الصرفية.

وختمنا الكتاب بعرض أطوار نشأة كتابة اللغة الإنسانية، مع التركيز على نظام الكتابة العربية، والتحسينات التي أدخلت عليه، والأطوار التي مرَّ بها. ثم ختمنا الموضوع بأفضلية نظام الكتابة العربية مقارنةً بنظم كتابة اللغات المعاصرة (اللغة الإنجليزية مثالاً للغات المعاصرة). وختمنا هذا الباب بدور كل من الهنود، واليونان، والعرب في الدراسات اللغوية بعنوان (التفكير اللغوي عبر التاريخ الإنساني).

ونرجو من الله القدير أن يفيدَ هذا العمل طلاب العلم، في أقسام اللغة العربية ، وأقسام اللغويات بالجامعات والمعاهد العليا ، وكل من له اهتمام بالدراسات اللغوية

دكتور موسى حامد موسى خليفة

أستاذ اللغويات المساعد

بمركز اللغات والترجمة بجامعة جوبا

وبكلية التربية للبنات بجامعة الباحة

الباب الأول

تعريف اللغة

مادة (لغة):

قبل أن نتحدث عن مفهوم اللغة وماهيتها وتعريفها باعتبارها مصطلحاً علمياً، رأينا أولاً أن نتتبع المادة اللغوية للكلمة في بعض المعاجم العربية، للوقوف على دلالة المادة المكوِّنة لكلمة (لغة). فكلمة لغة من مادة " ل غ و "، كما وردت في قاموس لسان العرب تحت المادة ((لّغْو) واللّغا السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام، وغيره ولا يُحصَل منه على فائدة، ولا على نفع. وقال الأَصمعي: ذلك الشيء لَكَ لَغْوٌ ولَغاً ولَغْوَى، وهو الشيء الذي لا يُعتدّ به. و قال: الأَزهري: واللُّغة من الأَسماء الناقصة، وأَصلها لُغْوة من لَغا، إِذا تكلم. كأَن قول عائشة: إِنَّ اللَّغْوَ ما يجري في الكلام على غير عَقْدٍ. وقال الشافعي: اللَّغْوُ في لسان العرب الكلام غير المعقود عليه. وجِماعُ اللَّغْو هو الخطأُ. قال الأَصمعي: لَغا يَلْغُو إِذا حَلَفَ بيمين بلا اعتقاد. وقيل: معنى اللَّغْوِ الإِثم، والمعنى لا يؤاخذكم الله بالإِثم في الحَلِف إِذا كفَّرتم، يقال لَغَوْتُ باليمين، ولَغا في القول يَلْغُو ويَلْغَى لَغْواً، ولَغِيَ بالكسر يَلْغَى لَغاً ومَلْغاةً (١).

أما في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، فقد ورد تحت مادة "(ل غ و) قوله: (اللام والغين والحرف المعتل) أصلان صحيحان: يدل أحدهما على الشيء لا يُعتدُ به، والأخر على اللهج بالشيء..... ويُقال منه لغا يلغوا لغواً، وذلك في لغو الإيمان. واللغا هو اللغو بعينه قال تعالى" لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكُمْ".

١ / ابن منظور / لسان العرب ج١٥/ص٢٥٠

والثاني قولهم (لغِي) بالأمر، إذا لهج به، ويُقال أن اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها بها ([1]).

وقد ورد عند ابن جني في باب القول على اللغة: " أما تصريفها معرفة حروفها فإنها فُعلة من لغوت، أي تكلمتُ، وأصلها لغوة ككرة، وقُلة، وثُبة كلها لاماتُها واوات ([2]) لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلة، وأن ثُبة كأنها من مقلوب ثاب يثوبُ.... وقالوا فيها لُغات، ولُغُون ككُرات وكُرون، وقيل منها لغِي يلغَى إذا هَذَى ومصدره اللّغا وقال:

وربٌ أسْرَابِ حجيجٍ كُظّلمِ ❖ عنا اللّغا ورَفَثِ التّكلُّمِ

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى " وإذا مَرُّوا بالغْوِ مَرُّوا كِرَامَا " أي بالباطل، وفي الحديث (مَنْ قال في الجمعة صَه فقد لغا) أي تكلم وفي هذا خلافٌ([3]).

وعليه لم تكن مادة " ل غ و " تستخدم في القرون الهجرية الأولى بالمعنى الاصطلاحي المستخدم الآن ([4]). إذ كان العرب حينما يريدون التعبير عن اللغة، يستخدمون مصطلح اللسان، ليدلوا به على معنى اللغة. وقد جاء استخدام القرآن الكريم لكلمة اللسان موافق لما هو سائد عند العرب، إذ وردت كلمة لسان في عدة مواضع في القرآن الكريم ستةٌ منها دلت على معنى اللغة، ومنها:

---

١ / أحمد بن فارس / معجم مقاييس اللغة /المجلد الثاني / ص٤٨٠

٢ / أي أن الحرف الأخير في كل منها أصله واوا

٣ / ابن جني / الخصائص / ص٣٣

٤ / باعتبارها وسيلة اتصال بين أفراد المجتمع

قوله تعالى " وما أرْسَلْنا مِنْ رسُولٍ إلا بِلِسانِ قَوْمِه ليُبيِّنَ لهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَنْ يشَاءُ ويَهْدِي مَنْ يشَاءُ وهُوَ العزِيزُ الحَكِيمُ"[1]. حيث عنى القرآن بلسان قومه أي بلغة قومه. وقوله تعالى " فإنَّما يَسَّرْناه بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِين وتُنْذِرَ بِهِ قَوْمَاً لُدًّا"[2]، أي بلغتك. وقوله تعالى " إنَّه لتنزِيلُ رَبِّ العَالَمين ❖ نَزَلَ به الرُوحُ الأمينُ ❖ على قلبكَ لِتَكُونَ أولَ المُنذِرين بِلِسَانٍ عربي مُبِين " [3]. أي بلغة عربية واضحة. وقوله تعالى " فإنَّما يسرناه بِلِسانِكَ لعَلَّهُم يتَذَكَّرُون " [4] وقوله تعالى " ومِن قَبلِه كِتَابُ موسى إمَامَا ورحمةً وهذا كِتابٌ مصدِّقٌ لِسَاناً عربياً لُيِنْذِرَ الذِّين ظَلَمُوا وبُشرى للمحسنين "[5]

وهذا ما كان عليه الحال في سائر اللغات السامية، إذ تُستخدم كلمة اللسان لتدل على اللغة. أمَّا كلمة " لغة " المستخدمة عندنا اليوم فهي في الأصل يونانية Logos، ومعناها الأصلي هو " كلمة أو كلام ". وبالنظر إلى اللغة اللاتينية، نجد الكلمة (Logos) تدل على عدد من المعاني منها (الوحي، والحكم،والحكمة، والمثل، والمثال، والقصة، والمقالة، والقضية المنطقية، والتعريف، والتفكير)، وكلها تدور حول التعبير اللفظي عن التفكير[6]. ومنها الكلمة الإنجليزية المعاصرة Language واللاتينية الحديثة (Langa) .

واستخدمت كلمة (لغة) في التراث العربي أول الأمر، بمعنى الكلام غير المفهوم، والذي لا يُعتَّدُ به كما ذكرنا. ويبدو أن الكلمة أول ما عرفها العرب

١ / الآية (٤) سورة إبراهيم
٢ / سورة مريم / الآية ٩٧
٣ / سورة الشعراء / الآية ١٩٥
٤ / سورة الدخان / الآية ٥٨
٥ / سورة الأحقاف / الآية ١٢
٦ / حسن ظاظا/ اللسان والإنسان ص١٣٠

دلت عندهم على صفة الكلام غير العربي، ومن ثم أُستُعيرتْ من اللغات الأخرى، وأصبحت تستخدم في العربية لتدل على أي كلام غير مفهوم ولا يعتد به، أي قول بلسان أعجمي غير واضح. وما زالت تستخدم في بعض العاميات العربية إلى اليوم بهذا المعنى ([1]). ثم جاء ابن جني وكان أول من استخدم كلمة (لغة) كمصطلح ليدل به على المعنى المعروف لدينا الآن وهو أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم.

اللغة اصطلاحاً:

اللغة في التعريف العام " هي مجموعة من التعبيرات الإرادية، التي يستخدمها الكائن الحي بهدف الاتصال ببني جنسه"([2]) وللوقوف على ما ورد في التعريف العام للغة، لا بُدَّ لنا من تحليل أهم الكلمات الواردة فيه، وهي (تعبيرات، إرادية، اتصال، بني جنسه):

فالتعبيرات قُصد بها، كل ما يصدرُ من الكائن الحي، والإنسانِ على وجه الخصوص، وتشمل جميع التعبيرات الإرادية، وغير الإرادية (أو الفطرية، أو الغريزية، أو الطبيعية) التي تصدر من الإنسان. فتشمل التعبيرات السارة، والأليمة المنطوقة (أصوات)، التي تُدرك بواسطة حاسة السمع، وتلك المرئية (أشكال)، التي تدرك بواسطة حاسة البصر. فتعبيرات مثل وقوف شعر الرأس، واتساع حدقة العينيين، أو ضيقهما، وارتعاد الأطراف، أو تصببهما عرقاً، والضحك، والبكاء كلها تعبيرات عن حالات انفعالية هي بالترتيب: (الخوف،

---

١ / بدليل نأخذه من العامية السودانية حيث يقال للكلام غير المفهوم وإن كان بلغة غير العربية لا يفهما السامع (لغلغة). ويُطلق على من ينعقدُ لِسانه ويعجز عن البيان (لِكة) وما الكلمة إلا تغير الغين إلى كاف بنتقال المخرج، تغير تكفله قوانين قلب الصوامت وتبدلها.

٢ / على عبد الواحد وافي / علم اللغة ص٨٢

الدهشة، الغضب، الاضطراب النفسي، الفرح، والحزن) كلها تعبيرات تفرِضُ نفسها على محيا الإنسان بشكل غريزي، دون إرادته نتيجة لتغيرات بيولوجية في أجهزته الداخلية، بسبب انفعالات نفسية تتطلب مزيداً من الأوكسجين للدماغ، مما يؤدي إلى تسارع عمل الأجهزة الداخلية، بسبب تسارع نبضات القلب، لتوفير الكمية الإضافية التي يحتاجها الدماغ من الأوكسجين. بمعنى أخر أن الأجهزة الداخلية للإنسان تعمل بإيقاع ثابت، وتناغم في تأدية وظائفها البيولوجية بتحكم من عقله، فإن حدث أن أحس الإنسان بأي حالة انفعالية مهما كانت، يتأثر بها الدماغ باعتباره مركز الجسم، فيحتاج عندها إلى كميات إضافية من الأوكسجين لمقابلة تلك الحالة الانفعالية، مما يتطلب زيادة نشاط الأجهزة الداخلية لتوفير الكمية الإضافية التي يحتاجها الدماغ، فتعمل الرئتان بمعدل أعلى من الطبيعي لتسريع عملية فصل الأوكسجين من الغازات الأخرى، وتتسارع معدلات نبضات القلب لنقل الكمية الإضافية من الأوكسجين، وينتج عن ذلك تسارع عمليات تنقية السوائل في الكليتين نتيجة لتسارع الدورة الدموية مما يؤدي إلى تزايد إفرازات العرق. وبالتالي تتزايد معدلات عمليتي الشهيق والزفير نتيجة لذلك. وهكذا يظهر أثر هذا التسارع في عمل الأجهزة الداخلية على محيا الإنسان، متمثلاً في احمرار الوجه، والوجنتين، وارتعاد الإطراف، و تصببهما عرقاً.. الخ من علامات نعرف من خلالها أنها تدل على إحساس الإنسان - مصدرها - بحالة من الحالات الانفعالية غير العادية.

ولذلك هذه التعبيرات الفطرية لا تعنينا في ما يتعلق باللغة، لأنها فطرية، وغير إرادية، وغير مقصودة من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي في حد ذاتها متداخلة ومتنوعة، ومختلفة من فرد لآخر، إذ لا يشيرُ التعبير الواحد منها إلى حالة

انفعالية محددة لدى جميع البشر. بل تختلف وتتنوع من فرد إلى آخر، فالخوف مثلاً قد يظهر على محيا أحد ما، بارتعاد أطرافه، وعند آخر بتصببه عرقاً، وعند ثالث باحمرار وجهه، وعند رابع بعدم قدرته على التحكم في نفسه وهكذا وعند آخر لا شيء.

ولهذا أضاف التعريف كلمة (الإرادية)، ليُخرج التعبيرات الفطرية – الغريزية، الطبيعية – عن اللغة لأنها غير مقصودة، ولا تحمل رسالة تحمل مضمون محدد أراد المَصْدَرُ منتجها إيصالها إلى متلقي.

وذكر التعريف تعبير الكائن الحي، لأن هذه التعبيرات خاصة بالكائنات الحية جميعها (الإنسان، والحيوان) مما يشير إلى عموميتها، وبالتالي يَعْتَبِرُ التعريف الأصوات، والحركات الصادرة من الحيوان، نوع من أنواع اللغة التي تستخدمها هذه الكائنات الحية. ثم حدد الغرض من هذه التعبيرات، وهو الاتصال ببني جنسه.

على العموم يعتبر هذا التعريف شاملاً، ولا يعبِّر عن اللغة كما نعرفها الآن، بسبب عموميته التي تشمل جميع الكائنات الحية، وعليه فلا تُعْتَبَرُ الأصوات الصادرة من الحيوانات، لغة اتصال شبيه بلغة الإنسان وذلك لأن تلك الأصوات الحيوانية ليست إلا ثلاث أنماط:

١/ أصوات خالية عن المقاطع، لا تكوِّن كلمات بل يتكرر صوت واحد، أو صوتين عدة مرات للتعبير عن حاجات محددة، مثل الحاجة إلى الطعام، أو الشرب، أو الجنس، أو الأمن. مثل الغثاء، والفحيح، والخوار، الصهيل، النقيق والصهيل.. وغيرها.

٢/ مقاطع صوتية ذات فونيمات أكبر، وأطول من الأولى تصدرها القردة للتعبير عن نفس الحالات الانفعالية، أو الحاجات الفطرية بالرغم من أن الأجهزة الداخلية للقردة أقرب شبهاً من الجهاز الصوتي لدي الإنسان، إلا أنها لم تستطع تسخيرها لإنتاج الكلام ذو المقاطع الذي يحمل دلالات كما يفعل الإنسان. وذلك لضعف قدراتها العقلية وغياب مراكز اللغة في أدمغتها.

٣/ مقاطع صوتية تمثل كلمات كاملة، تصدر من بعض الطيور كالببغاوات، وهي ليست من اللغة في شيء، إذ أن الببغاء لا يقصد التعبير عن شيء محدد، بقدر ما تصدر الكلمات منه بشكل غير إرادي، وهو ما يُعْرَفُ بالتداعي الآلي، بسبب سماعه للكلمة وترديده لها عدة مرات بشكل آلي لا دخل لعقله فيه.

إذن اللغة بالمعنى العام، هي مجموعة التعبيرات الإرادية(المقصودة)، التي يستخدمها الكائن الحي (الإنسان)، بهدف الاتصال ببني جنسه. فهذه التعبيرات الإرادية منها أصوات تدرك بواسطة الأذن، سواء كانت أصوات مركّبة تَصدُرُ من جهاز الإنسان النطقي، أو أصوات ذات مقاطع محدودة متكررة تصدر من مصادر أخرى، مثل لغات الطبول في المجتمعات البدائية في حوض نهر الأمازون، أو عند بعض الجماعات البدائية في الغابات الأفريقية، وما يستخدمه المتمدنون من رموز صوتية، مثل الأجراس في الكنائس والمدارس والبيوت، والأبواق المستخدمة في الجيش، وفي السيارات العامة، وسيارات الطوارئ (١). ومنها حركات جسمانية تُدْرَكُ بواسطة العين، تستخدم في حالات معينة مقصودة،

١ / محمود السعران / علم اللغة مقدمة للقارئ العربي / ص٥٨

مثل حالات الصيام الديني عن الكلام [١]، والتعبيرات الإشارية التي يستخدمها الصيادون - خوفاً من إثارة انتباه الحيوان المُراد صيده -، وتلك التي يستخدمها الجنود في العمليات القتالية، التي يكون التخفي محورها الرئيس، والإشارات والعلامات الضوئية، أو الرايات التي يستخدمها بحارة السفن في كل المحيطات والبحار. واللغة الإشارية الخالصة التي يستخدمها الإنسان عند تعامله مع أشخاص لا يعرف شيئاً عن لغتهم، ولا يعرفون هم شيئاً عن لغته، مثل تلك الإشارات التي استخدمها الرحّالة، والمستكشفون في رحلاتهم لأمريكا اللاتينية، وأفريقيا في القرن قبل الماضي. بجانب الإشارات العالمية المستخدمة في الصناعة، والمرافق العامة كالمطارات والموانى وغيرها، وإشارات الدخان التي تستخدمها القبائل البدائية. فكل هذه الإشارات برغم خلُوها من الصوت فهي لغة، لأنها تستخدم باعتبارها رموزاً تحمل دلالات، قَصَدَ منتجها توصيل رسالة أو فحوى ومضمون محدد لمسْتَقبِلِها، بجانب تعددها، وتنوعها، بتعدد وتنوع دلالاتها حسب المضامين التي تحملها كل إشارة.

ولكن مع ذلك، لا بد لنا أن نحاول وضع تعريف دقيق، علمي مقنع قائم على الضبط والتنظيم للغة، باعتبارها عِلْمَاً من العلوم، له شروطه ومجالاته وأسسه وضوابطه. ولكي نقف على هذا التعريف فلننظر إلى أقوال العلماء من العرب، وبعض الأوربيين الذين أدلوا بدلوهم في هذا الأمر وقد اخترنا بعضاً منهم:

---

١ / صيام زكريا عن الكلام باعتباره آية لمولوده يحي برغم كبر سنه وعقم زوجته قال تعالى (قالَ ربي اجعل لي آية قالَ آيائك ألا تكلِم الناسَ ثلاثَ ليالي سويا * فخرج إلى قومه من المحراب فأوحي إليهم أن سبحوا بكرةً وعشية) سورة مريم الآيات ١٠ ـ ١١

وصيام مريم بعد حملها بالمسيح عليه السلام، وحين نادها من تحتها قوله تعالى (هُزّي إليك بجذع النخلة تُساقِط عليك رطباً جنيا * فكُلي واشربي وقَري عينا فإما ترين أحدا من البشر فقولي إني نذرت للرحمن صوما ولن اكلّم اليوم إنسيا) سورة مريم الآيات ٢٥ـ٢٦

عرَّف ابن جنِّي اللغة بقوله

" حدُّ اللغة أصواتٌ، يعبِّر بها كل قومٍ عن أغراضهم " (١)

ابن جني هو أول من عرَّف اللغة، أي أول من وضع تعريفاً دقيقاً شاملاً للغة. وذلك لأن تعريفه شمل كل الجوانب المتعلقة باللغة وهي:

١/ الجانب الصوتي، وعبَّر عنه بقوله أصوات.

٢/ الجانب العرفي، وعبَّر عنه بقوله يعبِّر بها.

٣/ الجانب الاجتماعي، وعبَّر عنه بقوله كل قوم

٤/ الجانب الوظيفي، وعبَّر عنه بقوله عن أغراضهم.

وهنا بيِّن ابن جني الطبيعة الصوتية للغة، كما بيَّن غاياتها وأهداف استخدامها، وهو التعبير عن الأغراض. وبيَّن عرفية اللغة بقوله كل قوم. أي أن كل جماعة لغوية تستخدم وسيلة صوتية تميزها عن غيرها من الجماعات اللغوية الأخرى.

٢/ هنري سويت Henry Sweet

" التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات "

لم يزد تعريفه عن تعريف بن جني، إلا بقوله أصوات كلامية مؤتلفة في كلمات. إذ قصد أن التعبير عن طريق الأصوات لا يتم إلا في إطار الكلمات. أما ما عداها من أصوات فهو ليس من اللغة في شيء، غير أنه لم يذكر وظيفة اللغة، ولا دورها الاجتماعي كما فعل بن جني.

١ / ابن جني / الخصائص / ص٣٣

٣/ إدوارد سابير Edward Sappier

" وسيلةٌ إنسانيةٌ خالصةٌ لتوصيلِ الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تَصْدُرُ بطريقة إرادية "(١)

فهو قد ذكر كل الجوانب التي شملها تعريف بن جني، عدا وظيفتها الاجتماعية. وعرفيتها عند كل مجموعة لغوية وتَنَوُّعُ وتعدُّدُ الجماعات اللغوية. ويزيد تعريفه على سابقَيه، في أنه ركّز على ناحية الرمز، لكي يضم شكلَي اللغة (الملفوظ المدرك بواسطة السمع، والملحوظ المدرك بواسطة البصر أي المكتوب). كما ميَّز اللغة كنظام خاص بالإنسان عن بقية النظم التي تستخدمها الكائنات الأخرى إن أُعتُبِرتْ نظمها الاتصالية لغةً أو حتى نظم اتصال حقيقية.

٤/ فيرديناد دي سوسير Ferdinand De Saucier

يري اللغة من خلال منظورين:

الأول: ذهني ويسميه اللغة، ويتمثل في الصورة الذهنية التي توجد في عقل الجماعة اللغوية الواحدة.

والثاني: واقعي، وهو الكلام، ويتمثل عند استخدام هذه الصورة الذهنية، وخروجها إلى الواقع عن طريق الفرد.(٢)

ويرى أن الصورة الذهنية ذات جانبين، الجانب الأول هو جانب اللفظ، والثاني هو الجانب المتعلق بدلالة اللفظ.

---

١ / فندريس / اللغة / ترجمة محمد القصاص / ص٢٦

٢/ محمود السعران / علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ ص٢٤٥

وواضح مما ذكر أنه يتناول اللغة من وجهة نظر فلسفية، واقعية فهو يتحدث عن عرفية اللغة بطريقة غير مباشرة، بجعله اللغة مجموعة من القوانين، والنظم العرفية التي تعارف عليها أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، والتي أُختُزِنتْ في أذهانهم، والنظم التي قصدها هي كل القوانين الصوتية المتعلقة بكيفية إنتاج الأصوات، من صوامت وصوائت، وكيفية تداخلها مع بعضها البعض لتكوين وحدات صوتية أكبر (الكلمات)، والنظم الخاصة بكيفية اشتقاق صور مختلفة للكلمات لتؤدي وظائف صرفية، والنظم الخاصة بكيفية تداخل هذه الكلمات مع بعضها البعض، لتكوين الجمل (الجانب التركيبي)،والقوانين الخاصة التي تحكم علاقة المفردات مع بعضها البعض داخل التراكيب (الجانب النحوي)، والنظم المتعلقة بالأساليب اللغوية حسب مقام المخاطب، وموقف الكلام وغيرها من قوانين. بجانب أن كل مفردة في اللغة، مختزنة في عقل كل فرد من أفراد الجماعة اللغوية الواحدة باعتبارها رمزاً صوتياً، يوجد ما يقابلها في الذهن شيء (مادي) أو مفهوم (معنوي) تشير إليه باعتباره دلالة، أو معنى لها. أي أن الإنسان إذا ما سمع الكلمة، تظهر في صفحة ذهنه صورة تمثل معناها ودلالتها، وإن كانت مجرَّدة، وبالمقابل إن أراد التعبير عن شيء رآه تظهر في صفحه ذهنه الكلمة التي يعبر بها عن الشيء المقصود.

خصائص اللغة:

ولكن للوقف على ماهية اللغة، ووضع مفهوم دقيق يعبِّر عنها، لا بُد لنا من النظر إليها من خلال طبيعتها، والتي هي (صوت، رمز، عُرف)، وظيفتها (الاتصال)، وتتميَّز عن غيرها من طرائق الاتصال (الاستعداد الفطري)، وذلك

من خلال الجوانب التالية: (الصوت، الرمز، العرف، الاستعداد الفطري، والاجتماعي والثقافي)

فاللغة في الأصل أصوات، وهذه الأصوات هي عبارة عن رموز. بمعنى أن كل وحدة صوتية منها تُستْخدَمُ، باعتبارها رمزاً لدلالة محددة تعارف عليها أفراد الجماعة اللغوية الواحدة. فالعُرفية هي التي تُبرِّر تعدد، وتنوع اللغات. إذ لولا أن لكل جماعة لغوية عرفاً لغوياً خاصاً بها (يتمثل في تسمية الأشياء، وطرق التعبير والاتصال) لكانت طرق التعبير اللغوي واحدة عند جميع أفراد البشر، في كل زمان ومكان. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنَّ هذه الرموز الصوتية، واستخدامها واختزانها في عقل الجماعة اللغوية الواحدة، مسألة تتطلب قدرات ذهنية محددة، واستعداد فطري، يمكِّن مستخدمها من إنتاج أصواتها والتعامل مع القوانين الخاصة بها. وهذا ما لم يتَّأتي لغير بني البشر. ثم يأتي دور اللغة الاجتماعي، والثقافي الذي سنتحدث عنه في موضعه([1]).

رمزية اللغة:

اللغة ليست أصوات فحسب، بل هي نظام متكامل من الرموز الصوتية المركَّبة، من أصوات متتابعة تتكون منها آلاف الكلمات، تحمل دلالات مختلفة، تهدف إلى التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة. ولذلك نعتبر اللغة نظاماً صوتياً إشارياً، إذ تُستخدَمُ فيه الإشارةُ إلى الأشياء. وهنا تختلف اللغة عن غيرها من الإشارات الصوتية، وغير الصوتية التي أشرنا إليها في التعريف العام

١ / أنظر علم اللغة الاجتماعي من هذه الكتاب

(الإشارات الغريزية، والعلامات المتفق عليها)، في أنه ينقصها عنصر الحوار بين الطرفين.

فالعلاقة بين الصوت (الكلمة) ودلالتها علاقة اعتباطية ذهنية في المقام الأول، ذهنية بمعنى أنها موجودة في الذهن كما أشار إليها فيرديناند دي سوسير، مختزنة في الذهن أصوات من جهة وتقابلها في الجهة الأخرى دلالاتها. فما أن يسمع الشخص الكلمة حتى تظهر في صفحة ذهنه صورة الشيء الذي تعبر عنه الكلمة، والعكس ما أن يرى الشخص الشيء تظهر في صفحة ذهنه الكلمة الدالة عليه.

والعلاقة التي تربط بين اللفظ ودلالاته، هي علاقة اعتباطية المنشأ، بمعنى أن أهل اللغة الواحدة تعارفوا فيما بينهم على إطلاق اللفظ المعين على الشيء، أو المعنى المعين الذي أرادوا التعبير عنه. وهذا يعنى أن قيمة الرمز اللغوي تأتي من العُرف الاجتماعي، إذ تنحصر هذه العلاقة بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، الأمر الذي قاد إلى تنوع وتعدد واختلاف اللغات الإنسانية بتنوع وتعدد المجتمعات الإنسانية. لو لم تكن العلاقة بين الرمز اللغوي ودلالاته علاقة رمزية اعتباطية عُرفية لتشابهت طرق التعبير ولكان اسم الكلب - مثلاً - واحد في كل لغات العالم.

أما الجانب الآخر من مميزات اللغة الإنسانية عن غيرها من طرق التعبير لدي الكائنات الحية الأخرى، فهو الاستعداد الفطري، وقصد به قدرة الإنسان وتهيئته واستعداده في إنتاج أصوات اللغة، وتنويعاتها المختلفة من جهة، وقدرته على تخزين هذه الرموز الصوتية، ودلالاتها في ذاكرته من جهةٍ أخرى. إذن

الاستعداد الفطري ذو جانبين الأول يتمثل في القدرة البيولوجية المتمثلة في جهاز الإنسان النطقي الأمر الذي مكّنه من إنتاج الأصوات اللغوية المتنوعة، والمختلفة التي تتكون منها اللغة. والجانب الثاني للاستعداد الفطري يتمثل في القدرة الذهنية المتمثلة في العقل البشري، والتي مكّنتْ الإنسان من تخزين الرموز الصوتية - التي يسمعها، ويتعلمها من إخوانه في البيئة المحيطة - به في ذهنه، ودلالاتها المختلفة، واستدعائها وقتما شاء.

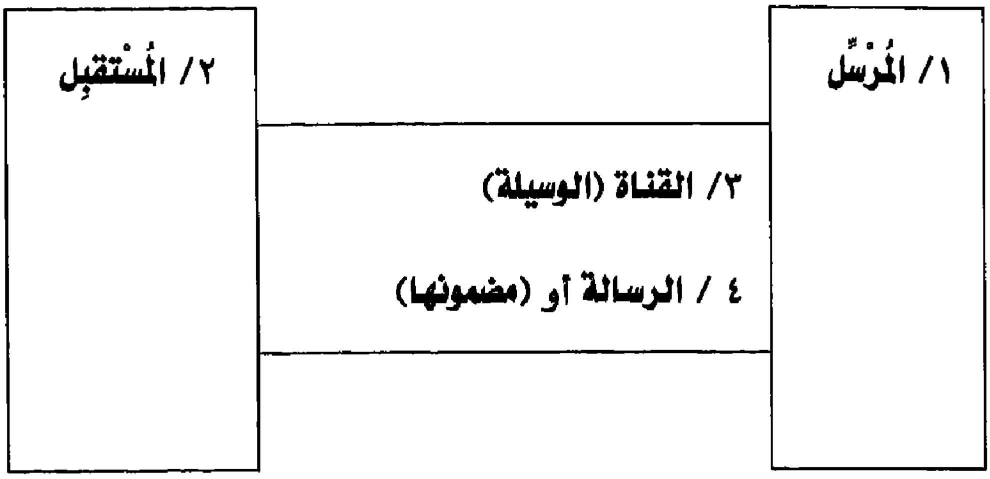
١/ طبيعة اللغة:

عرفنا مما سبق أن اللغة أصوات، وأن هذه الأصوات لا تصدر بطريقة اعتباطية، بل حسب قوانين محددة تجعل من هذه الأصوات رموزاً يشار بها إلى مفاهيم ودلالات، محددة مختزنة في أذهان الجماعة اللغوية الواحدة. وأن هذه الرموز اتفق على نشأتها ودلالاتها عن طريق التواضع والاتفاق بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة بالتدريج.

وظيفة اللغة:

تقوم اللغة بدور هام جداً في المجتمع، وهو باعتبارها أهم وسيلة من وسائل الاتصال. فلكي نجري عملية اتصال ناجحة لا بد من وجود أربع عناصر وهي:

١/ المُرسِل، ٢/المُستَقبِل (وهما طرفا الاتصال) ٣/ وسيلة الاتصال (القناة التي عن طريقها يتم الاتصال ٤ / الرسالة وفحواها ومضمونها. فالرسم التالي يبِّن هذا الأمر:



ففي اللغة المنطوقة يكون المرسل هو المتكلم، والمستقبل هو المخاطب والقناة هي الكلام، والرسالة هي المضمون، أو الفحوى، والفكرة التي أراد المتكلم توصيلها إلى المخاطب.

وبالتالي فإن أهم وظائف اللغة هي الاتصال، وهي أفضل وسيلة لتوصيل الأفكار والرغبات وتبادلها، ولم يخترع الإنسانُ بعْد وسيلة أفضل منها للقيام بمسألة الاتصال بين طرفين.

كما هناك كثير من وظائف اللغة مثل أنها مساعد آلي للفكر ([1]) إذ ليس للفكر وجود بدون لغة. كما هناك الوظائف الاجتماعية التي سنتحدث عنها في علم اللغة الاجتماعي.

١ / أنظر علم اللغة النفسي

علم اللغة:

يعرَّف بأنه العلم الذي يدرس اللغةَ في ذاتها من أجلِ ذاتها. أو هو العلم الذي يتخذ اللغة موضوعاً له (١). بمعنى أنه العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية قائمة على الضبط، والتنظيم وفق مناهج، وأسس وقواعد علمية موثَّقة، ومعروفة ومعتدٌ بها. ويدرس كل لغات المجتمعات الإنسانية، ولهجاتها (المهنية والطبقية والجغرافية) (٢) المختلفة مهما كانت غنية، أو فقيرة، أو راقية، أو وضيعة. فيهتم علم اللغة في دراسته للغة من ناحية مستوياتها المختلفة مثل أصواتها Phonetics، وصرفها Morphology، ونحوها Syntax، ودلالتها Semantics، وأساليبها Style. وكيفية استخدام الناس لها وعلاقتها بغيرها، وتطورها، وأثر المجتمع عليها، ،أثرها على المجتمع، واختلاف لهجاتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى.....الخ وغيره من جوانب كثيرة ومتعددة. ويتم كل ذلك وفقاً لمنهج من مناهج الدرس اللغوي المعتمدة الموثَّقة، القائمة على الضبط والتنظيم.

إذن علم اللغة هو العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعاً له، فيدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقاتها بالنظم المختلفة بهدف الوصول إلى القوانين العامة التي تجري عليها اللغة موضوع الدراسة. وبناء على ذلك فعلم اللغة لا يختص بلغة بعينها، بقدر ما يتخذ من اللغة الإنسانية المطلقة موضوعاً له، أي لغة مهما كان فقرها أو غناها، سموها أو ضعتها.

١/ محمود السعران / المرجع السابق / ص٤٧

٢ / سنتحدث عن هذه اللهجات بالتفصيل في الباب الثاني علم اللغة الاجتماعي.

فقه اللغة

إن موضوع فقه اللغة Philology لا يختص بدراسة اللغة فقط، بل يجمع معها دراسات متعلقة بالثقافة، والتاريخ، والتقاليد، والنتاج الأدبي للغة، أو اللغات موضوع الدراسة. أما علم اللغة Linguistics فيركّز على اللغة نفسها، مع إشارات عابرة في بعض الأحيان إلى القيم الثقافية، أو التاريخية للغة (١). وعليه ففقه اللغة الذي يقابل Philology أُستخدم في الدراسات اللغوية العربية في عدد من الجوانب والمجالات التي يمكن حصرها في الآتي حسب وجه نظر من يقولون أن مصطلح فقه اللغة يقابل المصطلح الأجنبي الأوروبي Philology:

١. أُسْتُخْدِمَ في بعض البحوث اللغوية التي تعد أصولاً للغة، وببيان السنن التي يتبعها العرب في كلامهم، والتي نزل بأكثرها القرآن الكريم، وجاءت بها السنة النبوية. وتشمل هذه البحوث حياة اللغة، ونشأتها وحقيقتها، وقيِّمها وفصيحها..الخ، بجانب بعض خصائص اللغة النحوية، والصرفية والبلاغية، والأسلوبية. ويمثل هذا الاتجاه أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها (٢)

٢. أُسْتُخْدِمَ في التصنيفات المتعلقة بالألفاظ، والاستعمالات اللغوية المنظمة، ودلالاتها فيما يشبه المعجم، وذلك مثل كتاب أبو منصور الثعالبي (فقه اللغة وسر العربية) وهو معجم ألفاظ.

---
١ / ماروي باي / أسس علم اللغة / ص٣٥
٢ / محمد أحمد أبو الفتوح / مقدمة لدراسة فقه اللغة /ص١١

٣. أُستُخْدِمَ لمقابلة المصطلح الأجنبي philology، وهو دراسة كلمات اللغة، وقوانينها عبر التاريخ من خلال دراسة النصوص الأدبية القديمة

٤. أُستُخْدِمَ في بحوث علم اللغة المتصلة باللغات السامية، أو العربية مثل كتاب د. على عبد الواحد وافي (فقه اللغة).

٥. أُستُخْدِمَ في بحوث علم اللغة حسب المفهوم الذي عرفناه فيما مضى، مثل كتاب محمد الأنطاكي (الوجيز في فقه اللغة).

٦. أُستُخْدِمَ في البحوث العربية المتسمة بالتنوع في مادتها وأهدافها، إضافة إلى بحوث متن اللغة من ناحية مفرداتها، على أساس أن متن اللغة فرع من فروع علم اللغة، كما فعل الدكتور كمال بشر في كتابه (قضايا لغوية) (١)

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن مصطلح فقه اللغة – كما يظن البعض - يعاني من الاضطراب إذ لم يُحدَّدْ معناه بدقة، وكذلك مجالاته وميادينه، وما زال اللبس قائماً إلى الآن. برغم أن الدكتور كمال بشر حدد موضوع فقه اللغة ليشمل ثلاثة جوانب أغلبها بل كلها من صميم موضوعات واهتمامات علم اللغة وهي:

١/ بحوث في فلسفة اللغة، كالكلام في أصل اللغة، ونشأتها، وتنوع اللغات وتفرعها إلى لهجات.

٢/ بحوث في بعض القوانين العامة للغة، مثل الكلام على القياس، والاطراد، والشذوذ وغيره.

---

١ / عبد العزيز علام و عبد الله ربيع / في فقه اللغة /ص١٦

٣/ بحوث تتصل بمفردات اللغة من وجوه مختلفة، مثل دراسة الاشتقاق بأنواعه والترادف، والاشتراك اللفظي، والفصيح والمعرَّب، والإبدال، والقلب وغيره. (١)

هذا ما يشير إلى أن الاضطراب في استخدام المصطلح (فقه اللغة) ما زال حاضراً واضحاً، ولكن يبدو أن الدكتور كمال بشر مقتنع بمصطلح فقه اللغة كما ورد في التراث العربي، باعتباره معادل موضوعي لمصطلح علم اللغة (Linguistics) وهو المفهوم الصحيح الذي ينبغي أنه يقنع الآخرين الذين يتعاملون مع مصطلح فقه اللغة باعتباره معادلاً ومقابلاً المصطلح الأوروبي(Philology). ونستطيع أن نرد على مَنْ يرى أن هناك اضطراباً في مصطلح فقه اللغة عند العرب بأن ظنهم في وقوع الاضطراب مبعثه هو تعاملهم مع مصطلح فقه اللغة لمقابلة المصطلح الأجنبي Philology، والذي يعنى دراسة كلمات اللغة، وقوانينها عبر التاريخ من خلال دراسة النصوص الأدبية القديمة. ولا علاقة بين هذا المفهوم الأجنبي لمصطلح فقه اللغة والبحوث اللغوية العربية - قديمها وحديثها- التي اتخذت من مصطلح فقه اللغة عنواناً لها. فالعرب هم رواد علم اللغة العربية أطلقوا على تصنيفاتهم اللغوية هذا المصطلح (فقه اللغة) في الوقت الذي لم تكن أوروبا قد بدأت الدراسة اللغوية بعد. وتناولت تصنيفاتهم كل مقررات علم اللغة بالمفهوم الحديث، مما يشير إلى أن المصطلح (فقه اللغة) هو مصطلح عربي أصيل لا علاقة له بالمصطلح الأجنبي Philology. ويمكن أن نحسِّم الأمر بأن المصطلح أطلق قديماً وعُني به علم اللغة بمفهومه الحديث (Linguistics). وعليه نستطيع أن نقول أن فقه اللغة في التراث العربي مصطلح أُطلق وقُصِد به مفهوم علم اللغة بالمفهوم المعاصر.

١ / كمال بشر / قضايا لغوية / ص٢

وبالنظر إلى مصطلح فيلولوجي Philology في الدراسات اللغوية الأوروبية نفسها نجده، أيضاً يُعاني من الاضطراب إذ أنه يُستعمَلُ مرة ويُقْصَدُ به دراسة الكلمات من حيث قواعدها وقوانينها، ونقد النصوص الأدبية القديمة. ومرة ثانية يخرج من مجال اللغة ويستخدم ويقصد به دراسة الحياة العقلية من جميع وجوهها، أي النشاط العقلي لأبناء اللغة الواحدة. ويستعمل مرة ثالثة بمفهوم مختلف ويقصد به معنى مرادفاً لعلم اللغة Linguistics. ولذا لا يُصح لنا أن نترجمه لمقابلة مصطلح فقه اللغة. وعلينا أن نختم الأمر بالتوصية باعتماد المبدأ الذي نادى به الدكتور محمود السعران الذي يشير فيه إلى ضرورة تحديد دلالات المصطلحات التي نستخدمها في كتاباتنا وبحوثنا اللغوية تحديداً دقيقاً. وذلك لأن مصطلحات علم اللغة متداخلة ومتعددة الدلالات، وليست مصطلحات عالمية متفق عليها كالمصطلحات الخاصة بالعلوم الطبيعية. فمثلاً مصطلح Semantic أول ظهوره اُستخدِم في أوروبا ليدل على معنى التغير الذي يطرأ على معاني المفردات، أي دراسة المعاني من الناحية التاريخية وتغير مدلولها اليوم، أما اليوم فيستخدم لمعنى أكثر توسعاً (١). هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى أن إشكالية تداخل دلالات ومفاهيم المصطلحات اللغوية منشأها هو أننا نستخدم اللغة في دراسة اللغة نفسها.

أغراض علم اللغة:

يهدف علم اللغة من خلال دراسة الظواهر اللغوية لتحقيق عدة أغراض يمكن إجمالها في:

١ / محمود السعران / مرجع سابق / ص٧٢

١/ الوقوف على حقيقة الظواهر اللغوية، والعناصر التي تتألف منها والأسس القائمة عليها.

٢/الوقوف على الوظائف التي تؤديها تلك الظواهر اللغوية في مختلف مظاهرها وشتى المجتمعات الإنسانية.

٣/ الوقوف على العلاقات التي تربط الظواهر اللغوية بعضها البعض من جهة، وتلك التي تربطها بغيرها من ظواهر مثل الظواهر الاجتماعية والنفسية، والتاريخية، والجغرافية والطبيعية والفيزيولوجية والأنثربولوجية والفيزيائية... وغيرها من ظواهر تمت بصلة ما باللغة من جهةٍ أخرى.

٤/ التعرُّف على أساليب تطور اللغة واختلافها باختلاف الأمم والعصور.

٥/كشف القوانين التي تخضع لها اللغة في جميع نواحيها التي تسير عليها في مختلف مظاهرها، مثل القوانين الخاصة بنشأتها، وأدائها لوظائفها وعلاقاتها المتبادلة وعلاقاتها بغيرها من ظواهر (١)

١ / علي عبد الواحد وافي / علم اللغة / ص١٦

طرق ومناهج دراسة اللغة

(مناهج البحث اللغوي)

هناك عدة مناهج بحث أساسية رئيسة تعتمدها الدراسات اللغوية، وهي إجمالاً: المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج التقابلي، المنهج التجريبي، والمنهج الجغرافي، والمنهج الرياضي. وقد تطورت هذه المناهج تطوراً عظيماً بالدرجة التي أصبحت معها علوماً قائمة بذاتها في إطار علم اللغة العام، حيث نسمع اللغويون يقولون (علم اللغة الوصفي، وعلم اللغة التاريخي، وعلم اللغة المقارن، وعلم اللغة التقابلي، وعلم اللغة التجريبي، وعلم اللغة الجغرافي. وسنتناول كل منها بشيء من بعض التفصيل.

أولاً:

المنهج الوصفي Descriptive Method:

يقوم المنهج الوصفي على أساس تفسير الوضع القائم للظاهرة اللغوية موضوع البحث، بوصفها كما هي، وتحديد ظروفها، وأبعادها، وتوصيف العلاقات بينها، بهدف التوصل إلى وصف علمي دقيق متكامل للظاهرة موضوع البحث، يقوم على الحقائق العلمية المرتبطة بها. فتوصيف لغة ما أو لهجة ما في مستوى واحد أو عدة مستوياتها يكون بهدف التوصل إلى معرفة (بنيتها الصوتية، أو طريقة تضام أصواتها – صوامت، وصوائت – لتكوين وحدات لغوية أكبر، أو بهدف توصيف طرق بناء مفرداتها (المستوى المورفولوجي أو الصرفي) أو بهدف توصيف علاقة مفرداتها بعضها البعض في وحدات أكبر (المستوى النحوي) أو بهدف التعرف على أساليبها (المستوى الأسلوبي)، أو بهدف تحديد أثر هذه

اللغة أو اللهجة على مجتمع متكلميها من الناحية الاقتصادية، أو السياسية، أو التعليمية، أو الإدارية... الخ. تنتهي الدراسة العلمية للغة عندها بالوقوف على طبيعة ما تَمَّ وصفه من جوانب اللغة كما هو في واقعه الفعلي. دون التطرق لما يجب أن تكون عليه الظاهرة اللغوية أو مدى صحتها أو عدمه. وذلك لأن الوصف للظاهرة اللغوية هو الهدف الأول والأخير حسب مقررات المنهج الوصفي.

وعليه يقوم المنهج الوصفي على أساس وصف اللغة المراد دراستها كما هي، دون التطرق لما يجب أن تكون عليه، بمعنى آخر يقوم الباحث اللغوي بجمع المادة اللغوية للغة المراد دراسة جانب من جوانبها، ومن ثم يقوم بتطبيق خطوات المنهج الوصفي على المادة التي جمعها (١).

وتطور المنهج الوصفي في دارسة اللغة حتى صار اليوم علماً له أسسه ونظمه وضوابطه، وأصبح يسمى علم اللغة الوصفي، ونتج عن ذلك التطور ظهور عدد من المدارس الوصفية منها المدرسة البنيوية، ومدرسة النحو التحويلي التوليدي، ومدرسة القوالب.

١/ المدرسة البنيوية Structuralism

يرجع الفضل في تأسيس هذه المدرسة إلى فيردناند دي سوسير، إذ قام تلاميذه بجمع محاضراته ونشرها في كتاب بعنوان " محاضرات في علم اللغة ". وتتلخص مبادئ هذه المدرسة – كما جاءت عند صاحباها – (٢) التفريق بين ما يُسمى باللسان (La Langue) وما سماه بالكلام (La Parole)، فاللسان قصد عنى به أنواع الأنظمة وأنماط الأبنية التي تعود إلى منطوقات اللغة، أي بمعنى أن

١ / أنظر كتابي / مناهج البحث العلمي / ص ٣٥
٢ / أنظر تعريف اللغة عند دي سوسير في هذا الكتاب

اللسان هو نظام من المواضعات والإشارات التي يشترك فيها جميع أفراد مجتمع لغة ما، وتتيح لهم الاتصال اللغوي فيما بينهم. أما الكلام فعنى به المنطوق الفعلي من اللغة. أي ما ينطقه الفرد حقيقية تنزيلاً لما يختزنه في ذهنه، وأذهان جميع أفراد مجتمعه اللغوي. كما ذكرنا في تعريفه للغة (اللسان) هو اللغة، والكلام هو تحوّل اللسان إلى واقع منطوق. ويتصف اللسان (اللغة) عنده بأنه اجتماعي وجوهري، ومستقل عن الفرد، بعكس الكلام الذي يتوقف على إرادة الفرد وذكاءه (١). وبناء على ذلك فاللسان (اللغة) عنده يمثل الجانب التحتي لأن يشتمل على أنماط منتظمة (٢).

ويرى أن كل لسان (لغة) ينبغي أن يُنْظَرُ إليه باعتباره نظاما من العناصر المترابطة على المستوى الدلالي، والنحوي والصوتي، لا باعتباره كيانات قائمة بذاتها. وعليه يرى أن اللسان شكل (form) لا مادة. ولذا اعتبر البنيويون الجملة أساس اللغة لأنها تحمل أهم عناصر اللغة وهي الفونيم المكوِّن للمفردات، وتداخل المفردات تلك مع بعضها البعض لتكوين الجملة التي تحمل المعنى المراد توصيله للمخاطب، إذن عناصر اللغة عندهم هي الفونيمات، والتركيب، والدلالة، كلها موجودة في الجملة، ولذا اعتبروا الجملة هي اللغة أو هي محورها الأساسي (٣). إذن يرى دي سوسير أن اللغة هي الجملة في معناها الذي يحمل الفكرة المراد توصيلها، ولا يكون لهذه الفكرة (الدلالة الكلية للجملة) وجود إلا بالتركيب (السياق اللغوي)، وهذا السياق (التركيب) لا يكون له وجود إلا

١ / ففي ذلك إشارة إلى الجانب الإرادي في اللغة، وهو ما يميز اللغة الإنسانية عن بقية التعبيرات الفطرية، أو الغريزية.. الخ

٢ / إشارة إلى القوانين والنظم التي تحكم اللغة المحددة، مثل القوانين (الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والتركيبية، والأسلوبية.. الخ)

٣ / رمضان عبد التواب /المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / ص١٨٦

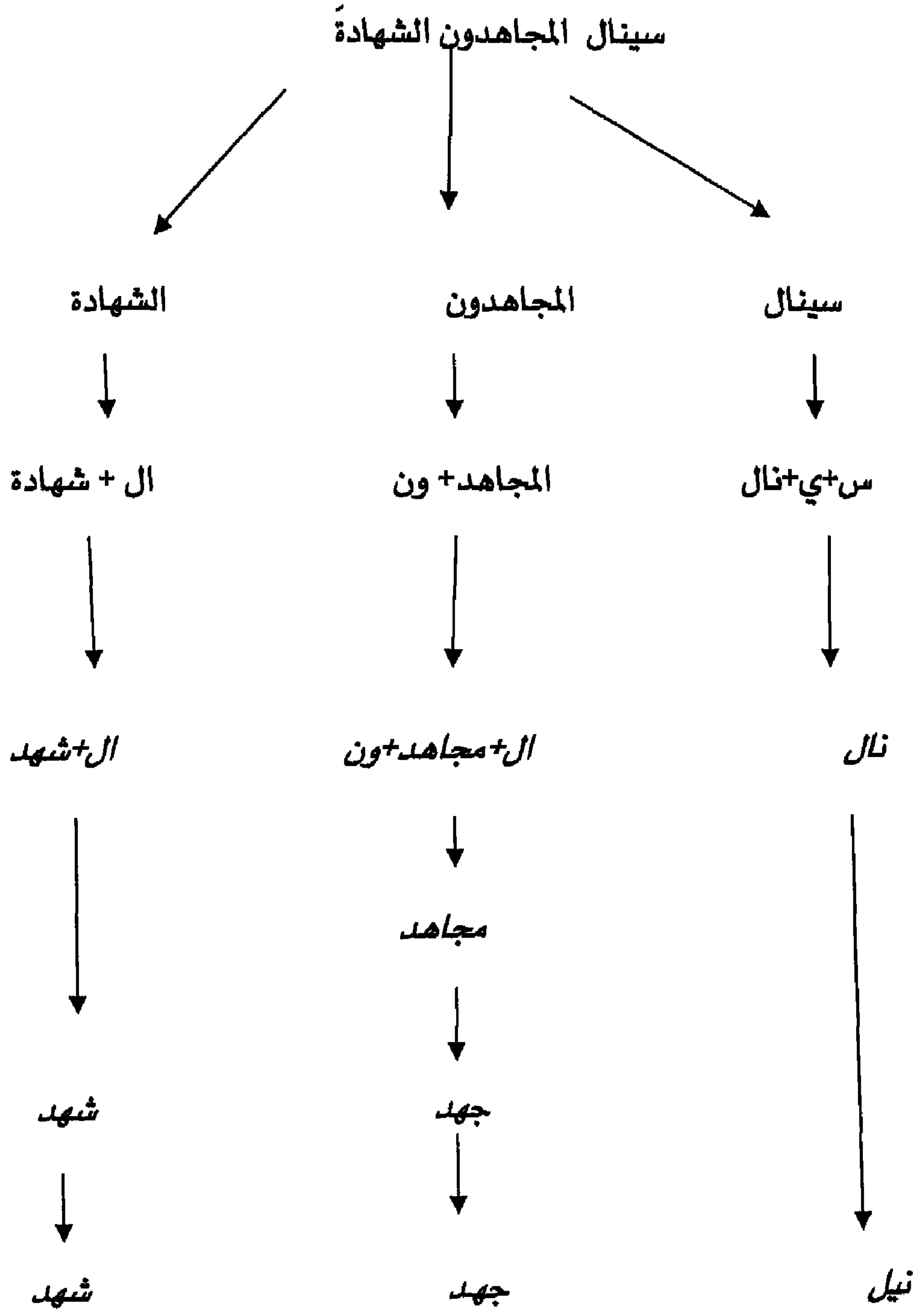
بالأصوات. فهم لم ينظروا لأي من عناصر اللغة منفصلاً عن العنصرين الآخرين. لأن العنصر الواحد (الصوت، أو التركيب، أو الدلالة) لا يدل على اللغة إلا بتضام العنصرين الآخرين معه. ولذا سُميت مدرستهم فيما بعد بالبنيوية لأنهم ينظرون إلى اللغة باعتبارها بناءً متكاملاً، عناصره (الفونيم، والتركيب، والمعنى)

ثم جاء بعد سوسير تلميذه إدوارد سابير الذي اعتنق مبادئ المدرسة البنيوية مع تركيزه على العقل والفكر. وخالف أستاذه في عدم اقتناعه بالفئات أو الوحدات اللغوية المتعارف عليها المعروفة بأجزاء الكلام. بل رأي آن الوحدات الأساسية مثل الاسم والفعل والعمليات النحوية الأساسية (ترتيب الكلمات في الجملة)، هذه كلها مسائل مشتركة في كل اللغات، والتي يُحتمل آن تكون لها عناصر مشتركة في المستويات الأساسية.

ثم جاء بعده بلومفيلد الذي كان من أتباع المدرسة السلوكية، فاختلف مع سابير في تركيزه على العقل. ويرى آن يقتصر عمل اللغوي في مراقبة الظواهر الخارجية للغة، تلك القابلة للقياس، والتي يمكن تطبيق مبدآ (المثير) و(الاستجابة) ([1]). كما اختلف مع البنيويين في الاهتمام بجانب المعنى الذي اعتبره أضعف نقطة في دراسة اللغة. فهو يرى آن وصف آي لغة يفترض آن يبدآ بالفونولوجي، باعتباره (المستوى الفونولوجي) أصغر الوحدات اللغوية الأساسية. وقد طبق آنصاره من بعده مبدأ التحليل البنيوي للجملة في اللغة وصولاً إلى آصغر الوحدات (الفونولوجية). كما في النموذج التالي.

---

١ / مبدأ المثير والاستجابة هو أهم مبادئ المدرسة السلوكية، التي تتعامل مع اللغة باعتبارها فعل له رد فعل، ففعل اللغة يتمثل في المثير، بينما رد الفعل ينمثل في الاستجابة لهذا المتبر اللغوي. فالمثبر اللعوي يترتب عليه استجابة إما رد فعل لغوي أو عملي (تنفيذ أمر فحوى المثير اللغوي).


سينال المجاهدون الشهادةَ
سينال
المجاهدون
الشهادة
س+ي+نال
المجاهد+ ون
ال + شهادة
نال
ال+مجاهد+ون
ال+شهد
مجاهد
جهد
شهد
نيل
جهد
شهد

وقد تنوعت وتعددت المدارس البنيوية مما يشير إلى تطور فكرة البنيوية، ومنها مدرسة براغ، والمدرسة الأمريكية التي أسسها بلومفيلد، كما ظهرت تنوعت وتعددت المدارس اللغوية التي اتخذت من البنيوية منطلقاً مثل مدرسة النحو التوليدي التحويلي، ومدرسة القوالب.

٢/ مدرسة النحو التوليدي التحويلي

Transformation Generative Grammar

الفكرة التي أثارها أدوارد سابير المتعلقة بتركيزه على العقل أو الفكر هي التي مهّدتْ لظهور مدرسة النحو التوليدي التحويلي. وقد رفضت هذه المدرسة الجديدة بعض أسس المدرسة البنيوية وهي:

أ/ من ناحية الموضوع،اتخذت من قدرة المتكلم على إنشاء الجمل التي لم يكن سمعها من قبل موضوعاً لها، بينما كانت المدرسة البنيوية تتخذ من النصوص اللغوية موضوعاً لها.

ب/ من ناحية أسلوب الدراسة والتحليل اعتمدت الحدث والتخمين، ثم إجراء الاختبار لتقويم الفروض المتضاربة. بينما كان البنيويون يعتمدون على وسائل الاستكشاف.

ج/ ومن حيث الهدف فهو عندهم تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء بناء الجملة. أما البنيويون فكان هدفهم تصنيف عناصر اللغة المدروسة.

د/ يرون أن اللغات تتشابه على مستوى المقصود (البنية العميقة deep structure) من المعاني. بينما يرى البنيويون أن لكل لغة بنيتها التي تتفرد بها، وتميِّزها عن غيرها من بنى لغوية.

هـ/ اهتموا بالمعنى في التحليل اللغوي، الأمر الذي لم يهتم به كثيرٌ من البنيويين الذين كانوا يهتمون بالشكل الخارجي أكثر من المعنى.

ومنشئ المدرسة التحويلية التوليدية هو هاريس (Harris)الذي فرَّق بين مجموعتين من الجمل، وهي الجمل النواة. والجمل غير النواة التي يتم اشتقاقها من الجمل النواة بواسطة القواعد التحويلية مثال:

١/ (كَتَبَ التلميذُ الدرسَ) جملة نواة، ونشتق منها عن طريق التحويل جملة غير نواة هي ٢/ مثلاً (كُتِبَ الدرسُ).

فالعلاقة التحويلية بين الجملتين هي

١/فعل متعدي مبنى للمعلوم + موورفيم المعلوم + اسم "١" + اسم "٢"

٢/ فعل مبنى للمجهول + مورفيم المجهول + اسم "٢"

فهنا عن طريق التحويل أُستبدِلَ مورفيم البناء للمعلوم بمورفيم البناء للمجهول، وحُذف الاسم "١" ووضع بدلاً عنه الاسم " ٢ ".

ومن بعده جاء نعوم جومسكي وقفز بالمدرسة التحويلية قفزة نوعية،وذلك بمهاجمة المنهج البنيوي في اعتماده على الفونيمات والمورفيمات في الدراسة، فهو يرى أن هذا غير مجدي بسبب أن كل لغة بها عدد محدود من الفونيمات والمورفيمات، غير أن عدد الجمل في أي لغة هو عدد غير متناه، إذ لا حدَّ لعدد الجمل الجديدة التي يمكن إنشاؤها. كما يرى أن المدرسة البنيوية غير قادرة على شرح العلاقات التي يمكن أن تقوم بين مختلف الجمل، فقد تشترك جملتان في الشكل، وتختلفان في المعنى اختلافاً جذرياً مثل الجملتين:

صراخُ المجرمِ لَمْ يُؤثِّرْ في الناسِ

عِقابُ المجرمِ لَمْ يُؤثِّرْ في الناسِ

فالجملتان من حيث الشكل الخارجي متطابقتان، بينما تختلفان في المعنى كلياً. كما يرى أن هناك جمل تحتمل معنيين مختلفين، دون أن يميِّز الشكل الخارجي بينهما مثل قولك (كان عِقابُ خالد صارماً) فهنا يحتمل أن يكون معنى الجملة أن خالد (مُعاقَب) أي هو مَنْ وقع عليه العِقاب، ومن المحتمل أيضاً أن يكون خالد هو من عاقب غيره عقاباً صارماً.

هذه الأمور وغيرها هي التي قادت جومسكي إلى التفريق بين بنيتين للجمل، الأولى سماها البنية السطحية الظاهرة (surface structure)، وهو الذي يُنطق فعلاً من كلام [1]. والثانية سماها البنية العميقة (deep structure) وهي التي تكون فيها العلاقات المعنوية (الدلالية) واضحة. وما يُنظِّم العلاقة بين هاتين البنيتين هو القوانين التي تُطبق على النوع الثاني(العميق) فيتحول إلى (سطحي)، وهذه القوانين سماها القوانين التحويلية Transformation Rule.([2]). ولذا سُميت مدرسته بالمدرسة التوليدية التحويلية. ومن ذلك نفهم أن نظرية جومسكي (النظرية التوليدية التحويلية) انبتت على الأساسين التاليين:

أ/ الأول وهو التوليد(Generative):

ويعنى به أن في وسع أي لغة أن تنتج عدداً لا نهائي من الجمل الصحيحة نحوياً، وعليه يستطيع أي فرد إنتاج جملة أو جمل لم يسبق أن نطق بها أحد من قبل، مع صحتها ومطابقتها لقوانين اللغة مثل قولي " كتبتْ مروحةُ السقفِ بحثاً

١ / واضح من تفريقه بين نوعين من الجمل أنه استفاد من فكرة دي سوسير في التفريق بين اللغة (البنية العميقة، أو النظام التحتي) والكلام الفعلي (البنية السطحية).

٢ / أنظر رمضان عبد التواب / المرجع السابق / ص١٨٩-١٩٠

لغوياً فلسفياً مميزاً ونالت عليه درجة الماجستير". وقد اعتمد جومسكي على المنهج الرياضي إذ تعامل مع الجملة اللغوية الخاضعة لقوانين (صوتية وصرفية، ونحوية، ودلالية) وباعتبارها مركّب من العناصر السابقة مثلها ومثل المعادلة الرياضية مثلاً (٢س +٣ص – ق) فهنا يمكن أن تكون قيم المتغيرات (س، ص، ق) أي رقم صحيح فلا يكون هناك تناقض في النتائج ما دامت اعتمدت قانون المعادلة، وكذلك يرى الجملة في اللغة فكل جملة في لغة ما، هي عبارة عن هيكل يمثل قانون التركيب، ويأتي المتكلم بملء هذا الهيكل بمادته اللفظية (المفردات)، ولا يصح أن نقول أن هذه الجملة أو تلك غير صحيحة ما دامت ملتزمة بالقواعد النحوية للجملة في لغة ما.

ب/ الثاني: **التحويل** (Transformation):

وهو تحويل مكونات الجملة من مواضعها ما دامت تحتفظ بالعلاقات التي تربطها مع بعضها البعض، وهذا ينطبق على أغلب اللغات خاصة العربية التي تتميز بطواعية عالية في تغيير أوضاع المفردات داخل التركيب بوجود العلامات الإعرابية التي تميِّز الوظائف النحوية للمفردات داخل التركيب مهما كانت مواضع تلك المفردات داخل التركيب.(١) كما أعتمد جومسكي فكرة آقرب إلى ما ذهب إليه دي سوسير وهو أنه يفرِّقُ بين نوعين من البنى البنية العميقة Deep structure، والبنية السطحية Surface structure، والبنية العميقة عنده هي القواعد النحوية والدلالية للغة بينما البنية السطحية هي الكلام.

١ / نعوم جومسكي / جون لوينز / ترجمة بابكر عمر عبد الماجد / ص١٤/١٥

٣/ مدرسة القوالب Tag meme Analysis.

تشترك هذه المدرسة مع جومسكي في ما ذهب إليه في أن هناك جانبين في دراسة اللغة هما (الكفاءة Competence) (والأداء Performance). وترى هذه المدرسة أن مهمة القواعد اللغوية هي تقديم نموذج للكفاءة، بينما الأداء يتمثل في تنزيل تلك الكفاءة إلى الواقع (الكلام). وتري أن التحليل اللغوي يعنى طائفة من الإجراءات لوصف اللغة، ويعتمد على وحدة نحوية أساسية تسمى القالب tagmeme وترد هذه الوحدة ضمن مركب على هيئة سلسلة من العناصر تقع ضمن مستويات محددة من المستويات النحوية المختلفة. والقالب هو عبارة عن ارتباط الموقع الوظيفي والوحدات التي تشغل هذا الموقع، والوحدات التي تشغل الموقع مؤلفة من وظيفة وشكل. فمثال للمواقع الوظيفية في قولك (ضَرَبَ محمدٌ خالدا) ثلاثة مواقع: هي:

١/ موقع المسند: تشغله كلمة (ضرب) / (وظيفة + شكل.)

٢/ موقع المسند إليه: تشغله كلمة (محمد) (وظيفة+شكل)

٣ / موقع المفعول: تشغله كلمة (خالد) (وظيفة + شكل) ([1])

فهنا يمكن أن تتغير مواضع المواقع الوظيفية. فالوظيفة والشكل تتمثلان في أن الموقع الوظيفي يمكن آن يشغله واحد من فئة الشاغلات القابلة للتبادل بينها، وتصنف إلى أشكال. مثلاً موقع المسند إليه يمكن آن يشغله شاغل (ضمير، أو علم، أو عبارة اسمية.. الخ)

والقوالب أنواع حسب مكوناتها التي تشكلها. منها القالب الإجباري الذي يرد في كل حالات ظهور البنية اللغوية، ومنا القالب الاختياري، والقالب

١ / الوظيفة تتمثل في الوظيفة النحوية التي تؤديها الكلمة في التركيب باعتبارها حدث، أو ما قام به، أو ما وقع عليه بالترتيب في المثال. بينما الشكل يمثله (كلمة ضرب، وكلمة محمد، كلمة خالد) على التوالي

الأساسي، والقالب الثانوي، والقالب الثابت وهو الذي يثبت موضعه في التركيب ولا يتغير. ونأخذ المثال التالي لهذه الأنواع من القوالب وهو:

المثال: (المناهج الجامعية الجديدة نقلت طالبات الآداب عبر المؤسسات العام الماضي)

فالجملة السابقة تكوَّنتْ من سلسلة من القوالب وهي:

مسند إليه: عبارة اسمية (المناهج الجامعية الجديدة) + مسند: فعل متعدي(نقلت) + مفعول به: عبارة اسمية(طالبات الجامعة) + مفعول فيه – ظرف مكان (عبر المؤسسات) + عبارة ظرفية + مفعول فيه ظرف زمان (العام الماضي).

فهنا القوالب الإجبارية في التركيب السابق هي:

١/ المسند إليه (المناهج)، ٢/ الفعل المتعدي (نقلت).

والقوالب الاختيارية هي المفعول فيه (عبر المؤسسات) و (العام الماضي)

والقوالب الأساسية هي: المسند والمسند إليه معاً في قالب واحد.

والقوالب الثانوية هي الصفات (الجامعية، والجديدة،) إضافة للإضافة (المضاف إليه) كلمة (الآداب).

وقد يتّم ترتيب المركبات القالبية (قوالب التركيب) في شكل عدد من المستويات – أكثرها شيوعاً- هي:

١/ الكلمة: التي تمثِّلُ المستوى النحوي، والذي يُحلَّل إلى مستوياتها المكوِّنة لها (المورفيمات morphemes).

٢/ العِبارة: وهو المستوى النحوي الذي يُحَلّل إلى مجموعات الكلمات ذات الأبنية إلى مكوناتها الصغرى (الكلمات).[١]

٣/ ومستوى التركيب: وهو المستوى النحوي الذي تُحلّل عناصره إلى مكوّناتها (مسند ومسند إليه، وتكملة أو فُضْلَى)

٤/ مستوى الجملة: وهو المستوى النحوي الذي نُحلّل فيه الجمل الكُبرَى إلى تراكيب أصغر.

المنهج التاريخي: Historical Method

يقوم المنهج التاريخي على تتبع الظاهرة، أو المشكلة مجال الدراسة منذ نشأتها، وتحديد مراحل تطورها، والعوامل التي تأثرت بها ووضعها القائم. ويتم ذلك بهدف تفسير المشكلة في سياقها التاريخي، واستخلاص النتائج المرتبطة بها، لتساهم في الفهم المتعمق لماضي الظواهر والمشكلات، والتعّرُّف الموضوعي لاتجاهاتها في المستقبل.

وعند تطبيقه على اللغة يكون بدراسة ظاهرة، أو عدة ظواهر لغوية دراسة طويلة، بمعنى أنه يتم من خلال تتبع الظاهرة اللغوية في العصور المختلفة عبر الزمن، وفي أماكن مختلفة، للتعرف على التطورات والتغيرات التي حدثت فيها، والوقوف على سرُّ تلك التطورات، والعوامل الموضوعية التي أدت إلى تلك التطورات، والقوانين التي خضعت لها تلك التطورات. وذلك لأن اللغة ظاهرة ديناميكية، خاضعة للتغير المستمر عبر الزمان متأثرة بجميع الأنشطة

١ / مثل عبارة الفاعل (noun Phrase (N.P)، وهي حينما يرد الفاعل مثلا على هيئة مركبة أي مكوّن من أكثر من كلمة. وعبارة الفعل (Verb Phrase (VP)، حينما يتكوّن الفعل من أكثر من كلمة (في اللغة الإنجليزية.. الخ

الاجتماعية، والسياسية، والعقلية.. الخ لمتكلميها. أما المادة التي يعتمد عليها الباحث اللغوي الذي يتخذ المنهج التاريخي طريقاً لدراسة اللغة، فيمكن أن تكون مادة مسجلة مسموعة إن أمكن، أو تكون الوثائق والنصوص التاريخية المدونة، أو الوثائق والمدونات التاريخية، أوتقارير ومذكرات الشهود، أوالموسوعات والتراجم، أو الدراسات والبحوث، والمراجع.

فهذه المدونات قد لا تمكِّن الباحث من الوقوف على التغيرات الصوتية تحديداً، وذلك لأن الكتابة لا تصوِّرُ أصواتَ اللغةِ تصويراً دقيقاً يميِّز الفروق الصوتية، والتنغيمية والنبر، وغيره من ظواهر صوتية. ولذا تُعْتَبرُ نتائجُ الدراسةِ التاريخية – اللغوية الصوتية بالذات- تقريبية وليست يقينية راسخة. ولكن تستخدم نتائجها لتساهم في الفهم المتعمق لماضي تلك الظواهر والتعرف الموضوعي لاتجاهاتها في المستقبل.

ويتناول الدرس اللغوي التاريخي مستويات الاستخدام اللغوي في بيئات مختلفة عبر العصور، وتطورُ هذا الاستخدام عبر الأجيال والأجيال اللاحقة، ويتناول انتشار وانحسار اللغة في مناطق مختلفة.

وتطور هذا المنهج وأصبح فرعاً رئيساً من فروع علم اللغة العام وهو علم اللغة التاريخي. وقد استخدمه اللغويون في التعرّف على كثير من الظواهر اللغوية التي مرّتْ بها اللغات، واللغة العربية خاصة، مما ساهم إلى حدٍ كبيرٍ في تعريفنا بالمراحل التاريخية التي مرت بها اللغة العربية، في جميع مستوياتها عبر التاريخ بدأً من العصر الإسلامي الأول، ومروراً بالعصور اللاحقة له (العباسي، المملوكي، التركي، الحديث، المعاصر)، ومن خلال هذه البحوث التاريخية نستطيع أن

نرسم شكلاً بيانياً نوضحُ فيه فترات رُقي وانحطاط، وتطور وتدهور اللغة العربية عند الناس (العامة) عبر تاريخها الطويل.

المنهج المقارن: Comparative Method

يتناول مجموعة من اللغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة بالمقارنة بينها في مختلف مستوياتها، ويهدف إلى إثبات الصلة بينها مما يشير إلى أنهما منحدرتان من أسرة واحدة، أو لإثبات الصلة بينهما. وعليه قد تُجْرَى الدراسة المقارنة بين لغتين، أو أكثر، وقد تشمل الدراسة المقارنة مستوى لغوي واحد أو جميع مستويات اللغة، بهدف الوقوف على نقاط الاتفاق بين اللغتين واتخاذ تلك النقاط دليلاً على إثبات صلة قرابة ما تجمع بين اللغتين، مع أخذ الاعتبارات غير اللغوية والعوامل التي قادت إلى الاحتكاك بين شعبي اللغتين في الحسبان، بسبب المجاورة أو الغزو أو الهجرة أو غيرها من عوامل الاحتكاك اللغوي. ويؤخذ هذا الاعتبار في الحسبان لأنه يبرر أوجه التشابه بين اللغتين ويؤكد عدم وجود صلة القرابة بينهما إذ أن الاتفاق بين اللغتين في بعض طرق الاستخدام في أي مستوى ما هو إلا تأثير وتأثر بينهما، ولا يثبت صلة القرابة بينهما. وقد أُجريتْ كثير من الدراسات المقارنة بين اللغات السامية، وقام بتلك الدراسات بعض المستشرقين، واللغويون العرب أثبتت نتائجها الصلات القوية بين تلك اللغات مما يشير إلى انحدارها من أصل واحد. (١) أو بالأحرى كانت في يوم من الأيام لهجات للغة أصل(أم) واحدة ومن ثم تفرَّقتْ بها السبل وتطورت كلٍ منها على حدا بسبب عوامل خارجية إلى أن صارت كل منها لغة قائمة بذاتها.

---

١ / أنظر باب اللغات السامية من هذا الكتاب

المنهج التقابلي Contrastive

يقوم على مبدأ المقارنة بين لغتين بهدف التوصل إلى نتائج تشير إلى مدى الاختلاف والاتفاق بينهما في مستوى واحد، أو أكثر. وتُستَخدَمُ نتائجه في تدريس اللغات الأجنبية، إذ تمثل نقاط الاختلاف بين اللغتين صعوبات تواجه متعلمي اللغة الأخرى، وعلى واضع المنهج [1] في هذه الحالة تكثيف التدريبات اللغوية التي تعالج نقاط الاختلاف بين اللغتين لأنها بالضرورة تشكّل صعوبات تواجه متعلمي اللغة الثانية. بينما تمثّل نقاط الاتفاق تسهيل عملية تعليم اللغة الأجنبية. فمثلاً يمكنك أن تقوم بدراسة تقابلية بين اللغتين العربية مثلاً والصينية، في المستوى الصوتي أو جميع المستويات. فتعمد إلى جمع المادة الصوتية مثلاً في المستوى الصوتي للغة الصينية، - إن لم تجد مادة معدة أصلاً – ومن ثم تقوم بمقارنة البنى الصوتية بين اللغتين فتجد أن هناك فروقات صوتية بين اللغتين مثل وجود صوامت في الصينية لا وجود لها في العربية، فهذه النقطة تمثّل نقطة اختلاف بين اللغتين،و قد تجد صوامت في العربية لا وجود لها في الصينية. وعندها تشير في نهاية الدراسة الصوتية التقابلية الخاصة بالصوامت. أن الصوامت كذا.. وكذا وكذا (العربية غير الموجودة في الصينية) تمثل صعوبات صوتية تواجه متعلمي اللغة العربية الناطقين بالصينية لغةً أماً لهم. وبالمقابل تحدد الصوامت (الصينية غير الموجودة في العربية) وتشير إليها بعد إحصائها بأنها تشكل صعوبات تواجه العرب الذين يَقْبلُون لتعلُّم اللغة الصينية. فيقوم واضعو منهج تدريس العربية للصينيين، وواضعو منهج تدريس الصينية للعرب باعتماد نتائج دراستك، والاهتداء بها في وضع المنهج بتكثيف التدريبات في تعلم الأصوات

١ / منهج تدريس لغة أجنبية (أي تدريس لغة لدارسين ليست هي لغتهم الأولى، أو الأم)

غير الموجودة في اللغة الأم للمتعلم من أي من الجانبين. وهكذا تعمل مع بقية المستويات اللغوية (المورفولوجي " الصرفي"،والنحوي، والتركيبي، والدلالي، والأسلوبي) كما فعلت مع المستوى الصوتي.

إذن يُستخدَمُ المنهجُ التقابلي أصلاً في ميادين علم اللغة التطبيقي (Applied Linguistics)، للاستفادة من نتائجه في تصميم مناهج تعليم اللغات الأجنبية.

المنهج الجغرافي: Geographical Method

يقوم المنهج الجغرافي على أساس دراسة لغة، أو لغات أو لهجات في حيز جغرافي محدد متناولاً – بعد وصفها اعتماداً على المنهج الوصفي - وضعها الحالي وتوزيعات متكلميها في المكان، مقارناً بينها وبين غيرها على ضوء العوامل الموضوعية الحديثة، مثل عدد المتكلمين والتوزيعات الجغرافية للغة، بجانب أهميتها التجارية والعلمية والسياسية والإستراتيجية والثقافية ([1]).. ومن ثم يقوم الباحث بتنزيل نتائج دراسته الوصفية في خرائط لغوية، وتُضم تلك الخرائط مع بعضها البعض – ممثلة جميع الظواهر اللغوية (صوتية، مورفولوجية.. الخ) في ما سُمّي بالأطلس اللغوي

١ / أنظر باب علوم اللغة علم اللغة الجغرافي في الباب الثاني

طرق جمع مادة البحث اللغوي:

رأينا أن نخصص هذه الصفحات من هذا الكتاب للحديث عن طرق جمع المادة اللغوية، التي تُجرى عليها الدراسة سواء كانت وصفية أم تاريخية أم متبعة أي منهج من المناهج اللغوية. والطرق هي:

١/ الطريقة الأولى: طريقة الملاحظة المباشرة:

هذه الطريقة لا يستخدم فيها الباحث اللغوي التجارب أو الأجهزة، بل يكتفي بملاحظة الظواهر اللغوية في حالاتها العادية، ويستعين في هذه الملاحظ بحواسه الذاتية. والملاحظة أنواع حسب الاعتبارات:

❖ باعتبار الظاهرة المراد ملاحظتها وهي قسمان هما:

(١) صوتية وهي ملاحظة الظواهر اللغوية المتعلقة بالصوت.

(٢) دلالية وهي ملاحظة الظواهر اللغوية المتعلقة بالمعنى.

❖ وباعتبار نوع اللغة تنقسم الملاحظة إلى:

(١) ملاحظة اللغات الميتة وتتحقق بالاعتماد على الوثائق والنصوص التاريخية.

(٢) ملاحظة اللغات الحية بالملاحظة المباشرة الشخصية الذاتية للباحث.

❖ باعتبار الباحث نفسه تنقسم إلى:

(١) ملاحظة ذاتية أو ما يصدره الباحث من ظواهر لغوية باعتباره فرداً من أفراد مجتمع اللغة موضوع الدراسة.

(٢) ملاحظة خارجية وهي ملاحظة الباحث لما يصدر من شخص آخر من ظواهر لغوية.

الطريقة الثانية: طريقة الأجهزة:

يعتمد فيها الباحث اللغوي على الأجهزة لكشف الظواهر اللغوية، وهذا النوع أكثر ما يُستخدم في دراسة الجانب الصوتي. إذ تمكّن الأجهزةُ الباحثَ من إدراك الفروق الصوتية الدقيقة وتحليلها إلى أصغر مكوناتها، تلك التي تعجز الأذن البشرية من إدراكها وتمييزها والوقوف على الفروق الدقيقة بينها. إضافة إلى استخدام أجهزة التشريح التشخيصي التي تُستخدم لملاحظة الأوضاع التي تتخذها المخارج الصوتية أو أعضاء الجهاز النطقي أثناء الكلام. بجانب كثير من الأجهزة التي تقوم بوظائف التحليل الصوتي مثل السيموغراف Kymograph([١])، والسونوغراف Sonagraph([٢])، والسبكتوجراف Spectrograph ([٣]). مع ملاحظة أن أجهزة التحليل الصوتي كلها تنتهي بمقطع graph مما يشير إلى أنه تُعطى نتائج مرئية للتحليل الصوتي للكلام.

الطريقة الثالثة: الطريقة التجريبية:

وتقوم على أساس تغيير الظروف الطبيعية المحيطة بالظاهرة اللغوية موضوع الدراسة، وتُستخدم تلك خاصة في طرق تعليم اللغات، وإعداد وتقويم المناهج اللغوية (مناهج تدريس اللغات)، سواء كانت لغة أولى أو ثانية). بتحديد مجموعة

١ /هو جهاز ميكانيكي يحوّل الكلام المنطوق إلى اهتزازات فيشكل خطوط متعرّجة، موضحاً بداية ونهاية أي صوت في الكلام المسجل عليه، كما يقيس ضغط الرئتين أثناء الكلام، وشدة ذبذبة الوترين الصوتيين. وتحديد الكم الزمني الذي يستغرقه كل صوت، وتوضيح الفروق بين الأصوات القوية، والضعيفة..

٢ / هو جهاز أخر يقوم بنفس وظائف الجهاز السابق إلا أنه الكتروني أكثر دقة في نتائجه.

٣ / يجمع هذا الجهاز ثلاث وظائف في جهاز واحد هي إنتاج الذبذبات الصوتية والنغمات، تسجيل شدة الصوت في شكل رسم بياني (قمم)، وتحليل النغمات الموجودة في الصوت

ضابطة يُقدَّم لها المنهج ومن ثم قياس مدى تحقق أهدف المنهج فيها. أو تُستخدم لتدريس النحو، والقراءة، وتجارب الاكتساب اللغوي.وغيره في علم اللغة التطبيقي.

الطريقة الرابعة: طريقة قياس الغابر على الحاضر:

يعتمدها الباحث حينما يريد التعرف على عوامل تطور ظاهرة لغوية حالية. فما عليه إلا الرجوع إلى ما كان عليه حال اللغة المراد دراستها عبر التاريخ، وتتبع الظاهرة تاريخياً للوقوف على العوامل تلك باعتبارها نتائج أدت إلى بروز الظاهرة موضوع الدراسة، وما انطبق على الظاهرة في اللغة عبر التاريخ بالضرورة ينطبق على ما عليه اللغة الآن. وتستخدم خاصة في معرفة التطور الدلالي للمفردات.

ميادين بحوث علم اللغة ومجالاته:

يضم علم اللغة عددٌ كبيراً من البحوث منها:

١/ البحوث المتعلقة بنشأة اللغة الإنسانية Origin of Language والأشكال الأولى التي ظهر فيها التعبير، والمراحل التي مرت بها اللغة الإنسانية منذ طفولتها الأولى إلى نضجها. ونشأة مراكز اللغة في النوع الإنساني. وأُعتبرت نتائج هذا النوع من البحوث ظنيةً وليست يقينية لعدم وجود مادة لغوية تعبِّر عن اللغة الإنسانية في مراحلها الأولية تلك، يمكن أن تُجرى عليها الدراسة (١)

٢/ البحوث المتعلقة بحياة اللغة وما يطرأ عليها من غنى وفقر، وسعة وضيق، وحياة وموت..الخ. وانقسامها إلى لهجات وتطور اللهجات إلى لغات وغيره. وما يطرأ

١ / أنظر باب نظريات نشأة اللغة فى هذا الكتاب

علـى اللغـة مـن هـرم ومـوت، أو نـشأة وتطـور. ومـن أهـم فـروع هـذا الجانـب علـم اللـهجيات Dialectology وموضـوعه دراسـة الظـواهر المتعلقـة بانقـسام اللغـة إلى لهجات حسب العوامل الاجتماعية والبيئية والعرقية.. وغيرها من عوامل [1]

٣/ دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة Phonetics علم الأصوات اللغوية، يعنى بدراسة الأصوات وبيان تنويعاتها وخصائصها وصفاتها ومخارجها، بجانب تشريح المخارج الصوتية، ، وديناميكية إنتاج الأصوات. وقد تطورت البحوث الصوتية في علم اللغة وأصبحت علماً قائماً بذاته (علم الأصوات) ويضم عدداً من العلوم مثل علم الأصوات النطقي .Articulator Phoneticsوعلم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكيAcoustic Phonetics، وعلم الأصوات السمعي Auditory Phonetics [2]

٤/ دراسة كيفية دخول هذه الأصوات في تنويعات لتكوُّن وحدات لغوية أكبر وهي الجذور stem، ويسمى علم الفونولوجي Phonology، والتي تمثل المادة الخام التي يشتق منها الكلمات ذات الدلالة العرفية الاجتماعية.

٥/ دراسة وحدات لغوية أكبر من المورفيم (الكلمة) وهي التركيب أو الجملة، من خلال بحث العلاقات التي تربط أجزاءها بعضها البعض

١ / أنظر باب علم اللغة الاجتماعى

٢/ علم الأصوات النطقي Articulator Phonetics يهتم بالعمليات الميكانيكية التى تجرى فى الجهاز النطقي للمتكلم لإنتاج الأصوات (صوائت، وصوامت) المستخدمة فى تكوبن الكلمات والجمل.أما علم الاصوات الفيزيانى أو الأكوستيكي Acoustic Phonetics فيهتم بدراسة الأصوات باعنبارها موحات صوتية frequencies تسرى عبر وسيط هو الهواء في المنطقة بين فم المنكلم واذن السامع،، وعلم الأصوات السمعى Auditory Phonetics يهتم بدراسة كيفية انتقال الموجات الصوتية بعد تحولها إلى نبضات عصبية تسرى عبر العصب السمعى من أذن السامع الى دماغه.

(العلاقات النحوية Grammatical Relations ويسمى علم التراكيب أو النحو Syntax, Structure.

٦/البحث في القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات (المورفومات Morpheme) وتصريفها وتغير دلالاتها حسب الصيغ الاشتقاقية وأوزانها من الجذور. ويسمى هذا العلم المورفولوجي Morphology علم الصرف، أو علم البنية. وقد تطور علم المورفولوجي ليشمل جوانب كثيرة منها

(i) ما يتعلق بالتعليم والتدريب اللغوي يسمي بالمورفولوجيا التعليمية Educational Morphology وهو يدرس القواعد الصرفية بهدف جمعها وترتيبها وتنسيقها ليسهل تعلمها.

(ii) ومنه المورفولوجيا التاريخية Historical Morphology، يسمى علم البنية التاريخي ويضطلع بدارسة القواعد الصرفية دراسة تاريخية تحليلية، فيدرس الأشكال التي كانت عليها في أقدم مراحل اللغة المدروسة، وما طرأ عليها من تغير في مختلف العصور وعوامل تلك التغيرات ونتائج التغير، والقوانين التي سارت عليها عبر التاريخ.

٧/ البحوث المتعلقة بأقسام المفردات (اسم، فعل، حرف) وأنواع كل قسم، ووظيفته وترتيبه في الجملة علم النحو (syntax). وهو أيضاً يشمل جوانب بحثية متعددة منها الوصفي، والتاريخي، والمقارن، والتعليمي.

٨/ دراسة اللغة من حيث دلالة مكوناتها ، علم الدلالة Semantic. ويشمل هذا الفرع عدداً من البحوث والعلوم أهمها

البحث في معاني المفردات ومصادر هذه المعاني واختلافها باختلاف عصور اللغة وبيئات متكلميها ، وموت بعض معاني الكلمة ، ونشأة معان جديدة حسب الظروف الاجتماعية التي يمر بها مجتمع اللغة ، ونتائج ذلك. ويسمى هذا الفرع علم المعاجم lexicons.

يمثله الجانب النظري في علم الدلالة ويتناول بالبحث علاقة اللفظ بالمعنى، والأنماط الدلالية ، والعلاقات الدلالية.. وغيرها.

٩/ دراسة أساليب اللغة حسب المقام (الموقف الكلامي) وباختلاف فنون اللغة (شعر، نثر، خطابة، كتابة، مسرح...الخ) باختلاف العصور. والأمم الناطقة باللغة موضوع الدراسة، مع التركيز على العوامل التي قادت إلى تغير وتطور الأساليب في اللغة ، ويسمى علم الأساليب أو البلاغة Stylistic..

١٠/ دراسة الأصول التي انحدرت منها كلمات اللغة ، ويسمى علم الأتومولوجيOtomology.ومن أهم شُعب الأتومولوجي هو الفرع المسمى بالأنوماستيك Onomastic وموضوعه البحث في أصول الأسماء في اللغة أسماء الأعلام والقبائل، العشائر ، الجبال الأنهار وغيرها.

١١/ بحوث اجتماعية تهدف إلى بيان العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية على اللغة، وأثر اللغة على المجتمع، ويسمى علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics. (١)

١٢/ بحوث نفسية تدرس العلاقة بين اللغة كظاهرة، والظواهر النفسية بمختلف أنواعها من تفكير وخيال، وتذكر ووجدان ونزوع...الخ. وتشرح ما تؤديه اللغة من وظائف متعددة في أدائها على ظواهر نفسية مثل الإيحاء والتأثير. بجانب بحوث الاكتساب اللغوي Language Acquisition لدى الأطفال، ويسمى علم اللغة النفسي Psycholinguistics.

١ / أنظر باب علم اللغة الاجتماعي في هذا الكتاب

الباب الثاني

علوم اللغة

* نظريات نشأة اللغة

علوم اللغة

يستعين علم اللغة بعدد من العلوم الأخرى في دراسة الظواهر اللغوية منها علم الاجتماع وعلم النفس، وعلم الأجناس وعلم وظائف الأعضاء، وعلم الجغرافيا وعلم التاريخ ([1])، وعلم الرياضيات وغيرها من علوم. وقد تطورت علاقة علم اللغة بتلك العلوم بالدرجة التي ظهرت معها علوم مزيج بينه وبينها مثل علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الجغرافي وعلم اللغة التاريخي. وسنعرض بشيء من التفصيل لبعض هذه العلوم.

علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics:

ارتبطت اللغة بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وأصبح من الصعوبة بمكان دراسة أي ظاهرة من الظواهر اللغوية المتعددة بمعزل عن محيطها الاجتماعي الذي تستخدم فيه، كما لا يمكن دراسة الظواهر الاجتماعية دون التطرق للغة باعتبارها وعاءً حامل للظواهر الاجتماعية يتخذه المجتمع وسيله للتعبير عن ظواهره المختلفة. ولذا قويت الصلة بين اللغة والمجتمع مما قرّب المسافة بين علم اللغة وعلم الاجتماع. فأظهرت هذه الصلة مسارين لتلك العلاقة عُبِّر عنهما بمصطلحين في إطار علاقة اللغة بالمجتمع

أولهما علم اللغة الاجتماعي Sociolinguisticsوهو دراسة اللغة من خلال علاقتها بالعوامل الاجتماعية المختلفة مثل الطبقات الاجتماعية، مستوى التعليم، النوع (sex)، الأثنية (الأصول العرقية)....الخ وذلك حسب ما ورد في تعريفه في

١ / محمود السعران / مرجع سابق / ص٦٢

معجم علم اللغة الاجتماعي ([1])، أما المصطلح الثاني وهي علم الاجتماع اللغوي Sociology of Language فهو يدرس التصنيف اللغوي والمجتمعات اللغوية في إطارها الاجتماعي (الثنائية اللغوية، التخطيط اللغوي التغير اللغوي.....الخ ([2]). فاللغة وثيقة الصلة بالمجتمع لأنها ثمرة العلاقة الاجتماعية ووسيلة نقل الثقافة ([3])، والثقافة هي مجموعة الخبرات والتجارب الإنسانية التي تنتقل عبر الأجيال وتُبْنَى بناءً تراكمياً، بمعنى أن أي جيل يبني خبراته ومعارفه ابتداءً من النقطة التي انتهى عندها الجيل السابق، وهذا ما يميِّز الإنسان عن الحيوان إذ أن اللغة هي ناقل الخبرات والتجارب الإنسانية. فالجيل الإنساني الأول اكتشف العالم من حوله وتناقل أفراده خبراتهم وتبادلوها عن طريق اللغة، فقام ذاك الجيل بإضافة خبراته الشخصية للرصيد الثقافي لبني جنسه، ونقل كل ذلك عن طريق اللغة إلى أبناءه من بعده، وقام الأبناء بإضافة خبراتهم ومعارفهم لخبرات ومعارف أبائهم التي تسلموها عن طريق اللغة، ونقلوها عن طريق اللغة إلى أبناءهم، وهكذا إلى جيل اليوم، بينما عالم الحيوان خالي من الثقافة بسبب غياب عامل نقلها وتبادلها وهو اللغة، الأمر الذي يجعلنا نفرِّغ أصوات الحيوان من معاني ودلالات اللغة. وعلاقة اللغة بالمجتمع ينبغي أن تُؤخذ من حاجة كل منهما للآخر، فلا وجود للغة في غياب المجتمع، لأن اللغة في الأصل يستخدمها بنو البشر بهدف الاتصال بين بعضهم البعض. وعلى هذا الأساس فإذا قُدِّر لشخص ما أن يعيش في جزيرة معزولة دون أن تتاح له أي فرصة للاتصال بغيرة فترة طويلة، فسيكون هذا

١ / *Sociolinguistics: The study of Language in relation to social factors , that is social class, educational level and type of education , sex ethnic ,origin ect*
long Man / Dictionary of Sociolinguistics/ Page ٢٦٢

٢/ *: Sociology of Language: study of Language varieties and their users within a social framework , ex: bilingualism, language planning, Language maintenance, and Language shift*
IBID / Same Page

٣ / ماريوي باي / أسس علم اللغة / ص٤٢

الشخص عرضةً لفقد اللغة تماماً وذلك لأنه لم تُتح له فرص استخدامها، فهنا تتضح حاجة اللغة للمجتمع. كما أن المجتمع نفسه من ناحية أخرى يحتاج أفراده للغة في تطوير حياة أفراده، وما يحفّز تطور المجتمع وتكوُّنه واستمراره بل ووجوده هو اللغة فلولا اللغة لما وجد المجتمع، ولولا المجتمع لما وجدت اللغة. ويمكن النظر إلى تلك العلاقة بين المتغيرين اللغة من جهة والمجتمع من جهة أخرى من خلال المفاهيم التالية.

١/ الازدواجية اللغوية (١)

ونعني بالازدواجية اللغوية استخدام لغة واحدة بمستويين اثنين، أو أكثر، المستوى الأول فصيح وهو أرقي في التزامه بقواعد وقوانين وأساليب اللغة، يُستخدَمُ في المجالات الرسمية والأدب والفنون الراقية، والثاني عامي وهو الذي يستخدمه الناس في حياتهم اليومية، في البيوت والأسواق والاجتماعيات الخاصة. فالمستوى الفصيح يتميز عن غيره في التزامه بمجموعة من القواعد، والقوانين والنظم اللغوية الصارمة التي لا يستطيع أي فرد من أفراد المجتمع اللغوي الخروج على تلك النظم، ولعل التزام هذا المستوى بتلك القواعد هو المجال الذي يستخدم فيه، إذ يستخدم – كما قلنا – في مواقف الاتصال الرسمي التي تتطلب الوضوح والدقة والجدية. ويعمل أفراد الجماعة اللغوية في المحافظة على تلك القوانين وصيانتها لضمان سلامة قناة الاتصال بين الطرفين. وهذا المستوى الرسمي أقل عُرضةً للتغير والتبدل ولعل هذه الخاصية هي التي مكّنتنا نحن أبناء العربية اليوم من فهم النصوص اللغوية العربية التي ترجع إلى أزمان سحيقة إلى القرن الإسلامي الأول والعصر الجاهلي قبله،

١ / يستخدم مصطلح Daiglossia في مقررات علم اللغة الاجتماعي ليدل على التعدد اللهجي أنظر Jack Richards / Long man Dictionary of Applied Linguistics/ page٨٠-٨١

فلولا صيانتنا للفصحى واهتمامنا بها بتعليمها وعدم الخروج على قواعدها في مجالات الاتصال الرسمية لما استطعنا فهم شيء من النصوص القديمة ولاحتجنا للقواميس في فهج كثير مما نقرأه منها.

أما المستوى الآخر وهو العامي الذي يستخدمه الناس في حياتهم العامة في اتصالاتهم اليومية في البيوت، والأسواق ومختلف مواقف الكلام الحياتية اليومية، هو أكثر عُرضة للتغير، وذلك لعدم وجود قواعد راسخة، وضوابط قوية مُحْكمة تحكمه. ولذا نجد أن المستوى العامي آخذ في التطور والتعدد والتنوع، والانقسام إلى عدد كبير من اللهجات حسب **المهنة، والنوع، والعمر، والموقع الجغرافي، والطبقة الاجتماعية**). فكل عامل من العوامل السابقة أثَّر بدرجة ما على طريقة تكلم الأفراد الذين يمثلون تلك المجموعة المميَّزة (مهنة، أو نوع، أو سن، أو موقع جغرافي، أو طبقة اجتماعية.. الخ).

فمثلاً مجموعة من الناس في مجتمع لغوي واحدة يمارسون مهنة ما، تتطلب مهنتهم اجتماعهم فترة طويلة من اليوم مثلاً " العاملون في القضاء، أو الجيش أو الشرطة،المهندسون، أو العمال، أو ربَّات البيوت، أو المعلمون، أو موظفو البنوك، أو الموظفون في مؤسسة ما أو مصلحة ما، أو سائقو المركبات العامة، أو بائعو الأطعمة، أو التجار، أو الطلاب، أو كل فئة من البشر تجمعهم مهنة معينة... الخ نجدهم أثناء ممارستهم مهنتهم يستخدمون اللغة بطريقة (لهجة) تميِّز مجتمعهم المهني عن بقية المجتمعات المهنية الأخرى، وذلك لأنهم يستخدمون في أثناء حديثهم مع بعضهم البعض - أثناء مزاولة المهنة – كثيراً من المصطلحات المهنية الخاصة بمهنتهم، بجانب أنهم كثيراً ما يستعيرون مصطلحات مهنتهم ويستخدمونها للدلالة على معاني ومفاهيم في لهجتهم يصعُب على غيرهم فهمها ، بالدرجة التي إذا ما

تصادف أن دخل عليهم في مجتمعهم المهني أحدٌ من أي مجتمع مهني آخر يكاد لا يفهم كثيراً مما يقولون لعدم معرفته بمصطلحات المهنة وطرق استخدام أهلها لها. فهنا نجد عامل المهنة، أثَّر على طريقة استخدام اللهجة بدخول مصطلحات خاصة بتلك الفئة، أصبحت لهجتهم مميزة عن لهجة غيرهم من (كانتونات) المجتمع المتعددة.

وكذلك نجد النساء يستخدمن اللغة بطريقة- أي لهجة خاصة بمجتمعهن – تختلف عن الطريقة التي يستخدم بها الرجال اللغة لما فيها من مصطلحات خاصة بالنساء " كجنس"، وكذلك الأطفال يستخدمون اللغة بطريقة تميّز مجتمعهم العمري عن الطريقة التي يستخدم بها الكبار اللغة أو المراهقون أو غيرهم من فئات عمرية أخرى.

أما فيما يتعلق بالموقع الجغرافي فنجد أن القاطنين في الجزء الجنوبي مثلاً من الدولة يستخدمون اللغة بطريقة تميِّزهم عن الطريقة التي يستخدم بها اللغة سكان الجزء الغربي أو الشرقي، أو الشمالي أو الأوسط، وذلك لتأثر كل فئة حسب موقعها الجغرافي بمؤثرات في لغتهم (مؤثرات بيئية، أو اجتماعية) لم تتوفر هي نفسها لدي بقية سكان الأقاليم في الدولة الواحدة.

ومن ناحية الطبقات الاجتماعية نجد أن المجتمع قسَّم نفسه إلى طبقات - خاصة المجتمع الحضري في المدن – حسب الدخل آو المستوى المعيشي أو الأسلوب الحضاري وعليه نجد أفراد كل طبقة يكّونون مجتمعاً مصغراً داخل مجتمع المدينة يستخدم أفراده اللهجة بطريقة تميِّز مجتمعهم الطبقي عن بقية الطبقات الأخرى، بسبب عوامل ومؤثرات غير لغوية تنعكس على اللغة. وقد تكون مسألة

اللهجة الطبقية مقصودة من قبل أفراد الطبقة لتكون وسيلة سرية خاصة للتفاهم المقصور عليهم دون غيرهم.

فنجد الطبقات الارستقراطية لها مميزاتها اللهجية، وطرائق تكلم أفرادها مع بعضهم البعض، التي تميِّزهم عن الطريقة التي يستخدم بها اللغة أفراد الطبقة الوسطى. وكذلك الطبقة الدنيا التي يعيش أفرادها في أطراف المدن الكبيرة في أحياء عشوائية (مدن الصفيح (Ashanti). كما نجد في كثير من المدن الكبيرة الطبقة الأكثر انحطاطاً، طبقة المشردين والخارجين على القانون. فكل طبقة من هذه الطبقات انعكست طرائق حياة أفرادها على اللغة أو اللهجة التي يتكلمونها.

ومسالة اللهجات الطبقية قديمة قِدم نشأة المجتمعات الحضرية في المدن. فنجد مجتمع أغلب المدن الكبيرة ينقسم إلى طبقات كل طبقة لها طريقة مميزة لاستخدام اللهجة. ومن أبرز تلك الطبقات طبقة المشردين الذين يسميهم فندريس الأشقياء ويقول عنهم وعن لغتهم " كان عندنا حتى بداية القرن التاسع عشر هيئة منظّمة حقاً للأشقياء وكانت لها لغتها الخاصة المتفق عليها، وكانت لغتهم غنية بالتعبيرات التي تشبع الغرائز المادية، والصفات المذمومة التي تنضوي على الجريمة كالسرقة والزنا والسُكر، وغيرها من أنواع الانحلال الخلقي، ففي لغتهم ثماني عشر كلمة تُعبِّر عن الأكل، وعشرين كلمة تُعبِّر عن معاقرة الخمر، وعشرين منها تدل على الخمر، وأربعين كلمة تُعبِّر عن السُكْر. ولخشيتهم من سطوة القانون جعلوا للشرطي اثنتي عشرة كلمة، واستخدموا عشرة كلمات تُعبِّر عن الفرار منه، وعشرين كلمة تُعبِّرُ بها عن المرآة الفاجرة، وليس في لغتهم كلمة واحدة تدل على المرآة الفاضلة، ولا كلمة واحدة تدل على

الفضيلة، ويطلقون على الرجل الفاضل بكلمة تدل على الغفلة والغباء ([1]). هنا نستطيع التعرف على طبيعة المجتمع وخصائصه الاجتماعية من خلال لهجته أو لغة أفراده لأن اللغة مرآة المجتمع.

٢/ الثنائية اللغوية: Bilingualism,([2])

ونعنى بها استخدام أكثر من لغة واحدة في إطار المجتمع الواحد في الدولة الواحدة، وذلك بعامل التعدد اللغوي بين أفراد المجتمع. إذ نجد بعض المجتمعات تستخدم لغات بعينها في مجالات الحياة المتعددة، أو في أغراض متنوعة ومتعددة. مثلاً نجد في دولة من الدول تُستخدم لغة ما لغةً قوميةً، بينما تستخدم لغة أخرى لغةً للتعليم (كما هو الحال في السودان في بدايات القرن الماضي). وللوقوف على ذلك نجد مجموعة من مجالات الاستخدام اللغوي منها:

أ/ **اللغة الرسمية**: وهي اللغة التي تحددها وتفرضها السلطة الحاكمة في الدولة، فلكل دولة لغة رسمية تحددها الدولة مسبقاً،تستخدم في المجالات الرسمية والخطاب السياسي وتَصْدُرُ بها القرارات الحكومية، والمعاملات الرسمية المختلفة، وتكون هي لغة التعامل الرسمي في المؤسسات والمرافق الحكومية، وتكون هي نفسها في أغلب الأحيان لغة الإعلام ولغة التعليم.

وقد تكون هناك لغتان رسميتان في الدولة الواحدة كما هو الحال في سويسرا إذ تُستخدم لغتان رسميتان هما الفرنسة والألمانية. وفي بعض الأقاليم الكندية تستخدم لغتان رسميتان هما الإنجليزية والفرنسية.

---

١ / فندريس / اللغة / ص٣١٧

٢ / يستخدم مصطلح Bilingualism في علم اللغة الاجتماعي ليشير إلى التعدد اللغوي، أي استخدام أكثر من لغة في المجتمع الواحد. وفي بعض الأحيان يستخدم مصطلح Daiglossia ليدل على نفس المعنى، والثنائية اللغوية واحدة من مقررات علم الاجتماع اللغوي، وعلم اللغة الاجتماعى في نفس الوقت.

ب/ اللغة القومية: وهي اللغة التي يستخدمها أغلب سكان الدولة الواحدة، في معاملاتهم اليومية، واتصالاتهم مع بعضهم البعض. أي اللغة القومية هي لغة الشعب، وقد تكون هي نفسها اللغة الرسمية كما هو الحال في الدول العربية، وفي بعض الأحيان تُستخدَمُ لغة قومية غير اللغة الرسمية كما هو الحال في كينيا إذ نجد الإنجليزية هي اللغة الرسمية بينما اللغة القومية هي السواحيلية. وكذلك الحال في باكستان إذ تستخدم الإنجليزية باعتبارها اللغة الرسمية بينما تستخدم الأردية من قبل كل أفراد الشعب الباكستاني كلغة قومية. وفي نيجيريا نجد اللغة الرسمية هي الإنجليزية بينما الهوساوية هي اللغة القومية، وكذلك في كثير من دول العالم الثالث في آسيا وأفريقيا.

ج/ لغة التعليم: وهي اللغة التي تُستخدم في مجال التعليم، مثل لغة المنهج، ولغة التدريس، ولغة البحث العلمي، وقد تكون لغة التعليم هي نفسها القومية أو الرسمية، كما في الدول العربية باستثناء الصومال ودول المغرب العربي التي تستخدم الفرنسية لغة تعليم والعربية لغة رسمية ولغات محلية أخرى لغة قومية كما في موريتانيا والمغرب العربي والجزائر. ودائماً تكون لغة التعليم هي اللغة الرسمية وذلك لاستخدام مخرجات التعليم في الدواوين والمؤسسات الحكومية، وليس من المحتمل أن يكون هناك اختلاف بين اللغة الرسمية ولغة التعليم.

د/ اللغات الخاصة: وهي اللغات التي تستخدمها فئات محدودة في الدولة الواحدة، يعيش أفرادها بين أفراد مجتمع الدولة. وذلك مثل لغات السودان ([1]). واللغة الخاصة تستخدمها في أغلب الأحيان فئة قليلة من أفراد المجتمع (مجموعة

---

١ / تسمى اللغات الخاصة vernacular وتنتشر أكثر في الدول العربية في السودان إذ توجد أكثر من مائة وعشرين لغة خاصة بعضها في شرق السودان، وبعضها في شمال السودان وأغلبها في غرب السودان وجنوبه.

قبلية) يعتقد أفرادها أنهم يتحدرون من جد واحد، فهذه اللغات الخاصة تستخدم في حيز ونطاق ضيق لا يخرج عن الموقع الجغرافي الذي يقيم فيه متكلموها، وقد لا يخرج هذا النطاق في بعض الأحيان عن بعض الأسر. فهذه اللغات الخاصة لم يُكتب لأي منها أن تتطور وتصير لغة تعليم أو لغة رسمية، وذلك لفقرها وعدم قدرتها على التعبير عن كثير من مناحي الحياة الحضارية إذ يضطر متكلموها الاقتراض من اللغة الرسمية أو القومية للتعبير عما تعجز لغتهم الخاصة التعبير عنه. كما لا تُتاح لها الفرصة لتكون لغة قومية لضيق مجال استخدامها وعدم معرفة مجتمع الدولة لها لقصورها عن التعبير عن حاجات المجتمع. وهذه اللغات الخاصة أيضاً آخذةً في الموت والانقراض بسبب ظهور أجيال من أبناءها يميلون لاستخدام اللغة القومية أو الرسمية، ومما يؤدي إلى انسحاب تلك اللغات عن ميدان الاستخدام شيئاً فشيئاً حتى يموت آخر متكلميها من الكبار.

وتتأثر اللغة سواء كانت رسمية أو قومية بالتغيرات الاجتماعية والسياسية التي يمر بها المجتمع لأنها وسيلة التعبير عن المجتمع، فمثلاً عند تغير النظام السياسي في مجتمع ما تتغير تبعاً لذلك المصطلحات السياسية لتعبِّر عن دلالات جديدة تعبِّر عن المرحلة السياسية مثل ثورة يوليو في مصر ([1])، والحركات الاشتراكية في بعض الدول العربية،وتغير النظام السياسي في السودان من الاشتراكي إلى الديمقراطي إلى الإسلامي الحالي، مما أدي إلى موت ألفاظ مثل (بك، باشا، وألقاب الجيش التركي من مثل يوزباشا، وشاويش، أورطة.. وغيرها. وفي مرحلة تالية موت ألفاظ مثل الاشتراكية والفئوية والرفيق والاتحاد الاشتراكي وغيرها وظهور مصطلحات سياسية إسلامية تعبِّر عن روح النظام

١ / رمضان عبد التواب / المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / ١٣١

السياسي الإسلامي. وهذا المنحى المتمثل في علاقة اللغة بالنظم السياسية مهّد لظهور فرع جديد من فروع علم اللغة الاجتماعي سُمِي بعلم اللغة السياسي Political Linguistics، وهو العلم المتعلق بقدرة اللغة على التعبير عن الجوانب السياسية، ويعني أكثر بالمصطلحات السياسية التي أصبحت اليوم عالمية في كل اللغات.

التخطيط اللغوي

هنا عند ظهور الثنائية اللغوية – أو عدم ظهورها –في مجتمع الدولة، يتطلب من النظام في الدولة القيام بإصدار مجموعة من القرارات التي هي نتاج طبيعي لمجموعة من الإجراءات المعتمدة أصلاً على دراسات لغوية تقوم بها المؤسسات العلمية اللغوية في القطر. إذن ما الجهة التي تطلع بمهمة التخطيط اللغوي ؟ نقول أن الجهة المسئولة عن ذلك هي المجامع اللغوية، والمعاهد والمؤسسات اللغوية العلمية المساعدة للمجامع اللغوية. وفي بعض الأحيان – في أغلب الأحيان- تصدر الدولة قرارات بإنشاء إدارة خاصة بالتخطيط اللغوي كما فعلت حكومة السودان في بداية السبعينيات من العام الماضي. مثلاً من أهم أهداف مجلس التخطيط اللغوي في السودان هي:

أ) اقتراح السياسات اللغوية للدولة والتخطيط لها.

(ب) نشر اللغة العربية والارتقاء بقدرات التواصل بها بوصفها لغة التخاطب القومي، ووسيلة التنمية الاقتصادية، والاجتماعية فضلاً عن دورها في توجيه الأمة فكرياً وسياسياً.

(ج) تأصيل وترسيخ مبدأ الوحدة الوطنية، وتأكيد الهوية السودانية عن طريق التنظيم الواعي للعلاقة بين اللغة القومية واللغات المحلية بوصفها روافد للثقافة السودانية.

(د) رعاية التنوع الثقافي والتعدد اللغوي، بالمحافظة على الميراث اللغوي السوداني باعتباره جزءاً من الشخصية الثقافية السودانية وذلك برصد مختلف اللغات وتدوينها وتوثيقها والاستفادة منها في أغراض التنمية، والتوجيه والتعليم والتوعية والفنون.

(هـ) اقتراح أساليب لنشر اللغات الأجنبية في السودان وذلك لحفز وترسيخ علاقات السودان بالشعوب الأخرى وتسهيل نقل وتوطين التقنية.

(و) تنمية مقدرات الإنسان السوداني في النواحي الثقافية والاجتماعية، وتسليحه باللغات كوسيلة للاتصال بالثقافات الأخرى، والعمل على إيجاد الوسائل الفعالة لتحقيق ذلك (١)

وقد تلاحظ أن أغلب أهداف مجلس التخطيط اللغوي هي في الأصل أهداف سياسية، وذلك لأن الدولة تتخذ من مثل هذه المؤسسات وسائل مساعدة لترسيخ كثير من المبادئ القومية التي هي من صميم أهداف الحكومات، لأنها تساعد في التماسك الاجتماعي للدولة، ومواكبة التطور ورفاهية المجتمع.

كما تقوم المجامع اللغوية – في بعض الأحيان – بدور مجلس التخطيط اللغوي. مثل المجمع اللغوي في القاهرة (اتخذناه نموذجاً باعتباره أقدم المجامع اللغوية في المنطقة العربية تأسس في ١٩٣٢م). ومن أهم لجانه

١ / منشورات مجلس التخطيط القومى / وزارة التعليم /جمهورية السودان

١/ لجنة المعجم الكبير.

٢/ لجنة أصول اللغة.

٣/ لجنة الألفاظ والأساليب.

٤/ لجنة اللهجات والبحوث اللغوية.

٥/ لجنة تيسير الكتابة العربية.

٦/ لجنة الأدب.

٧/ لجنة إحياء التراث العربي.

٨/ لجنة المعجم الوسيط.

٩/ لجنة علم النفس والتربية

١٠/ لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية.

١١/ لجنة التاريخ.

١٢/ لجنة الجغرافيا.

١٣/ لجنة القانون.

١٤/ لجنة المصطلحات الطبية.

١٥/ لجنة الكيمياء والصيدلة.

١٦/ لجنة علوم الأحياء والزراعة.

١٧/ لجنة الاقتصاد.

١٨/ لجنة الچيولوچيا.

١٩/ لجنة النفط.

٢٠/ لجنة الفيزيقا.

٢١/ لجنة الهندسة.

٢٢/ لجنة الرياضيات.

٢٣/ لجنة المعالجة الإلكترونية.

٢٤/ لجنة ألفاظ الحضارة والفنون.

٢٥/ لجنة الشريعة.

٢٦/ لجنة علم الاجتماع والأنثروبولوچيا.

٢٧/ لجنة الهيدرولوجيا.

٢٨/ لجنة المساحة والعمارة.

فيمكن للحكومات أن تستخدم كثير من نتائج تلك اللجان في استصدار قرارات لغوية لمعالجة كثير من القضايا اللغوية الاجتماعية ذات الطابع السياسي أو تلك التي تتعلق بالحكومة.

علم اللغة النفسي Psycholinguistics

تحدثنا من قبل في تعريف دي سوسير للغة عن علاقة اللغة بالفكر، وعليه مما سبق فلا وجود للغة دون الفكر، والعكس صحيح إذ لا يظهر الفكر ويعبِّر عن نفسه ويتم التعرُّف عليه في غياب اللغة خاصة الأفكار المجرَّدة. إضافةً إلى ذلك فإنَّ العامل الحاسم الذي يفرِّق بين لغة الإنسان – التي نحن بصدد الحديث عنها – ولغة الحيوان مثلاً هو وجود القدرة الذهنية لدي الإنسان وهي ما نسميه بالفكر. وعليه فإن علم اللغة النفسي يتخذ من علاقة اللغة بالفكر والذهن موضوعاً له، تتمثل هذه العلاقة في عدة مجالات منها: اللغة والقدرات عند الإنسان، والتمكُّن اللغوي، واكتساب اللغة، واللغة والمعرفة، واللغة والفكر، وأمراض الكلام..الخ كلها تدخل في علاقة اللغة بالنفس. بجانب العمليات الذهنية التي تدور في ذهن المتكلم قبل النطق بالكلام، وتلك التي تدور في ذهن السامع بعد سماع الكلام. كما أن للنفس الإنسانية أثر كبير على اللغة يتمثل في التذكر، والاسترجاع، والتخيل، وتداعي المعاني، والإدراك، والانتباه، والحالات الوجدانية المختلفة.. وغيرها

سنتناول بعض من جوانب علاقة اللغة بالفكر بشيء من التفصيل ممثلة في الآتي:

١/ اللغة والانفعال:

الإنسان يتكلم ليصوغ أفكاره في كلام ليؤثِّر على غيره ويعبِّر عن نفسه وآراءه، وعواطفه ولذا يحتاج للانفعال لتحقيق ذلك، وعليه لا تخلو جملة في اللغة من الانفعال – عدا اللغة العلمية - . والتعبير عن الانفعال يكون عن طريق تنغيم الصوت أو تغييره مما يُفهم من الجملة الواحدة عشرات المعاني مثل " الغضب، الدهشة،

التقرير، الاستفهام، التعجب.... الخ. وأبرز مثال للغة الانفعالية تلك التعليقات العفوية اللغوية التي تُصدر من الشخص عندما يُواجه بموقف من المواقف يؤثر على نفسه كما يقول فندريس " فمن النادر جداً أن تكون واحدة من العبارات التي تتسابق في ذهننا عبارات عقلية محضة مثل صياحي بقولى (آه يا له من مسكين " تعبيراً عن حادث يقع أمامي، فتلك الجملة تحمل قيمة انفعالية أكثر من كونها عقلية، فلا دخل للعقل فيها ([1]).

٢/ اكتساب اللغة:

عملية اكتساب اللغة عملية ذهنية في المقام الأول، مهما كانت اللغة سواء كانت لغةً أماً أم لغةً ثانيةً. ولذا بدأ العلماء البحث في هذا الميدان بدراسة العلاقة بين اكتساب اللغة والذكاء عند الطفل. ولعل أبرز ما توصلت إليه الدراسات في هذا الشأن هو أن الطفل يدرك أولاً من اللغة أسماء الذوات، ومن ثم يدرك الأفعال. كما يدرك أولاً الدلالات الحسية، ومن ثم بعد مراحل عدة في آخرها يدرك الدلالات التجريدية ([2])، وقد استفاد علماء التربية من مثل هذه النتائج في تصميم الدروس الخاصة بتعليم اللغة للأطفال سواء كانت لغتهم الأم أو لغة ثانية. كما أُستُفيدَ من نتائج بحوث علم اللغة النفسي في علاج كثير من الحالات المتعلقة بمشكلات الاكتساب اللغوي، وأمراض الكلام مثل التأتأة واللثغة والخمخمة، واللجلجة، والحبسة، وتأخر اللغة عند الطفل، وضعف السمع وغيرها من مشكلات.

١ / فندريس اللغة / ١٨٣
٢ / على عبد الواحد وافي / مرجع سابق ص١٤٧

علم اللغة الجغرافي Geographical Linguistics:

تنحصر اهتمامات علم اللغة الجغرافي في معرفة اللغات الإنسانية ولهجاتها وتوزيعها على الكرة الأرضية، وعدد المتكلمين بكل منها ونوعهم، وفي أي نمط من أنماط الحياة تستخدم، واحتمالات الاستفادة من تلك اللغات، وأهميتها الاقتصادية والعلمية والسياسية والإستراتيجية والثقافية وصراع اللغات وما ينتج منه... وغيره.

ومن أهم أبحاث علم اللغة الجغرافي دراسة اللغات المحلية، ومجالات النفوذ اللغوي، واللغات الوطنية واللغات الاستعمارية، واللغات الناشئة من الهجرة والتجنيس، وإحلال لغة مكان أخرى، والتعايش بين لغتين والتعدد اللهجي للغة الواحدة ومدى الفروق الصوتية الدقيقة بين لهجة وأخرى ([1]).

كما يهتم علم اللغة الجغرافي بتصميم الخرائط اللغوية بالمفردات من حيث بنيتها ومترادفاتها ومشتركها واختلافها باختلاف المناطق، ومقدار انتشار الكلمات في الأمصار والأقاليم.... مما يتيح لنا معرفة الواقع اللغوي للغات الإنسانية.

والمحصِّلة النهائية لأبحاث علم اللغة الجغرافي هي الأطلس اللغوي. وهي الصورة التي تُعرض عليها اللغات واللهجات وفق مفاتيح خرائطية تبيِّن مكان انتشار كل لغة ولهجة. وتعتبر الخارطة اللغوية أفضل وسيلة عرض لنتائج علم اللغة الوصفي للغة ما، إذ يمكن للباحث عرض قدر كبير من البيانات في خرائط مختصرة تبيِّن أدق الفروق والتفاصيل بين لهجة وأخرى أو لغة وأخرى. فدراسة اللغة دراسة جغرافية تُعد من أحدث وسائل البحث اللغوي، لأنها تسجل الواقع اللغوي للغات أو اللهجات على خرائط تُجمع في نهاية المطاف في أطلس لغوي عام، وتُخصص كل خريطة فيه

١ / رمضان عبد التواب / المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / ص١٤٧

لكلمة أو لظاهرة من الظواهر اللغوية الصوتية يبدو فيها الاختلاف أو الاتفاق بين المناطق اللغوية المختلفة.

الأطلس اللغوي

يعتمد إعداد الأطلس اللغوي على الدراسة الوصفية ليوضح اللغات واللهجات الحية وتوزيعها عبر الخارطة الجغرافية. بدأت فكرة إنشاء الأطلس اللغوي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، بدأها (فنكر Wenker) من ألمانيا و (جيليرون Gillieron) من فرنسا. وعليه أصبحت هناك طريقتان شهيرتان للأطلس اللغوي:

والأطلس اللغوي هو تتويج لعمليات المسح الجغرافي للهجات لغة من اللغات لتحقيق عدد من الأغراض التي يمكن الاستفادة منها في اتخاذ قرارات سياسية وتعليمية واقتصادية وإستراتيجية وغيرها، ولكن ما يؤسف له حقاً أن اللغة العربية لم يقدَّم فيها آي دراسة لغوية جغرافية انتهت بأطلس لغوي (1). حتى جاء الدكتور محمود عساكر ووضع أول أطلس لغوي عربي. بالرغم من أنه قد أُنجزتْ دراسات لهجية كثيرة جداً في الوطن العربي في الجامعات العربية الكبرى والمؤسسات البحثية (2). وعليه فإن أمكن لأي مجموعة من الباحثين الاستفادة من نتائج البحوث اللهجية في الوطن العربي وتفريغها في خرائط لغوية لتكوين أطلس لغوي للهجات العربية

١ / عدا الأطلس اللغوي الذي وضعه المستشرق الألماني برجستراشر لبلاد سوريا وفلسطين في العام ١٩١٥م، وكان عمله ناقصاً ولم يعدو أكثر من كونه محاولة لم تتم لظروف ضيق الوقت المتاح وعدم معرفته بالفروق اللهجية بين المجموعات اللهجية العربية في المنطقة المدروسة، واعتماده على رواة قليلي المعرفة اللغوية العلمية.

٢ / مثل معهد الخرطوم الدولي للغة العربية. قمت أنا شخصيا بدراسة لهجة البقارة في غرب السودان دراسة وصفية شملت جميع المستويات اللغوية (الصوتي، المورفولوجي، النحوي، والدلالي، والأسلوبي) فى بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في علم اللغة الاجتماعي ((Sociolinguistics). كما قمت بدراسة اللغة العربية في جنوب السودان ووقفت على أثر اللغات الأفريقية (الست في الاستوائية بعد توصيف بنى تلك اللغات الأفريقية الصوتية والمورفولوجي) على اللغة العربة المننشرة في المنطقة الاستوائية المعروفة (بعربي جوبا).

المعاصرة. ويمكن الاستفادة من الأطلس من قبل الأجيال اللاحقة للوقوف على التطور الصوتي للمفردات العربية في العصور المختلفة، والتطورات الصوتية التي مرت بها اللهجات العربية، ويقول د. رمضان أننا نستطيع إجمال أهداف الأطلس اللغوي العربي لتحقيق الأغراض التالية:

١/ دراسة اللهجات لذاتها دراسة علمية عميقة لاكتشاف ما فيها من خصائص الصوت والبنية والدلالة والتركيب، لمعرفة التغيرات المختلفة التي تطرأ عليها من وقت لآخر.

٢/ إثراء الدراسات في العربية الفصحى نفسها، إذ يتيح لنا المسح الجغرافي، كتابة تاريخ هذه اللغة في عصورها المختلفة، ويمدنا بوسائل علمية لمعرفة أقرب اللهجات العربية صلةً بالفصحى وأبعدها عنها.

٣/ يمدنا المسح الجغرافي بالمعلومات اللازمة المتعلقة بمدى امتداد اللهجات العربية القديمة في الوطن العربي، إذ أن اللهجات العربية المعاصرة ما هي إلا امتداد طبيعي للهجات العربية القديمة التي ضاع كثير من نصوصها التي أهملها التوثيق، إذ أن أغلب الباحثين العرب في مختلف العصور صبوا اهتمامهم بدراسة الفصحى وأهملوا كلام العامة (١).

٤/ يتيح لنا الأطلس اللغوي فرص الدراسة المقارنة بين اللهجات العربية من جهة، وبينها وبين الفصحى من جهة أخرى، وبينها وبين اللغات السامية من جهة ثالثة بأيسر الطرق. وذلك لأن الذي يجرى دراسة مقارنة يستنزف أغلب جهده

١ / برغم أن بعضهم مثل السيوطي، والجاحظ أهتم بتدوين بعض طرق النطق المنحرفة عن الفصحى تحت مسمى لحن العامة. وتلك الجهود هي المصادر الوحيدة للهجات تلك الفترة.

بالدراسة الوصفية لطرفي المقارنة لعدم وجود دراسة وصفية معدة يمكن استخدام نتائجها في الدراسة المقارنة أو التقابلية.

طرق عمل الأطلس اللغوي:

هناك طريقتان لعمل الأطلس اللغوي الأولى الطريقة الألمانية التي اتبعها (ونكر) وسار عليها مَنْ جاء بعده، والطريقة الثانية هي تلك التي اتبعها (جيلرون) الفرنسي، فالطريقتان مختلفتان في طريقة جمع المادة اللغوية من أهلها. ومن ثم انتشرت أعمال الأطالس اللغوية في كل من سويسرا وإيطاليا والسويد والبرتغال والنرويج وانجلترا (١) وللوقوف على الطريقتين نبيِّن كل منهما:

الطريقة الألمانية:

ابتكرها ونفذَّها (فنكر Wenker) عام ١٨٧٦م في مدينة دوسلدورف وما حولها من قرى، ثم وسعَّها حتى شملت ألمانيا كلمها الموحدة قبل الحرب العامية التي قسمتها إلى غربية وشرقية. حيث قام بوضع أربعين جملة — تدور حول أهم ما يجري على ألسنة الناس في حياتهم اليومية في ألمانيا - وطبعها على شكل استمارة بها معلومات عن الراوي اللغوي والمسجل اللغوي (٢)، والجهة التي سجلت فيها اللهجة (المنطقة)، النموذج التالي يوضِّح ذلك:

١ / رمضان عبد التواب /المرجع السابق/ ص١٥٠

٢ / المسجل اللغوي هو الشخص الذي يقوم بسؤال الراوي الذي تُجرى معه المقابلة ويقوم بتدوين استجابة الراوي (المفحوص) في المكان المخصص لذلك، ولابد للغوي القائم بالدراسة الاستعانة بالمسجلين لعجزه عن تغطية كل المناطق

نموذج استمارة الأطلس اللغوي على الطريقة الألمانية:

الجهة التي سُمِعَتْ فيها اللهجة وسُجِّلَتْ: ____________

المركز: ________ المقاطعة ________________

الراوي الذي نقلت عنه اللهجة	المسجِّل الذي سمع اللهجة ودوَّنها
الاسم: ____________ السن: ____________ المهنة: ____________ مكان الميلاد: ____________	الاسم: ____________ السن: ____________ المهنة: ____________ مكان الميلاد: ____________
١/ تسقط أوراق الشجر في الشتاء ٢/ ضع شيئاً من الفحم في الفرن ٣/ إنه يأكل البيض دائماً دون ملح ٤/تؤلمني قدماي بشدة. ٥/هل يمكنكم الانتظار لحظة. ٦/لقد خرجت الكلمة من قلبه	____________ ____________ ____________ ____________ ____________ ____________

ثم أُرسلت هذه الاستمارات إلى خمسين ألف جهة في ألمانيا وقام المسجلون بتسجيل ما سمعوه من الرواة في المكان المخصص لذلك تسجيلاً دقيقاً كما سمعوه بالضبط دون تعديل من قبلهم. ثم أعيدت الاستمارات إلى المركز وقام بتفريغ صور الألفاظ أولاً،

وصيغها ومترادفاتها على خرائط تفصيلية ثانياً، وعمل لكل كلمة خريطةً تفصيلية تشمل جميع أقاليم البلاد ثم تحدد علي الخريطة المناطق اللغوية المختلفة، ومنها رسم الخريطة العامة للألفاظ ([1]).

الطريقة الفرنسية:

تقوم على أساس وضع قوائم للمفردات الأكثر شيوعاً (أكثر من ألف كلمة) يراعي فيها: الشمول والشيوع، وتُرتَّيبُ في شكل قوائم هي على سبيل المثال:

١/ أسماء الأقارب (العلاقات الأسرية)

٢/ أطوار العمر

٣/ أعضاء جسم الإنسان

٤ / أسماء الحيوانات الأليفة

٥/ أسماء الحيوانات المتوحشة

٦/أسماء الملابس

٧/ أسماء الأدوات المنزلية والأثاث

٨/ أسماء الأجرام الطبيعية

٩/ أسماء الظواهر الطبيعية

١٠/ أسماء الأعداد

١١/ أسماء الأدوات الصناعية

١٢/ أسماء الوقت.

١٣/ ألفاظ الأطعمة

نموذج تقريبي لتصمم استبانه جمع الألفاظ مع ملاحظة النموذج نذكر فيه بعض المفردات على سبيل المثال وليس الحصر، ويكون حسب الشكل التالي:

---

١ / انظر: رمضان عبد التواب / المرجع السابق.

نموذج استمارة الأطلس اللغوي على الطريقة الفرنسية

بيانات المسجل	بيانات الراوي
الاسم: ______	الاسم: ______
العمر: ______	العمر: ______
المهنة: ______	المهنة: ______

١/ قائمة العلاقات الأسرية	٢/ أ قائمة طوار العمر
أب ______	وليد ______
أم ______	رضيع ______
أخ ______	طفل ______
أخت ______	ولد ______
خال ______	بنت ______
خالة ______	شاب ______
عم ______	رجل ______
عمة ______	امرأة ______
جد ______	شيخ ______
جدة ______	شابة ______
٣/ قائمة أعضاء الجسم	**٤/ قائمة الحيوانات الأليفة**
رأس ______	قط ______
قدم ______	كلب ______
بطن ______	بقرة ______
عين ______	ثور ______
أذن ______	خروف ______
أنف ______	حمار ______

٥/ قائمة الحيوانات المتوحشة	٦/ قائمة الملابس
أسد______________	تنورة______________
نمر______________	جلباب______________
ذئب______________	قميص______________
ضبع______________	عمامة______________
فيل______________	ثوب______________
٧/ قائمة الأدوات المنزلية والأثاث	٨/ قائمة الأجرام السماوية
قدر ______________	شمس ______________
صحن ______________	قمر______________
ملعقة______________	نجم______________
سرير______________	أرض ______________
٩/ قائمة الظواهر الطبيعية	١٠/ قائمة الأعداد
رعد ______________	واحد______________
برق ______________	اثنان______________
مطر______________	ثلاث______________
غبار______________	أربع______________
سحاب______________	إضافة إلى الأعداد المركبة والمضافة وألفاظ العقود
١١/ قائمة الأدوات الصناعية	١٢/ قائمة الأطعمة
مطرقة ______________	ماء______________
سندان______________	أكل______________
ملزمة______________	خبز______________
كير______________	ايدام______________
وغيرها من أدوات	إضافة للفاكهة والخضروات

ثم توزَّع هذه الاستمارات على المسجلين اللغويين ليقوموا بإجراء المقابلات مع المفحوصين (الرواة) لجمع المادة اللغوية اللفظية (الألفاظ المقابلة لكلمات الاستمارة).حسب القوائم المحددة في كل قرية أو منطقة، وعلى المسجلين توخي الحذر في اختيار الرواة الثقاة، باعتماد جملة من الشروط الواجب توفرها في الرواة لتعزيز الثقة، مثل أن يكون الراوي من أهل البلدة، ولا يكون قد نزح إليها قريباً، وأن يكون صريحاً وصادقاً ومخلصاً، ولم يتأثر بأي عوامل ثقافية أخرى، وسليم المخارج الصوتية، وقادر على فهم السؤال، وخبير وفطِن في الإجابة عليه.

ثم يقوم المسجلون بإحضار استمارات الاستبانة إلى المركز بعد ملئها من قبل المفحوصين (الرواة)، ويقوم الباحثون بتفريغ الألفاظ الواردة إليهم في خرط الألفاظ لكل لفظ خريطة، ومن ثم تُجمع الخرائط اللفظية لتشمل الإقليم تمهيداً لوضع الخارطة العامة للمنطقة المدروسة وألفاظها.

وبالمقارنة بين الطريقتين نظن أن الطريقة الفرنسية أكثر دقة من الألمانية وذلك إذ يُطلب فيها من الراوي أن ينطق الكلمة المقابلة للمعنى الذي يذكره المسجل، بينما الألمانية يقرأ المسجل على الراوي الجملة وقد يؤثر ذلك على لغة الراوي الذي يحاول التَصنُّع في النطق أو مداراة استجابته الفطرية.

ونختم بأن هناك واحد من أكبر العيوب التي تواجه الأطلس اللغوي وهي عدم ثباته على مر الزمن إذ أن استخدام الناس للغة في تغير دائما بفعل ظروف وعوامل اجتماعية ونفسية، وسياسية.. وغيرها (في بنية اللغة)،بجانب عوامل خارجية مثل الهجرة والانتقال، نتيجة للحروب أو النزوح أو الغزو، أو الكوارث الطبيعية... الخ، مما يغيِّر كثير من ملامح الخارطة اللغوية (تغير في مكان إقامة متكلمي لهجة ما أو لغة). ويمكن تجنب هذا العيب بمداومة المسوحات اللغوية لإثبات التغيرات التي تطرأ على الألفاظ عبر الزمن.

ولكن تكمن فائدة الأطلس اللغوي في مدنا بصورة صادقة لوضع الظواهر اللغوية في الفترة المحددة التي وضع فيها مما يفيد في الدراسات اللغوية التاريخية.

نشأة اللغة الإنسانية

موضوع نشأة اللغة الإنسانية من أكثر أبحاث علم اللغة اختلافاً حول نتائجه، وذلك بسبب عدم وجود مادة لغوية تمثل شكل اللغة في أول أطوارها، لتجرى عليه دراسة علمية قائمة على الضبط والتنظيم. ولذا كانت كل نتائج مبحث نشأة اللغة ،نتائج ظنية تقوم على الحدث والتخمين. بالدرجة التي جعلت كثير من العلماء يقترحون تحويل موضوع نشأة اللغة من دائرة البحوث العلمية إلى دائرة البحوث الميتافيزيقية، ولذا تعددتْ النظريات والمذاهب في هذا الشأن مع أن كل منها له دلائله وعدد من المآخذ عليه. وعلينا أن نسلم بمبدأ حاجة المجتمع للغة إذ أن العامل الرئيس الذي أدي إلى نشأة اللغة هو حاجة أفراد المجتمع الماسة للتفاهم فيما بينهم، ونقل وتبادل الأفكار بين بعضهم البعض. فهنا الحديث حول مسألة نشأة اللغة ينبغي أن يدور حول العوامل التي دعت إلى ظهور اللغة في صورة أصوات مركّبة ذات مقاطع مميَّزة، والكشف عن الصورة الأولى التي ظهرت بها هذه الأصوات، أي البحث في الأسلوب الذي سار عليه الإنسان في وضع أصوات معينة لمسميات خاصة ومحددة، وتحديد الأسباب التي وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره من أساليب ([1])، وليس البحث عمن أنشأها، أو إلى مَن يرجع الفضل في نشأتها. وعليه فإنَّ أي نظرية تغفل الجانب الاجتماعي أو تنحرف عن مسار التساؤلات السابق ذكرها نستطيع ببساطة إخراجها من ميدان موضوع نشأة اللغة لأنها لن تقدّم ما يفيد الموضوع. وعلى العموم نستطيع أن نذكر بعض من هذه النظريات وهي:-

١ / على عبد الواحد وافي / علم اللغة / ص٩٦

١/ نظرية الوقف:

تسمى أحياناً بمذهب التوقيف أو مذهب الوحي والإلهام. وتقرر هذه النظرية أن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى إلهام إلهي هبط على الإنسان الأول آدم فعلمه النطق وأسماء الأشياء ([1]). وليس لمؤيدي هذه النظرية أي دليل عقلي، بل يعتمد مؤيدوها على أدلة نقلية من الكتب السماوية، إذ يعتمد المسلمون على نص من القرآن الكريم وهو قوله تعالى

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾ ([2])

وغير المسلمين يعتمدون على نص من التوراة في سفر التكوين يقول " وجبل الرب الإله من الأرضِ كل حيوانات البرية وكل طيور السماء، وأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو أسمها، فسمى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع الحيوانات "([3]). ومن مؤيدي هذه النظرية ابن عباس إذ يقول:

---

١ / رمضان عبد التواب / المرجع السابق/ ص١١٠
٢ / سورة البقرة الايات المذكورة
٣ /سفر التكوين ٢/٩-٢٠

"علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي تعارفها الناس، من دابة وأرض، وسهل وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها"(١).

أما ابن جني فكان من المعارضين لمبدأ الإلهام إذ تصدى للآراء المؤيدة للنظرية بقوله:

" وذلك بأنّه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدرَ آدمَ على أن واضع عليها "(٢).

ونرى أن رأي ابن جني هو الرأي الأقرب إلى الصحة، إذ أن الآيات المذكورة تُستخدم للاستشهاد بتحدي اللهُ سبحانه وتعالى للملائكة بخلقه لهذا المخلوق القادر على تسلم الإشارات الحسية، ومن ثم تخزينها في ذاكرته، واستعادتها وقتما شاء، وهذه القدرة الذهنية والاستعداد الفطري (البيولوجي) غير موجود لدي بقية الخلق غير الإنسان. ولذا تحدى به الله تعالى بقية المخلوقات، وأمرهم بالسجود له فسجدوا إلا إبليس (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) وعليه إن قصد مؤيدو النظرية هذا الجانب، أي أن اللغة هبة من الله متمثلة في أن الله ألهم آدم وهيأ خلقه على استخدام اللغة بالطريقة المعروفة الآن، فلا اختلاف لنا معهم. كما أن هذه النظرية – كما اتضح من حيثياتها - أنها أغفلت أهم مبادئ الموضوع وهو المبدأ الاجتماعي، كما أنها لم تجب عن السؤال الرئيس المتعلق بالظروف، والعوامل الموضوعية التي دعت الإنسان لاختار تلك الوسيلة الصوتية الرمزية دون غيرها من وسائل آخرى.

---

١ / انظر الصاحبي في فقه اللغه لابن فارس
٢ / الخصائص لابن جني ١ /٤٠-٤١

٢/نظرية التواضع والاتفاق

تسمى أحياناً بمذهب المواضعة والاصطلاح، وتقرر هذه النظرية أن اللغة ابتدعت ابتداعاً، وأن ألفاظها أُرْتُجِلتْ ارتجالاً. وقد أيدها كثير من العلماء والفلاسفة الغربيين والمسلمين، ومن أشهرهم ابن جني إذ يقول:

" أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة، ولفظ يدل عليه، ويغنى عن إحضاره أمام البصر. وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلاً على شخصٍ، ويومئوا إليه قائلين: إنسان، إنسان ! فتصبح هذه الكلمة أسماً له، وإن أرادوا سمة عينه أو رأسه أو يده أو قدمه، أشاروا إلى العضو وقالوا، عين، عين، رأس، رأس، يد، يد، قدم، قدم........ ويسيرون على هذه الوتيرة، في أسماء بقية الأشياء، وفي الأفعال والحروف، وفي المعاني الكلية والأمور المعنوية نفسها، وبذلك تنشأ اللغة العربية مثلاً. ثم يخطر بعد ذلك لجماعة منهم كلمة: " مرد " بدل إنسان، وكلمة " سَرْ " بدل رأس، وهكذا فتنشأ اللغة الفارسية (١)

وليس لمؤيدي هذه النظرية أي سند عقلي أو نقلي، بل أنَّ ما تقرره يتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية، فما دامت اللغة ظاهرة اجتماعية فلا بد أن تكون قد نشأت بالتدريج خطوة بعد أخرى (٢)، وليست من صنع الإنسان بالتواضع والاتفاق. ضف إلى ذلك أن مسألة التواضع نفسها تتطلب لغة صوتية لتنفيذ المداولات أثناء الاجتماع وحيثيات الاتفاق وغيرها. ولا يعقل أن يكون

١ / ابن جني /الخصائص ٤٤/١
٢ / على عبد الواحد وافي/ علم اللغة/ص ٩٨

التواضع تم بلغة إشارية إلا ولم تكن هناك من ضرورة من استبدال اللغة الإشارية بلغة صوتية مادامت اللغة الإشارية استطاعت حمل دلالات تجريدية تمكّن مستخدموها من المداولة بينهم والاتفاق على الألفاظ.

٣/نظرية الغريزة:

تقرر هذه النظرية أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة زُوِّد بها في الأصل جميع أفراد النوع الإنساني، وأن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به، مثل غريزة التعبير الطبيعي عن الانفعالات، التي تحمل الإنسان على القيام بحركات أو أصوات معينة (مثل انقباض الأسارير، ووقوف شعر الرأس.. الخ) للتعبير عن الحالات الانفعالية المختلفة كما ذكرنا.

ويستدل مؤيدو هذه النظرية ([1]) على صحتها بأدلة مستمدة من نتائج البحوث الخاصة بمجموعة اللغات الهندوأوروبية، التي تمخضت عن وجود خمسمائة لفظ مشترك بين لغات هذه المجموعة. واتخذ مؤيدو نظرية الغريزة من هذه الأصول الخمسمائة المشتركة دليلاً على أنها تمثل الشكل الأولي للغة الإنسانية. وقد تبين أن هذه الأصول الخمسمائة كلها تدل على معانٍ كلية، وأنه لا تشابه مطلقاً بين أصواتها وما تدل عليه من معانٍ ([2])

الرد:

لا نختلف معهم في مسألة الغريزة إذ أن اللغة في الأصل ما هي إلا غريزة خاصة زود بها أفراد المجتمع الإنساني. ولكن نختلف معهم حول الدليل الذي ساقوه إذ هو

---

١ / من أبرز مؤيدي هذه النظرية ماكس مولر، وهو من اتخذ من الألفاظ المشتركة بين لغات المجموعة الهندوأوروبية مثالاً للشكل الأولي للغة الإنسانية.

٢ / على عبد الواحد وافي / علم اللغة / ص١٠٠

دليل عليهم وليس لهم. وذلك لأن الأصول الخمسمائة المشتركة في اللغات الهندوأوروبية تتميز بأنها لا علاقة مطلقاً بين اللفظ ومعناه " العلاقة علاقة اعتباطية، رمزية وليست مباشرة "، كما أنها كلها دالة على معانٍ كلية الأمر الذي يتنافى مع كون اللغة في أطوارها أو مراحلها الأولى.

ومعلوم لدي الأنثربولوجيين أن الحضارة الإنسانية مرت بعدد من المراحل، منها أن الإنسان بدأ حياته الأولى جامع ثمار، ثم تطورت حياته الاجتماعية وتعلّم الصيد (أصبح صياداً)، ثم استأنس الحيوان فانتقل إلى مرحلة الرعي. ولما كانت الثمار برية بما فيها الحبوب، استخدم عقله وخبرته واعتنى بها، ثم زرعها، فانتقل إلى مرحلة الزراعة، وزاد إنتاجه من المحاصيل ففكر في تسويقها فدخل مرحلة التجارة، ثم فكر في أعادة تصنيع منتجاته الزراعية والرعوية، فدخل مرحلة الصناعة. ثم تطورت صناعته واخترع الآلات التي سهّلت عمله في الصناعة، ثم فكر في وقود الآلات الصناعية فاخترع الوقود الأحفوري، ثم الكهرباء ثم الذرة، ثم الوقود النووي.

ولا بد لنا أن نشير هنا أن ليس جميع المجتمعات الإنسانية بكثرتها قد مرت بكل هذه المراحل من أولها إلى أخرها دفعة واحدة. بل ما زالت هناك مجتمعات حتى اليوم في المراحل الأولى من مراحل التطور الإنساني، وفي المراحل المختلفة، إذ ما زالت كثير من الشعوب حول حوض نهر الأمازون، وفي مجاهل أفريقيا يعيشون حياة بدائية في نظر الشعوب المتحضرة. أي كثير منهم لم تتجاوز حضارتهم مرحلة جمع الثمار بعد. النقطة المشار إليها هنا هي، أنه إذا ما أردنا أن نأخذ فكرة ولو مبسطة عن طبيعة اللغة الإنسانية الأولى، فلننظر إلى لغات المجتمعات البدائية، فما ما ينطبق على تلك اللغات بالضرورة ينطبق على اللغة الإنسانية الأولى. ومن أبرز مميزات لغات

تلك الجماعات البدائية أن أغلب مفردات تلك اللغات دالة على معانٍ كلية، ففي لغة الهنود الحمر في حوض نهر الأمازون لفظ دال على الطعام إن اشتمل على اللحم، ولفظ آخر دال على الطعام إن اشتمل على الخبز، ولفظ ثالث دال على الطعام إن اشتمل على الموز، وليس في لغتهم لفظ دال على الطعام مطلقاً أو الطعام في وقت معين. كما أن في لغتهم كلمة دالة على شجرة البلوط السوداء وكلمة أخرى تدل على شجرة البلوط الحمراء، ولا يوجد في لغتهم أي لفظ دال على شجرة البلوط مطلقاً أو أي لفظ دال على معنى شجرة، مما يعنى أن كلمات لغتهم كلها تدل على معانٍ جزئية. وفي لغة الهوريين ([1]) يوجد لكل حالة من حالات الفعل المتعدي لفظ خاص به، بينما لا يوجد لفظ للفعل نفسه. وفي لغات سكان أستراليا الأصليين لا يوجد من بين مفرداتها لفظ يدل على الصفة، وإن أرادوا التعبير عن صفة شيء يلجئون إلى تشبيهه بآخر يشتمل على الصفة المقصودة. مثل قولهم فلان كشجرة كذا إن أرادوا وصف طوله ([2]).

كما أن أغلب مفردات لغات المجتمعات البدائية محاكاة للأصوات الصادرة من الشيء نفسه، بمعنى أن أغلب الكلمات محاكاة لأصوات الأشياء الدالة عليها، ففي بعض لغات مجتمعات أدغال أفريقيا نجدهم يطلقون على الدجاجة لفظ (كاك) وعلى المعزة لفظ (ميييع) وعلى الحمار (كرمبلنق) صوت الوقوع.

إذن نختلف مع مؤيدي هذه النظرية في اعتبارهم الأصول الخمسمائة المشتركة تمثل اللغة الإنسانية الأولى، ولا سيما أنها دالة على معان كلية، ولا صلة مطلقاً بينها وبين معانيها. ولا نختلف معهم في كون اللغة أصلاً غريزة خاصة زوِّد بها النوع الإنساني.

---

١ / الهوريين هم سكان أمريكا الأصليين

٢ / أنظر على عبد الواحد وافى / المرجع السابق

٤/نظرية المحاكاة:

تقرر هذه النظرية أن اللغة الإنسانية نشأت من الأصوات الطبيعية (التعبير الطبيعي عن الانفعالات، أصوات الحيوانات، وأصوات مظاهر الطبيعة ([1]). أي تتلخص حيثيات هذه النظرية في أن الإنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها،أو هي ترديد للأصوات الصادرة منها. أي أن الكلمات الأولى للإنسان كانت نتيجة تقليد مباشر لأصوات صادرة من البيئة حوله (وتسمى الكلمات التي تعبِّر عن أصوات أشيائها ومعانيها بالأنوموتوبيا Onomatopoeia حسب المصطلح المعتمد في علم اللغويات. ثم سارت اللغة بعد ذلك في سبيل الرقي والتقدم شيئاً فشيئاً تبعاً لارتقاء العقلية الإنسانية، وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجات الإنسان.

وقد كان أكثر المؤيدين لهذه النظرية ابن جني:

> وقد ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونقيق الغراب، وصهيل الفرس.... ونحو ذلك. ثم ولُدت اللغات فيما بعد..... وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل ([1])

وما يؤيد هذه النظرية – التي نعتبرها أقرب النظريات إلى الصحة - هو اشتراك بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات: مثل الكلمة الدالة على الهمس فهي في العربية " همس " وفي الإنجليزية " whisper " وفي الألمانية " fiustern " وفي العبرية " صفصف" safsaf وفي الحبشية " فاصي "

١ / على عبد الواحد وافي/ المرجع السابق / ص١٠٣

١ / الخصائص / ص٤٦، ٤٧

fasi، وفي التركية " سوسمك somsak".وفي الفرنسية suisurrer. فنلاحظ أن العامل المشترك في هذه الكلمات هو صوت الصفير " السين، الصاد " المميز لعملية الهمس وهو أبرز الأصوات في عملية الهمس.

ويري البعض أن وجود الأونوموتوبيا في اللغة الإنسانية ليس دليلاً على صحة النظرية وذلك لقلة عدد المفردات الأنوموتوبية في اللغات من جهة، ومن جهة أخرى أن المفردات الأنوموتوبية ليست عناصر عضوية أساسية في بنية النظام اللغوي (1).

ويتخذ العلماء دليلاً ثانياً لصحة نظرية المحاكاة نسوقه من المراحل التي يتعلم بها الطفلُ اللغة من المحيطين به في سنوات عمره الأولى. إذ يبدأ في المرحلة الأولى بترديد أصوات لا دلالة لها وتُسمى مرحلة" المناغاة" ثم يبدأ بعدها المرحلة الثانية بأن يطلق أسماء على الأشياء حوله، مستخلصاً هذه الأسماء من الأصوات الصادرة منها أي محاكاتها. فجميع الأطفال مع اختلاف لغات مجتمعاتهم يسمون القط " ناو " والكلب " هو" مثلاً. ثم بعد ذلك يسمع الكلمة الصحيحة من الكبار حوله ويبدأ في تقليدهم ويتدرج في اكتساب اللغة.

غير أن اشتراك اللغات في الكلمات المحاكية للطبيعة أمر نادر، يحتاج إلى بحث وتنقيب في اللغة ويمكن حصره في الكلمات الدالة على صوت الأشياء مثل القطع والدق والشق وأصوات الحيوانات وعناصر الطبيعة التي تشكل في الأصل جزء قليل من أي لغة(2). كما أن النظرية لم تستطع تفسير الكلمات الكثيرة في اللغات المختلفة ولا نرى فيها محاكاة للطبيعة، أي تلك الكلمات التي تعبّر عن

---

1 / البدراوي زهران/ مبحث في قضية الرمزية الصوتية / ص٣٥
2/ رمضان عبد التواب / المرجع السابق١١٧

أسماء المعاني مثل " العدل، المساواة، المروءة، الكرم، الشجاعة، الجُبن... وغيرها من مفردات دالة على معان ومفاهيم تجريدية.

ولكن بالرغم مما قيل حول فساد النظرية إلا أننا نعتبرها أقرب النظريات إلى الصحة والعقل، إذ أنها تشير إلى ما هدى الإنسان الأول لاستخدام قدراته البيولوجية. ولكي ندلل على ذلك نفترض الموقف الآتي.

أنه في المجتمع الإنساني الأول الذي كان عدد أفراده عدة أشخاص، خرج واحد منهم باحثاً عن صيد للطعام، ولما حصل على صيده حمله راجعاً إلى أهله بنفس الطريق الذي جاء به، وعند وصوله إلى نقطة محددة قريبة من مكان سكن أهله، وجد ما اعترض طريقه (نفترض جزع شجرة استعرض فسد عليه الطريق) ووجد من الصعوبة بمكان تجاوزه مع حمله الثقيل. فوضع حمله وحاول زحزحة الجزع عن طريقه. ولكي يستنفر قواه العضلية لجأ إلى مناغاة النفس أي ترديد أي صوت يساعد على انتظام تنفسه شهيقاً وزفيراً، مما تتطلب منه إصدار صوت ما، وفي نفس اللحظة تصادف سماعه لصوت من الطبيعة حوله (صوت طائر مثلاً أو أي حيوان) فبدأ يردد ذاك الصوت الذي سمعه محاولاً استنفار قوته ([1])، فسمع أخوانه الصوت الصادر منه، ولم يستطيعوا تمييزه (لأن تقليده للصوت ليس دقيقاً ومطابقاً لمصدره) فتتبعوا مصدر الصوت، وعند وصولهم إلى المكان الذي صدر منه الصوت، وجدوا أخيهم يردد الصوت ويحاول في نفس الوقت زحزحة الجزع عن طريقه، فأقبل إخوانه عليه وعاونوه في إزاحة الجزع. ومن يومها إذا ما أراد أحدهم طلب المساعدة ما عليه سوى إصدار ذاك الصوت، وأصبح

١ / يلجأ الإنسان عادة عند ممارسة عمل شاق إلى الغناء لاستنفار قوته الجسمانية، كما يفعل البحّارة في السفن الشراعية القديمة، والحمّالين

بمرور الزمن والتكرار ذاك الصوت له دلالة ومعنى. ومن ثم توالت الأحداث الإنسانية للأفراد، وكل حدث ينتهي بظهور مجموعة صوتية تتخذ لنفسها دلالة وترسخ بالتكرار والاستخدام، ومن بعدها تطورت حياة الإنسان وتطورت عقليته تبعاً لذلك فرجع لثروته الصوتية التي كان مصدرها البيئة من حوله وطور تلك البني الصوتية، ونقلها من دلالتها الأنوموتوبية(المحاكية لصوت الشيء) إلى دلالات تجريدية تبعاً لتطور حياته وقدراته الذهنية. على كل نعتبر تلك النظرية – برغم ما لاقته من انتقاد- أنها أفضل النظريات بسبب بعد غيرها عن الواقع وإقناع العقل ومجافاة المنطق. كما نتخذ من نتائج الدراسات الوصفية للغات المجتمعات البدائية دليلاً على صحة هذه النظرية، إذ أن أغلب كلمات هذه اللغات هي محاكاة لأصوات الأشياء الدالة عليها. هذا على افتراض أن الإنسان الأول ذو قدرات ذهنية متواضعة أشبه بتلك التي عند المجتمعات البدائية، ولنا في ذلك وجهة نظر مخالفة كلياً. بدليل ما روي في الكتب السماوية من أحداث تتعلق بالإنسان الأول تشير إلى غير ذلك.

٥/نظرية الاستعداد الفطري:

مؤسسها الألماني " ماكس مولر " سماها نظرية " دِنج دونج "ding dong". وتتلخص هذه النظرية في أن الإنسان مزوَّد بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة، كما أنه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه بأي وسيلة من الوسائل، غير أن هذه القدرة على النطق بالألفاظ الكاملة لا تظهر إلا عند الحاجة أو في الوقت المناسب.

وسماها مؤسسها بـ(دنج دونج) لأنه أراد أن يشبه هذه القوة الفطرية عند الإنسان بلولب الساعة الملتف في باطنها، ويشبه حوادث الزمن (التي تدفع الإنسان إلى إظهار الألفاظ الكاملة إلى الوجود) ببندول الساعة الذي يتحرك، فيخرج بتحركه القوة الكامنة في الساعة. وكأن النفس البشرية مخزن ملئ بالألفاظ ينفتح شيئاً فشيئاً بمفتاح الزمن ومقتضيات الحياة الواقعية.

ويتخذ ماكس مولر من ملاحظته للأطفال في حياتهم اليومية الحرة، التي تدل على أنهم تواقون إلى وضع أسماء للأشياء، التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء، فيبتكرون لها أسماءً لم يسمعوها من قبل، إرضاءً لرغبتهم الفطرية في التعبير عن أغراضهم والتكلم.[1]

هذه النظرية لا تحل المشكلة، إذ كيف ومتى زوّد الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية ؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة ؟. وإذا كان قد زوّد نفسه بتلك الألفاظ فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات ؟ إذ لا بد أن تكون القوة الفطرية متحدة إلى حدٍ ما. وكيف استطاع الإنسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكامنها ويطلقها على المسميات المختلفة؟. فكل هذه التساؤلات تحتاج إلى إجاباتٍ مقنعة.

وأبرز عيوب هذه النظرية أنها تغفل سنة التطور الطبيعي في ألفاظ اللغة، والتي هي سُنَّة الحياة الإنسانية الاجتماعية. التي تفرض بالضرورة أن يكون الشكل الأول للغة بدائي كما حياة الإنسان الأول.

---

١ /رمضان عبد التواب / المرجع السابق /ص١١٦

٦/نظرية الملاحظة:

صاحب هذه النظرية هو العالم الألماني (جيجرGeiger)، فقد برهن أن أقدم ما تم الوصول إليه من الأصوات اللغوية الأولى، يعبِّر عن أعمال أو إشارات إنسانية. ومن هذه الحقيقة استنبط (جيجر) أن تلك الأعمال أو الإشارات هي التي لفتت نظر الإنسان الأول، وأثارت اهتمامه، وأنها كانت أول ما عرفه الإنسان عن أخيه الإنسان، ولذا تمكنتْ من نفسه وحلّتْ منها مكاناً حصيناً، فإن مشاهدة الإنسان لغيره وهو منهمك في عمل من الأعمال الهامة، أو متأثراً بحالة انفعالية قاسية أثارت أقصى اهتمامه، وجعلته يتأثر بأخيه الإنسان تأثراً آلياً بطريق المحاكاة العكسية، فتظهر على وجهه علامات التأثر النفسي البادية على وجه زميله، وقد حمله هذا الانتباه إلى العمل، وملاحظه أخاه وهو يعمل على أن تصدر منه إشارة تلقائية أو صوت ساذج يعبِّر عن هذه الملاحظة، ومع مر الأيام وتكرر التجارب المتشابهة تطورت الأصوات إلى كلمات واستغنى عن الإشارات أو بعضها شيئاً فشيئاً.

ولكي يدلل (جيجر)على صحة ما ذهب إليه عمد إلى تتبع بعض الألفاظ الأوروبية إلى أصولها السنسكريتية، أو الإغريقية ووجد أن أغلب الكلمات تدل في تلك الأصول على أعمال إنسانية. ودليله يسوقه من الكلمات الأوروبية المنحدرة من أصول سنسكريتية - أقدم اللغات الإنسانية المعروفة- والتي تدل على أعمال إنسانية مثل الأصل الأغريقي الدال على الكشط أو السلخ اشتقت منه كلمات استخدمت للدلالة على معاني هي: الجلد، الخشب، الشجر. فالعلاقة بين هذه المعاني والمعنى الأصلي الذي أُشتقتْ منه هو أن الجلد هو ما

يُسلخ، والخشب شجر كشط لحاؤه، والشجر هو ما يُكشط ليؤخذ منه الخشب.

وبالطريقة نفسها انحدرت الكلمة الإنجليزية night بمعنى ليل من أصل سنسكريتي ang أو ungo التي تعني الصبغ باللون الأسود.

والدليل الثاني الذي يسوقه د/ رمضان للتأكيد على صحة النظرية هو أن جميع أسماء الآلات مشتقة من أعمال إنسانية مثل " منشار، مفتاح، مقراض، مقص، مخرز، منجل، محراث.. وغيرها.

لم يوضح صاحب النظرية بأسلوب مفهوم كيف وضُعت تلك الأصول الأولى العامة ؟ التي يقول أنها تتعلق بأعمال إنسانية، والتي يعتبرها الكلمات الأولى التي اشتقت منها غيرها من كلمات ؟. فمن المتعذر إرجاع جميع الكلمات إلى تلك الأصول الأولى العامة التي تحدث عنها([1]). وكان بالأحرى لصاحب النظرية أن يقول أن الإنسان الأول قلّد أخيه الذي يقوم بعمل شاق، إذ ذكرنا أن الإنسان عندما يضطلع القيام بعمل شاق يخرج من حجرته أصوات يستنفر بها قواه الجسدية كما تفعل أنت فتغنى أو تردد أشعاراً عند قيامك بعمل ما، خاصة إن كان شاقاً يتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً.

٧/ نظرية التطور اللغوي:

تأثر أصحاب تلك النظرية بنظرية التطور العام(النشؤ والارتقاء) التي ابتدعها داروين. وقد اتخذ مؤيدو النظرية الأطوار التي يمر بها الطفل في طريق اكتساب اللغة دليلاً على صحة ما ذهبوا إليه. وصاغوا على ذلك مبدآهم الذي يرى آن لغة

١ / عبد الصبور شاهين / المرجع السابق/ ص١١٨

الإنسان الأول سلكت نفس الأطوار التي مرتْ بها لغة الطفل بمراحلها المختلفة. وحددوا المراحل التي مرت بها لغة الإنسان كما يلي:

١/ مرحلة الأصوات الساذجة التي صدرت من الإنسان في العصور الأولى قبل نضوج أعضاء نطقه، وتطور ميوله ورغباته. كما الطفل في شهوره الأولى.

٢/ مرحلة الأصوات المكيَّفة المنبِّئة عن الرغبات والأغراض الغريزية، المصحوبة بالإشارات المتنوعة التي تساعد الأصوات مساعدة فطرية في الإبانة عن الأغراض المراد التعبير عنها. وقد ساعد هذا التطور في الأصوات وتكيفها ساعد في نمو أعضاء النطق من جهة ونمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان من جهة أخرى. والأصوات المكيَّفة هي الأصوات المتنوعة بين الجهر والهمس، والشدة والرخاوة.

٣/ مرحلة المقاطع وهي المرحلة التي انتقلت فيها الأصوات الإنسانية من أصوات غير محددة المعالم، إلى أصوات محددة في صورة مقاطع قصيرة مستنبطة من أصوات الأشياء، أو الظواهر الطبيعية من البيئة حول الإنسان.

٤/ مرحلة الكلمات المكوَّنة من المقاطع، وتتكون الكلمات في هذه المرحلة من المقاطع التي نشأت في المرحلة السابقة، وتلك الكلمات هي الأصول التي استخدمها الإنسان الأول لقضاء حاجاته والتعبير عن أغراضه ورغباته، ومن هذه الأصول الأولى اشتق الإنسان كثير من الفروع وعندها اكتمل تكوين اللغة.

٥/ مرحلة الوضع والاصطلاح، وتلك آخر مراحل النمو اللغوي لدي الإنسان، بسبب مشاهداته اليومية وحاجاته المتجددة والمتطورة وكثرة تجاربه وتنوعها وتطورها.

أيد الدكتور رمضان هذه النظرية ورأي أنها أقرب النظريات إلى الصحة إذ يرى أنها تمثل مذهب التطور اللغوي الذي يمتاز بعدة أمور منها :

الأول: أنه يخضع نشأة اللغة وتطورها إلى سُنَّة التطور العام، شأنها في ذلك شأن كل كائن حي، ينشأ صغيراً ساذجاً، ثم ينمو شيئاً فشيئاً، بحكم طبيعته، والبيئة التي ينشأ فيها. وما اللغة إلا ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل التطور

الثاني: أنه يشرح لنا السرَّ في نمو اللغة من حيث متنها وأساليبها. ويعزو ذلك إلى سلوك الإنسان مسلك التقدُّم والرُّقِي في جميع مقومات حياته الخاصة، وظروفه الاجتماعية، وإلى حاجته الماسة إلى تنمية لغته لتساير حياتِه، ولتسعفه حين يريد التعبير عن أفكاره أو رغباته المتزايدة على الدوام.

الثالث: أنه لا يمنع أن يكون هناك أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها فمن الجائز – بل يكاد يكون من المحقق في نظر أصحاب هذا المذهب –أن يكون الإنسان قد تأثر في إصدار الأصوات الساذجة أو المكيِّفة بما سمع من أصوات الحيوانات، أو الظواهر الطبيعية، وأن بعض تلك الأصوات كان تعبيراً طبيعياً عن آلامه ورغباته وانفعالاته وعواطفه. هذا إلى أن هذا المذهب لا ينكر أثر الاشتقاق والوضع في تنمية متن اللغة وتوسيع نطاقها (1).

ونختلف مع مؤيدي هذا المذهب في اعتمادهم نظرية النشؤ والارتقاء مبدأ انبت عليه أطوار اللغة الإنسانية الأولى، وذلك لأن نظرية النشؤ والارتقاء الدارونية قد أُثبتْ فشلُها وعدم صحتها لتنافيها مع واقع مبدأ مهم جداً أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى " ولقدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ في أحْسَنِ تَقْويم ثُم رددناه أسفَل

---

1 / رمضان عبد التواب / المرجع السابق/١٢١-١٢٢

سافلين.. " (١) وهو أن الإنسان حينما خلقه الله تعالى كان كاملاً فلا يُعقَل بأي حال من الأحوال أن تكون حياة الإنسان الأول العقلية شبيه بحياة الحيوان، ومن ثم تطورت بعد ذلك، ومن جهة أخرى إذا سلمنا بهذا المبدأ فلنسأل أنفسنا كيف دار الحوار بين أبني آدم هابيل وقابيل في الحادث الذي وقع بينهما الذي أفضى بقتل أحدهما الآخر، فلا يعقل أن يكون الحادث تم بحوار استخدمت فيه لغةً إشارة مع اشتمال الحوار – حسب ما تم تصويره في الكتب السماوية- على كثير من المعاني التجريدية. ففي قوله تعالى "واتْلُ عليهِم نبأَ ابنَي آدَمَ بالحقِّ إذ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِلَ مِنْ أحَدِهِمَا ولَمْ يُتَقَبَّلْ مَنْ الآخَرِ قَالَ لأقْتُلَنَّك قَالَ إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنْ المُتَقِين ولان بَسَطْتَ إلي يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أنَا بَاسِط يدِي إليكَ لأقتُلَكَ إنِّي أَخَافُ اللّهَ ربَّ العَلِمين إنِّني أريدُ أنْ تَبُوأ بإثْمِي وإثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أصْحَابِ النَّارِ وذلِكَ جزاءُ الظَالِمين... (٢). فلا يُعقلُ أن يكون أبني آدم قد استخدما لغةً إشارية في هذه الحادثة، إلا وكيف عبرًا عن مفهوم القتل، وتقريب القربان وقبوله من الله تعالى - فكل هذه المفاهيم تجريدية تتطلب لغة صوتية ليُعبِّرُ عنها. على العموم نحن نعتقد أن الإنسان حينما أنزله الله إلى الأرض كان بكامل قواه العقلية، وقادر على إنتاج مختلف المقاطع بل الكلمات الصوتية المحدودة، ومن ثمَّ تعلّم كثيراً من الأصوات محاكياً عناصر الطبيعة من حوله وطوِّر قدراته الصوتية، إذ أنه قادر على تقليد كل عنصر من عناصر الطبيعة، فهو قادر على المشي والجري والسباحة وغيره من أنشطة متنوعة، فكيف لا يستطيع تقليد الأصوات. هذا من

---

١ / سورة التين الأيتين (٤، ٥)

٢/ سورة المائدة الأيات (٢٦-٢٧-٢٨)

جهة ومن جهة أخرى فإن الحديث عن مسألة نشأة اللغة حديث لا يغني ولا يفيد إذ لا يوجد أي منهج علمي يمكن إتِّباعه لدراسته، وذلك لعدم وجود نموذج يمثِّل اللغة الإنسانية الأولى، ولم يبق إلا طريق التخمين والحدث وهما طريقان أقل يقينية في البحوث العلمية.

الباب الثالث

الصراع اللغوي

(عوامله ونتائجه)

الصراع اللغوي عوامله ونتائجه

الفرق بين اللغة واللهجة

تحدثنا في الباب السابق عن نشأة اللغة الإنسانية، مما يعنى ضمناً أن اللغة الإنسانية كانت لغة واحدة – على الرغم من اختلاف العلماء حول مسألة نشأة اللغة – إلا أن الثابت أن اللغة الإنسانية الأولى كيفما كان شكلها وطبيعتها وما إلى ذلك، أنها كانت واحدة، وذلك لصغر حجم المجتمع الإنساني الأول من آدم وأبنائه، فصغر الجماعة الإنسانية الأولى الممثلة أو مجتمع بشري في الأرض، حتَّم على أعضاءه التضامن والتكاتف لمواجه البيئة الطبيعية القاسية من حولهم، وهو العامل الذي حفَّز وضع اللبنات الأولى للتماسك الاجتماعي بين أفراد الأسرة الأولى التي منها ظهر أول مجتمع إنساني، وعليه كانت لهم وسيلة تفاهم، وهي قطعاً لغة صوتية ذات مقاطع، وهي رمزية تحمل دلالات تجريدية كما أسلفنا ذكره في الباب السابق. مهما يكن من أمر فلنسلم بوجود تلك اللغة. ولمَّا كان عدد أفراد الأسرة البشرية الأولى كان محدوداً في أول الأمر، كانت البيئة المحيطة من حولهم تمدهم بما يحتاجوا من طعام وكساء وغيره من متطلبات الحياة. وبمرور الزمن وتكاثر أفراد المجتمع، انقسم المجتمع الإنساني الأول إلى عدد من الأسر، وبتزايد أعداد الأفراد، اضطرت بعض الأسر من الانتقال إلى مكان آخر مجاور لبيئة الأسرة الأم، بحثاً عن موارد بيئية أخرى لمحدودية الموارد الأم. فتأثرت لغة المجموعات الفرعية التي انتقلت من المكان الأم إلى الأماكن الفروع بالبيئة المحيطة بهم التي ليست عناصرها مطابقة للبيئة الأم. فأصبحت – بمرور- الزمن هذه الجماعات الفرعية تستخدم اللغة الأم – طبعا- كوسيلة تفاهم مع انحرافات طفيفة نتيجة أثر البيئة الجديدة على أفرادها. ومع ذلك ظلت درجة التفاهم عن طريق اللغة الأم موجودة بين المجموعة

الأم والمجموعات الفرعية التي اتخذت من بيئات أخرى سكناً لها. فعندها انقسمت اللغة الإنسانية الأم إلى عدد من اللهجات، وهي اللغة الأم ولهجتها (متأثرة بعوامل اجتماعية خاصة بمتكلميها في البيئة الأم) ثم عدد من اللهجات الأخرى التي تستخدمها المجموعات الفرعية. وحتى تلك المرحلة تبقي الطريقة التي تتحدث بها المجموعات الفرعية فلنسميها بـ(أ، ب، ج، د..) كل على حدا هي لهجات للغة الأم. فهنا أصبح لدينا لغة أم (اللغة الإنسانية) انقسمت إلى عدد من اللهجات هي اللهجة (أ) واللهجة (ب) واللهجة (ج).. الخ. ولعل العامل الرئيس الذي يبقي تلك اللهجات فروع للغة الأم هو وجود درجة تفاهم بين المجموعات بعضها البعض من جهة، وبين كل منهم والمجموعة الرئيسة الأم من جهة أخرى. ووجود درجة التفاهم بين المجموعات حفزّه مستوى التواصل بين المجموعات كلها بعضها البعض، بمعنى أن أفراد المجموعات اللهجية يتواصلون بين بعضهم البعض مما يحفظ درجة التفاهم بينهم. وبمرور الزمن وانشغال كل مجموعة بشؤونها الحياتية، قَلَّ مستوى الاتصال بين المجموعات شيئاً فشيئاً، حتى وصل مرحلة أصبح فيها التفاهم مفقود بين فرد من المجموعة (أ) الذي يتحدث اللغة باللهجة مثلاً بفرد من المجموعة (ب) عندها فقط نستطيع أن نقول أن اللهجة (أ) تطورت في لسان متكلميها وأصبحت يومها لغة قائماً بذاتها. فهنا انقسمت اللغة إلى لهجات وتطورت كل لهجة على حدا بفعل عوامل (بيئية، جغرافية، اجتماعية.. الخ) وأصبحت لغةً قائمةً بذاتها لها نظامها (الصوتي، والمورفولوجي، والنحوي، والدلالي) الذي يميِّزُها عن غيرها.

وهكذا صار هذا الأمر قانوناً لانقسام اللغات. ولكي نثبت ذلك فللنظر إلى اللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر، كانت لغةً تامة لها مميزاتها التي تميزها عن غيرها، متكلمة في عدد من الأقاليم اللغوية اللاتينية وهي (إيطاليا، فرنسا، اسبانيا) فكان الأفراد في كل إقليم من الأقاليم المذكورة يستخدم اللاتينية كلغة

تفاهم، ولكن كُلٌّ منهم يستخدمها بلكنة أو طريقة تميِّز مجتمع إقليمه (لهجة) عن بقية الأقاليم الأخرى، وبقيت اللاتينية لغة أما منقسمة لعدد من اللهجات. وما دام الأفراد في مختلف الأقاليم يحافظون على مستوى تفاهم بين بعضهم البعض، تبقى لغاتهم لهجات للغة اللاتينية الأم. وبمرور الزمن قلّتْ درجة التفاهم بين مجتمعات اللهجات اللاتينية بالدرجة التي أصبح معها التفاهم معدوم بين الجماعات اللاتينية في مختلف الأقاليم، عندها فقط انفصلت اللهجة اللاتينية في فرنسا، وأصبحت لغةً قائمة بذاتها (اللغة الفرنسية)، ومن ثم تطورت اللهجة الإيطالية وصارت لغة قائمة بذاتها (اللغة الإيطالية) وكذلك الإسبانية. بينما بقيت اللاتينية الأم مستخدمة في الأديرة ومقامات الخطاب الجاد كلغة أدب ولغة دين، ومن ثم حينما تطورت اللغات المذكورة وارتقت بقدراتها التعبيرية، وأصبحت قادرة على التعبير عن مختلف مناحي الحياة الأدبية والدينية، أزاحت اللاتينية عن ميدان الحياة، وعندها أُعْلِن موت اللاتينية تماماً لا في المدونات التاريخية.

بالنظر إلى نموذج معاصر، نأخذ اللغة الإنجليزية اليوم، فهي مستخدمة في إنجلترا، والولايات المتحدة، وجنوب أفريقيا واستراليا والهند، وغيرها من المجتمعات في العالم، ولكنها مُستخدمة في إنجلترا بطريقة تختلف في بعض مستوياتها (صوتي، نحوى، طريقة كتابة، .. الخ) عن الطريقة التي تُستخدم بها في أمريكا، وفي جنوب أفريقيا، وفي الهند، وفى استراليا. فاللغة الإنجليزية إلى الآن انقسمت إلى عدد من اللهجات، هي اللهجة الإنجليزية في انجلترا، واللهجة الأمريكية (American English, Dialect)، واللهجة الاسترالية (Australian English, Dialect، وإنجليزية أفريقيا African English Dialect. وإنجليزية آسيا Asian English, Dialect. حتى هذه اللحظة تبقي الإنجليزية في المناطق المذكورة لهجات للغة الأم، لأن مستوى التفاهم بين المتكلمين في المناطق المذكورة

موجود، ولكن حينما ينعدم التفاهم بين الأمريكي والاسترالي مثلاً، عندها تكون الإنجليزية في استراليا أصبحت لغةً قائمة بذلتها – وكذلك في أمريكا- وعندها تسمى Australian Language، وتسمى الأخرى American Language.

نخلص من كل ذلك إلى أن أي لغة عُرضه للانقسام إلى لهجات، ومن ثم تتطور تلك اللهجات، وتصير بمرور الزمن لغات قائمة بذاتها، وقد تموت عندها اللغة الأم بسبب غياب عامل التماسك. ولكن هذا القانون برغم وضوحه، وإثباته، إلا أن ذلك لم يحدث للعربية، وذلك لأنها الوعاء الحامل للقرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه وصونه.

فعليه انقسمت اللغات إلى لهجات، وكل لهجة تطورت وصارت لغة، ومن ثم أي لغة ناتجة من لهجة، بمرور الزمن بدورها انقسمت إلى لهجات وتطورت كل لهجة إلى لغة.. وهكذا. حتى صار عدد اللغات الإنسانية اليوم إلى أكثر من ستة ألف لغة. ولكن لم تبق تلك اللغات مع كثرتها منعزلة عن بعضها البعض، بل حدث احتكاك بين بعضها والآخر بسبب عوامل خارجية كثيرة جداً، تقودنا إلى الحديث عن ما يعرف بالصراع اللغوي.

الصراع اللغوي عوامله ونتائجه

يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلبة والسيطرة. [1] فينشأ الصراع بين لغتين أو أكثر بسبب عوامل كثيرة أهمها عاملان، الأول أن تنزح جماعة أجنبية إلى بلد ما تتحدث بلغة غير لغة أهل البلد، والثاني أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة، فيتبادلا المنافع

١ / على عبد الواحد وافي / المرجع السابق / ص٢٢٩

بينهما. ففي كل حالة من الحالتين السابقتين يحتكُ الشعبان مختلفا اللغة بينهما مما يؤدي إلى احتكاك لغتيهما. فلنأخذ كل عامل على حِدا مع الأمثلة التي تشير إلى ذلك

عامل النزوح:

يحدث أن تنزح جماعة لغوية إلى بلد آخر يتحدث أهله لغة غير لغة النازحين، هذا الأمر نفسه له عوامله وأسبابه، لعل أبرزها الفتوح العسكرية، أو الاستعمار أو الحروب طويلة الأمد، أو الهجرة بعامل بيئي طبيعي، مثل المجاعات والجفاف، والبراكين والزلازل وغيرها. فتشتبك لغتا الشعبين في صراع ينتهي في واحد من النتيجتين. إما أن تنتصر لغة على الأخرى فتصبح اللغة المنتصرة لغة جميع السكان (الأصليين،والنازحين) أو أن تتساوى اللغتان في نتيجة الصراع فتبقيا جنباً إلى جنب، وعندها تظهر علامات تدل على تأثر بعضهما البعض في بعض الجوانب، فلنأخذ كل نتيجة على حدا بالتحليل:

أ/ انتصار لغة على الأخرى:

فانتصار لغة على أخرى – كما قلنا- يعنى آن تصبح اللغة المنتصرة لغة جميع السكان من المجموعتين. ويحدث ذلك في حالتين:

(i) الحالة الأولى: أن يكون عدد أفراد شعب اللغة الغالبة أكثر من عدد أفراد شعب اللغة المغلوبة، وذلك يحدث حينما يتساوى كل من الشعبين في الهمجية، وقلة وانحطاط الحضارةِ والثقافة. وهنا يغلب الكَمُّ الكَيْفَ، وذلك لأن كلا من اللغتين المتصارعتين ضعيف القدرة الحضارية بسبب ضعفها في القدرة التعبيرية عن المناحي الحضارية غير الموجودة في حياة الشعبين آصلاً، مما يقود إلى انتصار الكثرة على القلة. والأمثلة على ذلك كثيرة كما يوردها على عبد الواحد وافي

بقوله " أن الإنجليز السكسونيين حينما نزحوا من أوساط أوروبا إلى إنجلترا، لم تلبث لغتهم أن تغلبتْ على اللغات السلتية التي كان يتكلم بها السكان الأصليون، وذلك لأن عدد من بقي من السلتيين بهذه الأقاليم لم يكن شيئاً مذكورا بجانب عدد المغيرين من الإنجليز. وكلا من الشعبين كان همجياً منحطاً في مستوى حضارته، ومبلغ ثقافته،وكلتا اللغتين تنتمي إلى فصيل واحد وهو فصيل اللغات الهندوأوروبية.

وتحدث نفس النتيجة إن كانت اللغتان تنتميان إلى فصيلين مختلفين، ولكن يتطلب نصر واحدة على الأخرى فترة زمنية أطول.... ويضرب لذلك مثلاً بالصراع بين البلغاريين ولغات البلغان التي انتصرت فيها لغات البلغان بسبب كثرة أعدادهم، وانسحبت لغة البلغاريين عن الحياة بعد أمد طويل جداً. وذلك لأن اللغتين من فصيلين مختلفين (1).

وفي المقابل عند تساوي الشعبين في الحضارة، فلا سبيل لانتصار لغة على أخرى، بل تكون النتيجة بقاء اللغتين جنباً إلى جنب. وعندها تتسرب بعض الألفاظ بين اللغتين. والأمثلة على ذلك كثيرة لا تُحصى،مثل احتكاك اللغة العربية باللغة التركية في القرن قبل الماضي في سائر الدول العربية الحالية أيام الدولة العثمانية. فلم تستطع التركية الانتصار على العربية، بل أخذت التركية من العربية بعض الألفاظ، وفي المقابل دخلت كثير من الألفاظ التركية إلى العربية في تلك الدول، ولا سيّما أن التركية كانت في ذلك الوقت لغة الحضارة والتطور الأوروبي الحديث. فدخلت مفردات إدارية، وعسكرية، وهندسية، وطبية وغيرها.

---

1 / على عبد الواحد وافي/ المرجع السابق/ ص ٢٣٠-٢٣١

كما هناك نموذج آخر يتمثل في احتكاك العربية في مرحلة ما بعد الحكم التركي، باللغة الإنجليزية، أو الفرنسية لغة المستعمر، فعاشت اللغتان جنباً إلى جنب، وتأثرتا بعضهما البعض، وفي المقابل انتصرت لغات المستعمر الأوروبي على لغات الحضارات المنحطة في أفريقيا جنوب الصحراء، وغرب أفريقيا، وأمريكا، واستراليا.

كما نأخذ نموذجاً معاصر، إذ احتكت اللغة العربية باللغة العبرية في فلسطين، وهي لغة المستعمر المغتصب الصهيوني، وكانت نتيجة هذا الاحتكاك انتشار العبرية بين الفلسطينيين لحاجتهم لها باعتبارها لغة عمل في مؤسسات الصهاينة، فوجدوا أنفسهم مضطرين لاستخدامها، كما أن ما دفهم إلى ذلك امتثالاً للقول (أعرف لغة عدوك تأمن شره)، وبالمقابل اللغة العربية منتشرة على نطاق واسع بين الإسرائيليين. فهذا نموذج للتعايش اللغوي القهري، فلم تكن نتيجة الصراع هنا انتصار لغة على أخرى، أو تساوى اللغتين في النتيجة، بل كانت النتيجة انتشار اللغتين بين جميع السكان، وذلك ليس نتيجة لكثرة العدد، أو تساوى الشعبين في الحضارة فحسب، بل بسبب عامل قهري اضطراري جعل كل فئة تتعلم لغة الأخرى قهراً للاستعانة بها في الصراع، لأن الصراع عندهم صراع بقاء ووجود.كل يهدف إلى نفي الآخر ليبقى هو.

(أ) الحالة الثانية: أن يكون الشعب الغالب أرقى حضارة وثقافةً وأدباً ولغة من الشعب المغلوب، وأشد منه بأساً ونفوذاً. فهنا لا يُشترط العدد للغلبة بقدر ما يُشترط المستوى الحضاري، إذ يلجأ أفراد المجموعة الأضعف حضارة إلى اقتراض ألفاظ من لغة الشعب الأرقى حضارة في المرحلة الأولى ومن بعدها تبدأ لغتهم في الانسحاب من ميدان الحياة شيئاً فشيئاً إلى أن تموت. والأمثلة المعاصرة على ذلك

كثيرة في أفريقيا، متمثلة في صراع اللغة العربية واللغات الأفريقية في الجزائر والسودان، إذ ماتت كثير من لغات السودان المحلية لانحطاط قدر حضارة أهلها ورقي الحضارة العربية مع أن العرب كانوا أقل عدداً في مقابل السكان المحليين.

ولكن مع انتصار لغة على أخرى بسبب العوامل السابقة نجد أن اللغة الغالبة تتأثر حتماً باللغات التي انتصرت عليها، فتترك فيها بعضاً من آثار الصراع في تشوهات طفيفة صوتية أو مورفولوجية أو حتى دلالية (١).

ب/ تساوي اللغتين في النتيجة:

أما النتيجة الثانية من نتائج الصراع اللغوي بين لغتين هي أن لا تنتصر أي واحدة على الأخرى، بل تبقيان بعضهما البعض جنباً إلى جنب. وطبعاً تكون تلك النتيجة حينما يتساوى الشعبين في مستوى الحضارة، وعدد الأفراد. فيصبح المجتمع ثنائي اللغة Bilingual Society، والأمثلة المعاصرة على ذلك كثيرة مثل (الإنجليزية والسواحيلية) في يوغندا، في كينيا، والإنجليزية والأردية في باكستان.. الخ.

كما هناك عوامل أخرى غير المذكورة للاحتكاك اللغوي، منها:

١/ اشتباك شعبين مختلفي اللغة أو شعوب مختلفة اللغات في حرب طويلة الأمد، فيتم انتقال المفردات وتبادلها بين اللغتين، وذلك لتساوي الفرص بين اللغتين المتصارعتين في عوامل الغلبة وشروط الاحتكاك والصراع مثل الحروب الصليبية. وأيام الفتوحات الإسلامية التي تم فيها تبادل المفردات بالدرجة التي نشأت معها لغة جديدة كلياً وهي (اللغة الأردية) التي هي نتاج احتكاك

---

١ / أنظر د/موسى حامد موسى/ الأوضاع اللغوية في الولايات الاستوائية / بحث دكتوراة

مجموعة من اللغات هي العربية ولغات (من الشام والعراق وشمال إفريقيا وآسيا) في معسكرات الجيش الإسلامي، ولذا سميت الأردية والكلمة (أرد) تعني الجيش في الفارسية.

٢/ توثيق العلاقات التجارية بين شعبين مختلفي اللغة، وذلك أن كل منتجات شعب تدخل على الشعب الآخر حاملة معها أسمائها الأصلية، ولا تلبث تلك الألفاظ (ألفاظ السلع التجارية) تنتشر بين أفراد المجتمع الذي يستخدمها، وتمتزج بلغته، كما هو الحال بين العربية والفارسية من جهة، وبينها وبين الرومية من جهة أخرى، الأمر الذي يبرر دخول ألفاظ إلى العربية مثل (سندس، استبرق.. الخ من الفارسية)([1]) و(سراط، قسطاط، قنطار.. وغيرها من الرومية)

٣/ توثق العلاقات الثقافية بين شعبين مختلفي اللغة، مما يؤدي إلى تأثر لغتي الشعبين فتتبادلان أساليب الكتابة، وطرق التعبير المختلفة، والقواعد والقوانين النحوية والاشتقاقية والمورفولوجية. وعادة يكون تأثر اللغتين بعضها البعض بعامل العلاقات الثقافية أوسع مجالاً لأن مستوى الاحتكاك يكون بالمستوى الفصيحStandard، وفي أغلب الأحيان يكون ميدان الاحتكاك النصوص المكتوبة.

١ / لم يكن العرب يعرفوا إلا نوع واحد من القماش الناعم وهو الحرير، ولكن عندما دخل إلى أسواقهم نوع آخر من الحرير، أحمر، وثاني أخضر، تم تسويقه النوعين باسميهما الفارسي، فهنا وجد العرب أن استخدام كلمة(سندس) للدلالة على الحرير الأخضر أخف وأدق تعبيراً عن (حرير أخضر) فوجدت الكلمة الرواج والانتشار بين الناس، وكذلك (استبرق) في مقابل(حرير أحمر).

تصنيف اللغات الإنسانية

موضوع تصنيف اللغات وتقسيمها إلى أُسر من الموضوعات الشائكة التي اختلف حولها العلماء اللغويون، مثلها ومثل مسالة نشأة اللغة. فتمخض هذا الاختلاف – أيضاً – فأفرز عدداً من النظريات حول الموضوع. ولعل الباعث الذي قاد اللغويين إلى إثارة موضوع تقسيم وتصنيف اللغات، هو إيمانهم بمبدأ انقسام اللغة إلى لهجات وتطور اللهجات وصيرورتها لغات قائمةً بذاتها، الأمر الذي قد يمكّنهم من إثبات الصلات التاريخية بين اللغات المعاصرة ولغات أخرى هناك تشابه ما بينهما، من المحتمل أن تكون واحدة منهما انحدرت من الأخرى. ولعل البحوث اللغوية التاريخية هي التي لفتت نظر العلماء إلى هذا الأمر فخاضوا فيه. ويمكننا تناول الموضوع من خلال نظرتين الأولى تسمى النظرية القديمة، والوجهة الثانية هي نظريات التصنيف اللغوي الحديثة.

أولاً: النظرية القديمة:

وتسمى في بعض المصنَّفات بنظرية الطوفان، وواضح أن مبعثها ديني بحتْ. وتقول أنه لم يبق بعد طوفان نوح إلا لغةً واحدةً، وهي لغة نوح وأبنائه الثلاثة (يافث، وسام، وحام)، الذين كانوا يعيشون في النصف الغربي من قارة آسيا، ومع الزمن ومع تأثير عوامل التطور المختلفة تحولت هذه اللغة (لغة نوح) إلى لهجات، ثم بعد فترة تطورت هذه اللهجات متأثرة بعوامل عدة، وصارت بمرور الزمن لغاتٍ قائمةً بذاتِها [1] مستقلة عن اللغة الأم، وانقسمت تلك اللغة بدورها إلى لهجات، وتطورت كل لهجة وصارت لغة قائمة بذاتها، وهكذا انقسمت اللغات الإنسانية. ولذا – حسب

١ / عبد العزيز أحمد علام، وعبد الله ربيع /في فقه اللغة / ص٨١

رأي مؤيدي المذهب- فإنَّ جميع لغات العالم يمكن إرجاعُها إلى هذه المجموعات اللغوية الثلاث (يافث، سام، حام). واللغات الأم حسب النظرية هي:

(i) المجموعة الآرية:

تنسب إلى (يافث بن نوح)، وموطنها الأول أرض أرمينيا ،وقد ذهب أهلها إلى الهند، ومن ثم رحل فريق منهم إلى الغرب إلى بخاري وأفغانستان، وارتحل بعضٌ منهم شمالاً فكان منهم سكان أوروبا ومن هنا فإن لغات هذه المجموعة (يافث) تنقسم إلى قسمين:

(أ) شمالية: وتشمل اللغات الأوروبية.

(ب) جنوبية: وتدخل فيها اللغات الفارسية، والهندية، والأفغانية، والكردية وغيرها.

(ii) المجموعة السامية وهي التي تُنسب إلى سام بن نوح، وموطنها الأول هو القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وهي تشمل عدة لغات قُسِّمتْ جغرافياً على النحو التالي:

أ/ اللغات السامية الشمالية وتنقسم إلى قسمين:

١/الشمالية الشرقية،وتضم اللغات الأكدية (البابلية، والآشورية

٢/الشمالية الغربية:وتضم الآرامية والسريانية، والكنعانية، والفينيقية، ، والعبرية

(iii) المجموعة الحامية، وتُنسب إلى حام بن نوح وتضم ثلاث:

أ/ المصرية القديمة والقبطية.

ب/ الحبشية القديمة (الكوشية)

ج/ النوبية والبربرية.

ثانياً النظرية الحديثة:

وما يميِّز النظرية الحديثة لتقسيم اللغات هو أن أصحابها لا يعتمدون فيها على النصوص الدينية. برغم ذلك اختلف أصحابها في الأسس التي يقوم عليها التقسيم، فمنهم من يرى في التطور والارتقاء أساساً لتصنيف اللغات، وتحديد فصائلها وهذه الجماعة يتزعمها العلاّمة الألماني شليبجل. بينما ترى مجموعة أخرى أن الأساس الذي ينبغي أن يُعتمد في تصنيف اللغات هو القرابة اللغوية (صوتية، نحوية، صرفية.. الخ ومن أبرز مؤيدي هذا الاتجاه العلاّمة ماكس مولر.

١/ تقسيم شليجل:

قسَّم شليجل اللغات الإنسانية إلى الفصائل أو الأسر التالية:

١/ القسم الأول اللغات المتصرِّفة أو التحليلية، وهي التي يتحقق في بناءها اللغوي أمران.هما:

أ/التغير والتصرف في معاني المفردات تبعاً لتغير وتصرف أبنيتها.

ب/ تربط أجزاء الجمل فيها عن طريق أدوات خاصة، وروابط مستقلة تدل على مختلف العلاقات، ومن أهم هذه اللغات اللغة العربية، واللغات الأوروبية،ففي العربية مثلاً يتغير معنى الكلمة فيها بتغير بناءها الصرفي مثل (كَتَبَ) تدل هذه البنية على حدوث الحدث في زمن مضى بينما (كُتُب) بتغير البنية تدل على معنى آخر، فتغير المعنى حسب تغير البينة الصرفية وهكذا (كاتب، مكتوب،كتاب،.. الخ). كما ترتبط أجزاء الجملة (الكلمات) بعضها البعض

بروابط قوية مثل علامات الإعراب [1] وأدوات العطف، والإضافة.. وغيرها من أدوات ربط.

٢/ اللغات اللصقية أو الوصلية:

وهي تلك اللغات التي تعتمد في تنويع معاني صيغها، في ربط أجزاء جملها بإضافة بعض الأدوات أو الحروف. إما سابقة Prefixes أو لاحقة Infixes أو حشو Suffixes. ومن هذه اللغات هي اللغة اليابانية، واللغة التركية [2].

٣/ اللغات غير المتصرفة أو العازلة:

وهي تلك اللغات التي لا تعتمد على تغير أبنيتها، ولا على الوصل أو اللصق للتنويع في معانيها، ولا تعني بوضع روابط أو أدوات مستقلة، للدلالة على العلاقات المختلفة بين أجزاء الجملة فيها. وإنما تلازم مفرداتها صيغةً واحدة. وتميز العلاقة بين المفردات داخل الجملة عن طريق ترتيب المفردات، ومن أشهر لغات هذا الفصيل اللغة الصينية وبعض اللغات في أفريقيا وأمريكا الجنوبية.

وهذا التقسيم يعتمد على مبدأ النشؤ والارتقاء، إذ يعتمد على أن اللغة بدأت متصرِّفة أو عازلة، ثم ارتقت وتطورت وصارت وصلية آو لصقية. وعندما اكتمل تطورها ونمُوها صارت متصرفة أو تحليلية. وأن كل لغة من لغات البشر وقفت في مرحلة ما من المراحل السابقة. ولكن الواقع اللغوي لا يؤيِّد هذا التقسيم دائماً، فكثيرٌ من اللغات التي صُنِّفت ضمن مجموعة من المجموعات المذكورة، اتصفت بخصائص

١ / الأمر الذي يتيح طواعية كبيرة في تغيير ترتيب المفردات داخل الجملة ما دامت الكلمة (الأسماء) تتصف بعلامات إعرابية تميّز وظيفتها مهما تغير وضعها وترتيبها في الجملة.

٢ / ومثال من التركية فكلمة منزل هي (ew)، وإن أريد التعبير عن معنى (داخل البيت) تُلصق بالكلمة الدالة على البيت لاحقة هي (den) فتصبح الكلمة (ewden)،) وإن أربد جمع البيت نضاف لاحقة (ler)،فتصبح (ewler). على عبد الواحد وافي المرجع السابق

واضحة لمجموعة أخرى من المجموعات الثلاث، فالعربية مثلاً عُدَّتْ من ضمن فصيل اللغات المتصرِّفة أو التحليلية، بينما نجدها تلجأ إلى اللصق في اشتقاق صيغ (المضارع، اسم الفاعل، اسم المفعول.. وغيره)، كما تلجأ إلى ترك أدوات الربط في الجملة بوجود الإعراب. [1]

٢/ تقسيم ماكس مورلر

اعتمد ماكس مولر مبدأ القرابة اللغوية في تقسيمه، إذ وضع اللغات التي توجد قرابة لغوية (صوتية، نحوية، صرفية) بينها في فصيل واحد أو أسرة واحدة. ونتج عن ذلك الفصائل أو الأسر أو المجموعات التالية:

أولاً: أسرة اللغات الهندوأوروبية

سماها ماكس مولر(أسرة اللغات الهندوأوروبية) لأن لغات هذه الأسرة تنتشر في وسط آسيا، وأوروبا. وتضم ثمانية عشر فصيلاً. وأود أن أشير هنا إلى أنني سأستخدم ثلاث مصطلحات هي لغات تتجمع تحت تصنيف أكبر وهو الفصيل. بينما الفصائل تنضوي تحت تصنيف أكبر وهو الأسرة. والأسر اللغوية تضم تحتها مجموعة من الفصائل، وكل فصيل يضم تحته مجموعة من الشعب أو اللغات. وسنشير إلى الأسر بـ(أولاً، ثانياً...) وللفصائل بـ(١، ٢، ٣.. الخ) وللغات بـ(٠ أ، ب، ج..

وعليه تتفرع أسرة اللغات الهندوأوروبية إلى ثمانيةً عشر فصيلاً هي:

١/ فصيل اللغات الإيرانية الهندية: ويضم شعبتين:

---

١ / عبد العزيز علام، وعبد الله ربيع / المرجع السابق / ص٨٥

أ/شعبة اللغات الإيرانية: وتضم عدد من اللغات هي: والزندأفستية [1]، والكُردية، والأسيتية [2]، والأفغانية، والبشتوية [3]، والبهلوية، والفارسية الحديثة (المعاصرة)

ب/ شعبة اللغات الهندية: وتضم: السنسكريتية، والبراكريتية، واللغات الهندية المعاصرة.

٢/ فصيل اللغات الأرمينية: ويضم عدد من لغات أرمينيا في وسط آسيا

٣/ فصيل اللغات الإغريقية: ويضم شعبتين هما:

أ/ اللغات اليونانية القديمة وهي: اليونية، والأتيكية، والدورية.

ب/ اللغات اليونانية المعاصرة (المتحدثة في اليونان الآن)

٤/ فصيل اللغات الألبانية: اللغات المتحدثة في ألبانيا في شرق أوروبا.

٥/ فصيل اللغات الإيطالية: ويضم: الأسكية، والأمبرية، والسمنية، واللغات الرومانية التي تفرعت إلى: (الفرنسية، والبرتغالية، والإيطالية المعاصرة، الإسبانية، ولغة دولة رومانيا)

٦/ فصيل اللغات السلتية [4]: بقي منها بعض اللغات الآن وهي: الولزية، الايرلندية[5]، البريتونية (في غرب فرنسا)

٧/ فصيل اللغات الجرمانية: ويضم ثلاث شعب هي:

آ/ الجرمانية الشرقية: وتمثلها لغة الجوت [6]

---

١ / الزندأفستية هي لغة الأسفار المقدسة المسماة الأفستا أو الاستاق، وشروحها المسماة الزندافستا

٢ / الأسيتية هي لغة سكان القوقاز الأوسط.

٣ / أما البشتوية هي لغة أفغانية يتحدثها شعب البشتون المقيم إلى الآن في أفغانستان.

٤ / وهي لغات شعب السلت، أو الكلت في بعض المصنفات، وهو الشعب الأصلي للجزيرة البريطانية

٥ / الولزية هي لغة مقاطعة ويلز في انجلترا والايرلندية هي المستخدمة في ايرلندا، ولا صلة للغتين باللغة الإنجليزية كما يظن البعض، بل كلاهما لغة قائمة بذاتها

٦ / شعب الجوت هو أقدم شعوب ألمانيا الشرقية

ب/ الجرمانية الشمالية: وتضم: السويدية، الدنمركية، الأيسلندية، النرويجية.

ج/ الجرمانية الجنوبية: وتضم: الإنجليزية، والهولندية، الفلامندية ([1])، والألمانية الحديثة (المعاصرة)

٨/ فصيل اللغات البلطيقية أو السلافية: وتضم شعبتين هما:

أ/ اللغات البلطيقية وهي: اللتوانية، لغة لاتفيا، البروسية القديمة

ب/ اللغات السلافية: وتضم: السلافية القديمة، والروسية، والتشيكية، والكرواتية، والبلغارية.

ثانياً: أسرة اللغات السامية الحامية

وتضم فصيلين الأول اللغات السامية، والثاني اللغات الحامية.

١/ فصيل اللغات السامية: وتضم شعبتين:

أ/ السامية الشمالية: وتضم الأكدية (الآشورية البابلية واللغات الكنعانية ([2])، واللغات الآرامية.

ب/ السامية الجنوبية: وتضم العربية، واليمنية القديمة،

٢/ فصيل اللغات الحامية: يضم ثلاث شعب هي:

أ/ اللغات المصرية: وتضم المصرية القديمة، والقبطية.

ب/اللغات الليبيةوالبربرية: وتضم مجموعة من اللغات القبيلية،والشاوية([3])، والتامشكية([4])

---

١ / الفلامندية لغة متكلمة في بلجيكا

٢ / اللغات الكنعانية هي اللغة العبرية واللغة الفينيقية، ملاحظة أنه ليست العبرية المعاصرة المستخدمة اليوم في فلسطين المحتلة، فع\هذه التي يستخدمها الصهاينة هي لغة مصنوعة أغلب مفرداتها من اللغات الأوروبية الحديثة، لأن العبرية القديمة ماتت منذ أمد بعيد.

٣ / هي لغات السكان الأصليين لتونس والجزائر والمغرب

٤ / هي لغة التوارج (الطوراق) في ليبيا والصحراء المغربية

والشلحية [١]، ولغات زناجة واللغات الجونشية [٢]

ج/ اللغات الكوشية: وتضم اللغات: الصومالية، ولغات الجالا، والبدجا [٣]، والدنقلاوية [٤]، ولغة الأجاوا، السيداما[٥]

ثالثاً: أسرة اللغات الطورانية

واللغات التي صُنِّفتْ تحت هذه الأسرة ليس هناك أي قرابة لغوية بينها، وهي اللغات التي لم تُضم إلى الأسرتين السابقتين (الهندوأوروبية، والسامية الحامية). وهذه الأسرة تعتبر نقطة الضعف الرئيسة في تصنيف ماكس مولر. وتضم أسرة اللغات الطورانية اثني عشر فصيلاً:

١/ فصيل اللغات اليابانية: وهي المستخدمة في الجزر اليابانية.

٢/ فصيل اللغات الكورية: تستخدم في شبه الجزيرة الكورية

٣/ فصيل لغة الإينو [٦]

٤/ فصيل اللغات الصينية: وتضم اللغات الصينية، والتبتية، البرمانية [٧]، والسيامية.

٥/ فصيل اللغات الاسترالية الآسيوية [٨]: وتضم ثلاث شعب:

أ/ اللغات الأنامية [٩]

ب/ اللغات المونديّة [١٠]

---

١ / وهي لغة الشلوح وهم سكان جنوب المملكة المغربية
٢ / وهي لغة السكان الأصليين لسكان جزر المحيط الأطلنطي وسواحل شمال المغرب
٣ / لغة سكان شرق السودان المعاصر.
٤ / وهي لغة سكان شمال السودان حول النيل مع تخوم مصر (النوبة) وتنقسم إلى الدنقلاوية، والسكوت، والمحس، الحلفاوية.
٥ / وهي لغات سكان ساحل البحر الأحمر الأفريقي.
٦/ تستخدم لغة الإبو لدى سكان جزر هيكاردو، وجزر سخالين، وجزر شيكوتان، المنتشرة في بحر اليابان (البحر الأصفر)
٧ / مستخدمة في بورما
٨ / وقصد بها لغة السكان المقيمين في جنوب أسيا و المتحدرين من أستراليا
٩ / وهي لغة سكان أنام في الهند الصينية
١٠ / وهي لغة شعب الموند وهو من أقدم الشعوب الهندية في جنوب الهند

ج/ اللغات الكهرمية، والكمبودية، التشامية (1)

٦/ فصيل اللغات الدرافدية: وتضم التامولية، والكنارية (2)

٧/ فصيل اللغات القوقازية (3): ويضم اللغات القوقازية الشمالية (الساموريه، والأرتسية، والأديغية. واللغات القوقازية الوسطى وهي الجورجية، واللازية

٨/ فصيل اللغات الآسيوية القديمة (4): ويضم اللغة السومرية

٩/ فصيل اللغات التركية: ويضم اللغات التركية، والمغولية، والمنشورية.

١٠/ فصيل اللغات الفينية: ويضم الفينية، والسمودية، والأجرية (5)، والفنلندية، والهنغارية.

١١/ فصيل لغة الباسك (6)

١٢/ فصيل اللغات الهيبيربورية: ويضم لغات هي: التشوكتشية (7) اليوكاجيرية (8)، الجيلياكية (9)

١٣/ فصيل اللغات الملايوية: ويضم خمس شعب هي:

أ/ اللغات الأندونيسية (10)

ب/ اللغات الميلانزية (11)

---

١ / وهي اللغات المستخدمة في كمبوديا، وفيتنام
٢ /مستخدمة في جنوب الهند
٣ / وهي لغات في القوقاز ولكنها لا تمت بصلة قرابة بأسرة اللغات الهندوأوروبية، ولا بالأسرة السامية الحامية
٤ / لغات شعب آسيوي قديم كان يعيش في العراق بين الرافدين، قبل الهجرات السامية إلى المنطقة
٥ / تستخدم تلك اللغات في حوض نهر الفولجا في روسيا
٦ / وتستخدم في منطقة جبال البرنس الغربية بين فرنسا وأسبانيا
٧ / مستخدمة في شمال سيبيرا
٨ / مستخدمة في غرب سيبيريا
٩ / مستخدمة في شمال جزيرة سخالين
١٠ / مستخدمة في جزر أندونيسيا، والفلبين، وجاوة، وسومطرة، مدغشقر
١١ / مستخدمة في جزر سليمان، وسانت كروز، وفيدجي

ج/ اللغات الميكرونزية ([1])

د/ اللغات البلونزية ([2])

هـ/ لغات البابو ([3])

١٤/ فصيل لغات سكان استراليا الأصليين.

١٥/ فصيل اللغات الأمريكية: ويضم شعبتين

أ/ أمريكا الشمالية: الأيركويين، الأسكيمو، السيو، الكويتاك

ب/ أمريكا الجنوبية: الأكالوف، الأروكان، الأراواك، الأتاكاما،

١٦/ فصيل اللغات الإفريقية: وهذا الفصيل يمثل أسرة قائمة بذلتها نبيِّنه فيما يلي:

تندرج اللغات الأفريقية كلها تحت أربع فصائل هي:

١/ فصيل اللغات النيلية الصحراوية: وتضم ثلاث شعب هي:

أ/ اللغات الشارية: ([4])،

ب/ السودانية الوسطى:

ج/ السودانية الغربية:

٢/ فصيل اللغات الكونغولية الكردفانية:

---

١ / مستخدمة في جزر جلبرت، ومارشال، كارولين، وماريان. الجزر المذكورة كلها في المحيط الهادي

٢ / تستخدم في جزر سامو، زيلندة، تاهيتي، وكوك

٣ / مستخدمة في غينيا الجديدة / على عبد الواحد وافي / علم اللغة الصفحات ٢٠٠-٢١٠

٤ / لا يسمح المجال هنا لإعطاء أمثلة لهذه اللغات لكثرتها وتداخل سكانها، إذ لكل أسرة من أسر اللغات الأفريقية يوجد ما يمثلها في السودان الحالي بحدوده الجغرافية الحالية. إذ علمت أن بالسودان أكثر من مائة وسبعون لغة محلية تتوزع على جميع أسر اللغات الأفريقية. لمزيد من التفاصيل يمكنك الرجوع إلى (الأوضاع اللغوية في مدارس الأساس الإستوائية / د. موسى حامد موسى، بحث دكتوراه. جامعة جوبا

٣/ فصيل اللغات الحامية: وهي المذكورة في تصنيف اللغات السامية الحامية (شمال أفريقيا، وشرقها)

٤/ فصيل لغة الخويسان [١]: وهي لغة واحدة يتحدثها أفراد قبيلة الخويسان ويعيشون على شريط ساحلي ضيق في الجزء الجنوبي الغربي لأفريقيا. وصنفت هذه اللغة في أسرة لوحدها بسبب عدم وجود أي صلة بينها وبين أي من الفصائل الثلاثة المذكورة.

ثالثاً: التقسيم الجغرافي

قام بعض من الباحثين بتصنيف اللغات حسب الموقع الجغرافي، جعلوها خمس أسر بعدد القارات، أسرة اللغات الأوروبية، أسرة اللغات الأفريقية، أسرة اللغات الأمريكية، أسرة اللغات الآسيوية، وأسرة اللغات الاسترالية. ولعل الذي حفّزهم إلى هذا التقسيم هو البحث الجيد الذي قدّمه جوزيف جرين بيرج في القرن قبل الماضي Languages of Africa، إذ أجرى دراسة مقارنة مضنية في اللغات الأفريقية في مستوى الأدوات، لأن الأدوات اللغوية قلما تتعرض للتغير والسقوط، ومن نتائج المسح الذي قام به وأعوانه، حيث استطاع النجاح إلى حد كبير في وضع تصنيف جيد للغات الأفريقية. وظن آخرون أنهم يستطيعون أخذ تصنيفه وتطبيقه على لغات بقية القارات، دون القيام بأي مسح لغوي كما فعل جرين بيرج.

١/ Joseph Greenberg / Languages of Africa

اللغات السامية

اللغات السامية هي مجموعة من اللغات المنتشرة في منطقة الشرق الأوسط، وُنسبت إلى الشعوب السامية التي يُعتقد أنها تنحدر من سام بن نوح، إذن قبل التعرف على اللغات السامية علينا أولاً أن نتعرَّف على الشعب السامي الذي تُنسب إليه تلك اللغات. أقدم على تقسيم شعوب العالم، إلى أجناسٍ أربعة حسب صفاتهم الجسمانية مثل (لون البشرة، شكل العينين، شعر الرأس)، وهي الجنس الأبيض، الجنس الأصفر، والجنس الأسود، والجنس الاسترالي..ويقولون أن الجنس الأبيض الذي يعيش شمال البحر الأبيض المتوسط، تفرَّع منه شعب قديم ونزح إلى الساحل الجنوبي من البحر المتوسط، وسمى بعض شعوب هذا الجنس بالشعوب السامية ([1]). وهذا ما ذهب إليه أصحاب نظرية التطور والارتقاء على رأسهم شليجل، التي اعتمد مؤيدوها على نصوص دينية، إذ تقول – كما قلنا- أن الساميين يرجعون إلى سام بن نوح وهو واحد من أخوة ثلاثة ممن بقوا بعد الطوفان.

الموطن الأصلي للشعوب السامية

الشعوب السامية عاشت وما زالت بقاياها تعيش في منطقة الشرق الأوسط والساحل الشرقي لأفريقيا، ولكن لم يُعرف بعد من أين جاءت الشعوب السامية قبل أن تتخذ من المنطقة الحالية موطناً لها،وللإجابة على هذا السؤال تعددت الآراء والنظريات منها.:

---

١ / عبد العزيز علام، وعبد الله ربيع / المرجع السابق / ص٩٢

١/ النظرية الأفريقية: تقول أن الموطن الأصلي للساميين هو أفريقيا(١) ودليلها على ذلك، هو وجود تشابه بيولوجي بين الأفارقة في شرق أفريقيا والعرب في الجزيرة في (شكل الفكين، العيون، الساقين)

٢/ النظرية الأرمينية (٢): تقول أن الشعب السامي جاء من أرمينية وكردستان ودليلها هو " أنه ذُكِر في سفر التكوين أن سفينة نوح رستْ في مكان قريب من أرفكشاد في أرمينيا.

٣/ النظرية البابلية: تقول أن الموطن الأصلي للشعوب السامية كان أسفل نهر الفرات، ودليلها على ذلك هو كثرة الكلمات التي تعبِّر عن البيئة الجغرافية لنهر الفرات في اللغات السامية الأولى.

٤/ النظرية العربية: تقول أن الموطن الأصلي للساميين هو الجزيرة العربية ودليلها نسرده في عدة نقاط هي::

أ/ أن الساميين الذين عاشوا في غير الجزيرة العربية وصلوا إلى تلك البلاد الحالية مغيرين عليها.(٣)

ب/ أن التاريخ يحدثنا دائماً عن هجرات للساميين من بلاد العرب، ولم يحدثنا مطلقاً عن هجرات لهم إليها.

ج/ ثبوت إغارة العرب للسومريين في أريبو.

د/ طموح سكان الصحاري الدائم للمناطق المتحضرة والمتمدنة

---

١ / محاضرات بروفيسور عبد الله الطيب / قسم اللغة العربية /كلية الآداب جامعة الخرطوم. كما ذكر تلك المعلومات الدكتور جعفر ميرغني / قسم الأركولوجي / كلية الآداب / جامعة الخرطوم

٢ / يعتمد أصحابها على نصوص من التوراة، تقول أن سفينة نوح رست في جبل في ارمينيا

٣ / رمضان عبد التواب / فصول في فقه اللغة / ص ٣٨-٤٢

هـ/الإشارة التي وردت في النقوش الشومرية المكتوبة بلغة سكان بابل الأصليين (قبل هجرة الساميين إليها) التي تشير إلى أن بلادهم كانت دائماً في خطر من إغارة قبائل سامية تأتي من الجهات الجنوبية أو الجنوبية الغربية.

و/أن العقلية السامية القديمة كانت تعتمد على المشاهدات الحسية المتجسدة، مما يلاءم الطبيعة الصحراوية ([1]).

ز/أن أقرب الشعوب إلى الجنس السامي لغةً وخلقاً هم العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس الأخرى لانعزالهم في جزيرتهم.

ح/أن بلاد العرب كانت في العصور السابقة للتاريخ كثيفة الأمطار خصبة، ذات أنهار عديدة، وأنها فقدت خصوبتها وأنهارها مما أدي لهجرة السكان منها

الهجرات السامية

مهما يكن من أمر فلنعتمد الرأي القائل أن الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للساميين، فالثابت أن أكثر الساميين اليوم يعيشون خارج الجزيرة العربية، فمتى هاجروا منها؟، ولما؟، وإلى أين ؟، فلنتجاوز تلك الأسئلة ونحدد هجرات الساميين إلى خارج الجزيرة العربية أولاً وهي:

أولها في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد خرجت الموجة الأولى منهم إلى العراق حين تغلبوا على سكانه الشومريين، وأسسوا مملكة بابل، ومن ثم واصلوا زحفهم شمالاً، وأسسوا مملكة آشور.

الثانية حدثت في القرن السادس والعشرين قبل الميلاد، إلى آرض كنعان على ساحل البحر المتوسط إلى (فلسطين، سوريا، لبنان)، وعُرفوا بعدها بالكنعانيين،

---

١ / هذا المبرر ضعيف لأنه من الثابت أن طبيعة الجزيرة العربية لم تكن بهذه الدرجة من الجفاف، أي لم تكن صحراوية جافة، كما ذكر في النقطة (ح)

ومنهم أنحدر الفينيقيون رواد البحر الذين ملكوا البحر المتوسط، وأسسوا مستعمرات لهم في شمال أفريقيا مثل مستعمرة قرطاجنة.

الثالثة حدثت في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث هاجرت موجة من الساميين إلى سوريا واستقرت في دمشق وأسسوا فيها مملكة الآراميين، وغيرها من مناطق الشام المجاورة ([1]).

ومما سبق بيّنا هجرات الساميين إلى جهة الشمال والشمال الغربي ما قبل التاريخ. وإن افترضنا – جدلاً- أن لغتهم كانت قبل الهجرات هي السامية الأم، فعند هجراتهم وتوزعهم في مختلف بقاع العالم القديم، فإن السامية الأم لابد أن تكون قد انقسمت إلى لهجات في تلك الفترة.. ولمّا تباعدت المسافات بين متكلمي السامية في أصقاع المعمورة، كان لابد أن تتطور أي لهجة على حدا، بفعل عوامل بيئية وجغرافية في كل موطن، مما يبعدها شيئاً فشيئاً عن اللغة السامية الأم، ومن ثم صارت كل من اللهجات السامية لغةً قائمةً بذاتها. وعليه نبيّن خصائص اللغات السامية وفروعها فيما يلي ([2]):

خصائص ومميزات اللغات السامية:

١/ اعتمادها على الأصوات الصامتة consonant وليس على الصوائت، الحركات vowels، إذ يرتبط معنى الكلمة الرئيس في أذهان الساميين بالأصوات الصامتة، بينما الأصوات الصائتة (الحركات) لا وظيفة لها سوى تحوير هذا المعني الرئيس المركزي للكلمة.: مثال الصوامت (ك، ت، ب) تدل على معنى مركزي يعنى (التدوين) وعند دخول الصوائت(الحركات عليه)،

١ / عبد العزيز علام، وعبد الله ربيع / المرجع السابق / ص٩٦-٩٧

٢ / نشير إلى أننا ذكرنا بعض اللغات السامية في تصنيف اللغات في الصفحات السابقة، وسنذكرها هنا مع بعض النماذج والأمثلة للظواهر اللغوية المميزة لها

(كَتَبَ، كُتُب، كُتِبَ، كتَّبَ.. الخ) تضيف الحركات معنى ظلي (إضافي) للمعنى الأصلي.

٢/ تتألف غالبية المفردات من أصول صامتة لا يزيد عددها عن ثلاثة، وتدخل عليها الإضافات الاشتقاقية (سوابق، لواحق، حشو) لتحوير المعنى الجذري للكلمة لمعنى إضافي.

٣/ تغلب عليها الصوامت الحلقية (ع، ح، هـ،) والأصوات المفخمّة، (ص، ض، ط)[1].

٤/ الصيغ الفعلية فيها لا تهتم بالأزمنة الثلاثة وفروعها التي تشير إلى الماضي والحاضر والمستقبل. بقدر ما تهتم في هذه الصيغ بنوعين من الحدث، هما الحدث الذي انتهي، والحدث الذي لم ينتهي[2].كما في العربية ماضي (انتهي) مضارع (لم ينته).

٥/ ليس فيها الكلمات المركّبة برغم أنها تستخدم الإضافة لتحديد العلاقة بين اسمين، لم يظهر التركيب إلا في الحصر الحديث في العربية مثلاً.

٦/ إتباع طرق خاصة في إعراب الكلمات في الجملة [3]

٧/ تخلوا من الأفعال المركبة.

٨/تكتفي بحالتين –من حيث النوع- فقط للأسماء هما (المذكر، والمؤنث) مع وجود علامات خاصة بالمؤنث.

١ / لا يقصد الضاد العربية المعجمة الجانية (التي تخرج بين الشدقين) كما يقول ابن جني، وتلك التي تشبه الظاء كما وصفها اللغويون القدامى، بقدر ما عنى الضاد المعاصرة التي هي النظير المفخّم للدال (أي هي أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخّم.

٢ / رمضان عبد التواب / فصول في فقه العربية / ص٤٦

٣ / سقط الإعراب في كثير من اللغات السامية ولم يبق إلا في العربية

٩/ استخدام أدوات لربط الجملة، مع طرق أخرى مثل (الترتيب).

مهما يكن من أمر فإنَّ اللغات السامية قد انقسمت إلى عدد من اللهجات، وتطورت تلك اللهجات بمرور الزمن وصارت لغات قائمة بذاتها، إذن اللغات السامية هي:

١/ اللغة الأكادية:

نسبة إلى (أكاد)([1]) وهو الإقليم الذي أقام فيه الساميون عند هجرتهم إلى العراق، وقد تجد هذه اللغة في بعض المصنَّفاتِ باسم اللغة البابلية أو الآشورية. وقد تأثرت الأكادية بلغة السكان المحليين (الشومريين)، والمظاهر اللغوية التالية تبيِّن التأثر:

أ/ اقتراض بعض الألفاظ الشومرية مثل كلمة (إكو) وتعنى هيكل ففي الشومرية أصلاً (إكل).

ب/استعارة الخط الشومري (المسماري) واستخدامه في الكتابة البابلية.

ج/ استعمال زمن ثالث للفعل وهو (الدال على الاستمرار) بينما اللغات السامية كلها تستعمل زمنين فقط للفعل.

ولم يبق من اللغة الأكادية (البابلية) اليوم شيء إلا في بعض النقوش والآثار.

٢/ اللغة الكنعانية:

وهي لغة الساميين الذي استوطنوا (فلسطين، سوريا، لبنان) وتفرعوا إلى فرعين. الفينيقيين، والعبريين، ونسبة للتشابه الكبير بين اللغتين يُشار إلى أنهما في

---

١ / منهم من يقول إنها نسبة إلى أكد بن نون، واحد من أبناء سام

الأصل كانتا لهجتين للغة الكنعانية الأم، ثم تطورتا وصارت كل منهما لغةً قائمة بذاتها.

ا/ الفينيقية: تفرعت منها لهجات أهمها البونية، والقرطاجية،. وبقيت الفينيقية الأم حتى جاءت اللغة الآرامية وقضت عليها تماماً ولم يبق منها شيء إلا النقوش.

٢/ اللغة العبرية: كانت لهجة كنعانية وصارت لغة تامة وقد مرت العبرية بعدة مراحل منها:

أ/العبرية القديمة: وهي

(i)لغة النقوش (على الأحجار) أو النقود

(ii) لغة العهد القديم: وهي أسفار (التوراة، الأنبياء، الرسائل)

ب/ العبرية الوسيطة (المتوسطة) وتسمى أحياناً بلغة الربانيين،وظهرت بعد ظهور كتاب (المنشا)([1])

ج/ العبرية الحديثة: تمثلها اللهجات المختلفة التي شاعت بين اليهود بعد اختلاطهم بالأوروبيين وتأثرهم بها بعد التشتت مثل (الفرنسية، الاسبانية، الألمانية، البولونية، والروسية.... وغيرها. والعبرية المعاصرة بعيدة كل البعد عن العبرية القديمة.

---

١ / وهو كتاب يتضمن شريعة موسى عليه السلام المروية شفوياً عن الربانيين، وقد بدأ تدوينه أحبار اليهود، وأكملها يهوزا الفاسي) في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد

٣/ اللغات الآرامية:

موطن الآراميين وهو سوريا تطورت لهجتهم السامية وصارت اللغة الآرامية، وانتشرت في نطاق واسع يضم مملكة تدمر، بلاد النبط، وسيناء، ومصر. وقد تأثرت بها اللهجات العربية. بل وأخذت العربية منها نظام الكتابة كما سنبيِّن في الباب الأخير من هذا الكتاب.

٤/ اللغات الحبشية:

هي لغة الساميين الذين هاجروا من الجزيرة العربية من اليمن من منطقة اسمها حبشة، واستوطنوا في شرق أفريقيا قبالة باب المندب. وتفرعت إلى عدد من اللغات هي: الجعزية، اللغة الأمهرية، لغة التجرن (التجراى)، والهررية، في أثيوبيا واريتريا، وجيبوتي حالياً.

٥/ اللغة العربية[١]

وهي اللغة التي سنتحدث عنها بالتفصيل في الصفحات التالية، مقدمين لذلك بالتمهيد عن موطن متحدثي اللغة العربية (العرب) الأم بتوصيف الجزيرة العربية جغرافياً، وهجرات العرب، وانتشارهم في مواطنهم الحالية، مع عرض مفصَّل للقبائل العربية، بجانب التاريخ المفصَّل لنشأة اللغة العربية وتطورها عبر التاريخ.

بلاد العرب

قبل أن نتحدث عن اللغة العربية رأينا أولاً أن نمهِّد بالحديث عن جغرافيا موطن العربية الأم، والشعب الذي يستخدمها.

١ / أنر الباب التالي عن العربية فروعها ولهجاتها من هذا الكتاب

جغرافيا الجزيرة العربية

أقدم رسم لحدود الجزيرة العربية هو الذي ذكره أراتوسين (٢) والذي يقول فيه أن الجزيرة العربية تمتد من هيروبولس - بالقرب من السويس – إلى بابليون عن طريق سلع، وإلى جنوب هذا الحد تمتد شبه الجزيرة العربية إلى المحيط. ثم يضع تفصيل حدودها بقوله أن حدها الشمالي هو الصحراء، وحدها الشرقي يبدأ من الخليج الفارسي، وحدها الغربي يبدأ من البحر الأحمر، والجنوبي من البحر الكبير (١) الذي يمتد بين البحرين.

ولم يختلف توصيف كل القدماء عما ذكره أراتوسين، فيما عدا الخليل بن أحمد الذي ذكر رأيه البكري في كتابه، بذكر سبب تسميتها بهذا الاسم (الجزيرة العربية) بقوله:

سميت جزيرة العرب جزيرة لأن بحر فارس وبحر الحبش[٢] والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض العرب ومعدنها[٣].

كما ذكر ياقوت الحموي سبب الاسم بقوله:

وإنما سُميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم، فظهر بناحية قنسرين [٤]، ثم انحط إلى أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى وقع في البحر من ناحية البصرة، وحتى وقع في البحر ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبادان[٥]، وأخذ البحر في ذلك الموضع مُغرا مطيِّفاً ببلاد العرب منعطفاً

---

٢ / Musil (Alois) / Arabia Deserts / New WORK ١٩٢٧

١ / ويعنى المحيط الهندي

٢ / يعنى البحر الأحمر

٣ / البكر ي/ معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواقع / ص٦

٤ / مدينة سورية

٥ / الأبلة قرية في العراق على ضفاف دجلة، و عبادان مدينة على الخليج العربي

عليها، فأتي منها على سفوان [٦]، وكاظمة إلى القطيف وهجر، وأسياف البحرين، وقطر وعمان، والشحر، ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبين، وعدن وانعطف مغرباً نصباً إلى هلك [٧]، واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن إلى بلاد فرسان وحكّم، والأشعرين وعكة ومضى إلى جُدة ساحل مكة، والجار ساحل المدينة، ثم ساحل الطور، وخليج أيلة راية[١]،حتى بلغ قلزم مصر [٢]، وخالط بلادها، وأقبل النيل في غربي هذا العُنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً معارض البحر، حتى دفع في بحر مصر والشام [٣]، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمرَّ بعسقلان وسواحلها وأتي صور ساحل الأردن، وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق، ثم نفذ إلى سواحل حمص وسواحل قنسرين [٤] حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطاً على أطراق قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق [٥]

وأقرب الصور لرسم حدود الجزيرة هي التي يصورها القلقشندي: بقوله:

أعلم أن مساكن العرب في ابتدأ الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة في أوساط المعمور وأفضل أماكنه.... وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث حلى وزبيد وما دناهما، ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المقدَّم ذكره من الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما

---

٦ / مطوفا بمعنى أخذ البحر لسانا داخل من الأرض
٧ / هي جزيرة في المحيط الهندي
١ / الطور جبال سيناء، بينما أيلة مدينة في ساحل البحر الأحمر، وأيلة على ساحل البحر مطلة على الفسطاط في مصر
٢ / القلزم هو البحر الأحمر
٣ / يعنى البحر الأبيض المتوسط
٤ / قنسرين عاصمة إسلامية قديمة في سوريا
٥ / أحمد علم الجندي / اللهجات العربية في التراث / ص٣٤. نقلا عن جزيرة العرب للهمداني

حولها، ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة ثم بلاد العراق، ومن جهة الشمال الفرات آخذا من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الإبتداء (١).

أما الهمداني فيقسم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام هي: الحجاز، واليمن، و تهامة، ونجد والعروض (٢).

أولاً: الحجاز: وسمى الحجاز بذلك لأنه يحجز ويفصل بين تهامة والعروض، وبين اليمن ونجد، وبين الغور والشام. وقسم بعضهم الحجاز إلى ثلاث أقسام هي الحجاز الأسود وهو سراة ثقيف وتستمر إلى الطائف، والثاني حجاز المدينة الذي ينتهي في العرج، والثالث الجلس ويتجه شمالاً حتى تبوك (٣). ويضم الحجاز حواضر كثيرة أهما مكة والمدينة وينبع، وقرح، وخيبر، والمروة والحوراء، وجدة، والطائف، الجُحفة والعشيرة. وبه واحات أشهرها واحة خيبر، وفدك، والسوارقية (٤)، وتتخلله أودية عديدة منها وادي أضُم، ووادي نخّال ووادي بدا، ووادي القَرى (٥).

ثانياً: اليمن: يقول الكلبي سبب تسميتها بذلك أنه أقبل عليها وسكنها يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وقيل تيَّمن. وقيل أنها سميت بذلك لوقوعها يمين الكعبة (٦) وكانت حدودها كما عند الجغرافيين القدامى إلى حدود

١ / قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان / القلقشندي / ص١٤
٢ / الهمدانى / صفة جزيرة العرب ص ٤٧-٤٨
٣ / ابن الفقيه / مختصر البلدان /ص ٣١
٤ /ياقوت الحموي / معجم البلدان ص٢٨٢ / جزء ٨
٥ / المرجع السابق
٦ / ابن الفيقه / مختصر البلدان / ص٣٣

الطائف ويلملم. وهي من أخصب بلاد العرب ومنطقة تحضر وليست منطقة بداوة، ومن أشهر مدنها صنعاء وصعدة وخيوان، وريدة وزمار وخبأ، وعدن، ولحج. [1].

ثالثاً: تهامة: اسم يطلق على الساحل المحصور بين البحر الأحمر وجبال السراة أو الحجاز من اليمن جنوباً إلى الشام [2]

رابعاً: نجد: وهي الأرض المنبسطة الواقعة بين العروض والحجاز، ومن حد اليمامة إلى قرب المدينة ومنها إلى البصرة شمالاً وشرقاً إلى البحرين وغرباً إلى الحجاز.

خامساً: العروض: فهي أرض العالية التي تقع إلى الجنوب من نجد وإلى الشرق من الحجاز، وتمتد شرقاً حتى اليمامة والبحرين، وجنوباً حتى اليمن.

أصل العرب:

يقسَّمُ العربُ إلى بائدة وباقية، **البائدة** هم الذين هلكوا عن آخرهم ولم يبق لهم أثر إلا ما ذكره القرآن الكريم – عاد، وثمود، وأصحاب الأيكة:

١/قوم عاد:

كانوا يسكنون بين حضرموت والربع الخالي. فاستكبروا في الأرض فأرسل إليهم الله سبحانه وتعالى نبيه (هود) عليه السلام،فلم يؤمنوا بدعوته إلا قليل منهم،

١ / الهمداني / المصدر السابق ص٥٣-٦٧
٢ / المرجع السابق / ص٤٣٧

فعاقبهم الله تعالى وأرسل إليهم الريح الصرصر في قوله تعالى " وأمَّا عَاد فأُهلِكُوا بِرِيْحٍ صَرْصَرْ عَاتِية " ([1])

٢/ قوم ثمود:

كانوا يسكنون الحجر (مدائن صالح)، وقد حباهم الله بقدرة نحت الجبال بيوتاً، فعبدوا الأوثان، ، فأرسل إليهم الله نبيهم (صالح) عليه السلام، وذبحوا الناقة([2])، فعاقبهم الله بالصيحة في قوله تعالى " وأَخَذَ الذّينَ ظَلَمُوا الصَيْحَةُ وأصْبَحُوا في دِيَارِهِمْ جَاثِمِين" ([3]).

٣/ أصحاب الأيكة:

كانوا يسكنون (مدْين)، فكانوا يشركون مع الله آلهة أخرى، ويطفّفون الكيل والميزان، فبعث الله لهم نبيه(شُعيب) عليه السلام، فاستجاب القليلُ منهم لدعوته فعاقبهم اله تعالى بالرجفة. في قوله تعالى (فَأَخَذَتْهُم الرَّجْفَةُ فأصْبَحُوا في دَارِهِم جَاثِمِين ([4]).

العرب الباقية

أما العرب الباقية فهم الذين يقسمهم المؤرخون إلى عاربة ومستعربة مرة، ومرة إلى قحطانيين وعدنانيين. وقبل أن نبيِّن القبائل التي تندرج تحت القسمين الكبيرين لا بد من تحديد المصطلحات التالية حسب استخدام المؤرخين لها وهي:

الشعب: نقصد به النسب الأعلى مثل عدنان أو قحطان.

---

١ / سور الحاقة / الأية رقم ٦
٢ / ابن حزم / جمهرة أنساب العرب / ص٧
٣ / سورة هود / الآية ٦٧
٤ /سورة الأعراف / آية ٧٨

القبيلة: ونقصد به قسم أصغر من الشعب مثل ربيعة ومُضر.

العَمارة: ونقصد به قسم أصغر من القبيلة مثل قريش، وكنانة.

البطن: ونقصد به قسم أصغر من العمارة مثل بني عبد مناف، وبني مخزوم.

الفخذ: ونقصد به قسم أصغر من البطن مثل بني هاشم، وبني أمية.

الفصيلة: ونقصد به قسم أصغر من الفخذ مثل بني العبَّاس.

أولاً: القحطانيون:

هم من العرب العاربة، ولمْ يُعرف سبب تسميتهم بهذا الاسم، وقد اختلف المؤرخون في نسبهم، فمنهم من ينسبهم إلى نبي الله (إسماعيل) عليه السلام، ومنهم من ينسبهم إلى نبي الله (هود) عليه السلام، ومنهم من ينسبهم إلى نبي الله (نوح) عليه السلام، وليس لأي منهم دليلاً قاطعاً يؤيِّد رأيه ([1]). ولكِّن الثابت أن القحطانيين هم أولاد (يَعْرُب)، الذي أنجب (يَشْجُب)، الذي أنجب (سبأ)، التي أنجبت كل من (حِمْيَر) و(كَهْلان)، ومنهم تفرعت البطون التي سنعرضها هنا.

وعليه فالقحطانيون شعب ينقسم إلى أربع قبائل كبيرة وهي

١/ **حِمْيَر**: منازلهم الأولى باليمن وتمتد إلى غور الأردن، وتضم قبيلة حمير عدداً من العمائر هي: (شيبان، وقضاعة، وجهينة، وبلى، وكلب، وبهراء، وتنوخ، ومَهرة، وجُرم)

٢/ **كهْلان**: وتضم عمائر(جذام، وكِندة، وطئ، ومذحج، والأزد، والأوس، والخزرج، وخزاعة، وهمدان، وخولان، وأنمار التي من أشهر بطونها (بُجيلة، وخُثْعُم).

---

١ / ابن حزم / المرجع السابق / ص٧

٣/ **أشعر**: وهي القبيلة التي لم تهاجر من اليمن.

٤/ **عاملة**: وهم ممن هاجروا من اليمن إلى قرب دمشق في جبال عاملة في الشام. وسنتحدث عن أشهر وأكبر القبائل القحطانية بالتفصيل وهي قبيلتي (حمير وكهلان)

١/ **حِمْيَر**: سكنوا في اليمن في موضع يُسمى (حمير) يقع غرب صنعاء الحالية، وامتدت بطون حمير شمالاً في الجزيرة العربية حتى بلاد الشام التي اتخذتها قضاعة سكناً لها. ومن أشهر عمائرها .

أ /(**قُضَاعة**): التي اتخذت من الشام سكناً لها.

ب/(**جُهينة**)، التي اتخذت من ينبع سكناً لها –فجهينة ما بين ينبع ويثرب إلى الآن في متسع من برية الحجاز، وهي في العدوة الشرقية من بحر القِلْزم- [1].

ج/(**بلَى**): كانت منازلهم شمالي جهينة إلى عقبة أيلة على العدوة الشرقية من بحر القِلْزم [2]

د/ (**عُذْرة**): يسكنون بين وادي القرى والشمال من الجزيرة

هـ/(**كلب**)، يتخذون من صحراء السماوة سكناً لهم في دومة الجندل، وتبوك.

---

١ / ابن خلدون / تاريخ ابن خلدون / ج٢/ص٢٤٧
٢ / المرجع السابق/ نفس الصفحة

و/ (بَهْرَاء): " فإن تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعت في أرض بهراء ([1])

ز/ (مَهْرة): كانوا بمشارق اليمن من ناحية الشحر([2])

٢/كَهْلان:

منازلهم اليمن بناحية صَعْدَة، واسمهم نسبة إلى جبل وهو جبل كهلان. ولا يُعرف ما إذا سموا على الجبل، أم الجبل سُمي عليهم. وتتفرع قبيلة كهلان إلى عدد من العمائر:

أ/(كِندة): موطنهم "جبال اليمن مما يلي وادي حضرموت.

ب/ (هَمَدان) بلادهم مابين الغائط وتهامة من نجد والسراة شمال صنعاء ما بينهما صعدة.

ج/ (مَذْحَج): موطنهم في الجوف بين همدان ومذحج.

د/ (خُثْعُم): موطنهم أعراض نجد في (بيشة، وترج، وتبالة ([3])

هـ/(بَجِلة): ديارهم بالسراة.

و/ (الأزد): يقول الهمداني أنهم تفرقوا في البلاد([4])

ز/ (طيء): نزحوا من اليمن إلى الشمال عند جبلي (أجا، وسلمى)

ح/ (جُزام): ديارهم بين مدين وتبوك.

---

١ / السابق/ص ٢٤٥، ويعنى ابن خلدون بتايسرت أي اتجهت يساراً، وبالحر الكبير بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط

٢/ ابن حزم / المرجع السابق /ص٤٤٠

٣ / ابن خلدون / المرجع السابق /

٤ / ابن حزم / المرجع السابق / ص٤٨٤

ط/ (لَخم): ديارهم بالشام بين مصر والشام، (منطقة العريش).

ي/ (خَوْلان): ديارهم باليمن.

ك/ (عاملة): ديارهم بالأردن.

ثانياً: العدنانيون:

وهم من العرب المستعربة وهم ينقسمون إلى ثلاث عمائر هي:

١/ **خندق**: ومن بطونها (كنانة، قريش، هذيل، تميم)

٢/**قيس**: ومن بطونها (هوازن، سُليم، غَطَفان، بنو غني).

٣/ **ربيعة**: ومن بطونها (أسد، ووائل، وبكر، وتغلب)

وهنا نذكر أماكن سكن كل قبيلة:

١/ (**خنذدق**) تتفرع إلى ثلاث بطون هي:

أ/ كِنانة: ديارهم هي تهامة بالقرب من مكة.

ب/ قريش: ديارهم هي مكة وما حولها.

د/ هُذيل: ديارهم السروات.

٢/ (**قيس**) بن عيلان بطونها هي:

أ/ هوازن: مساكنهم بين السروات وتهامة ونجد وتتفرع منها أربع فصائل هي:

(i)بنو كلاب: بلادهم بين ضَرية والمدينة المنورة

(ii) ثقيف: ديارهم الطائف، وثقيف.

(iii) نمير: ديارهم وثلان بناحية الشريف.

(iv) بنو سعد :.

ب/ (سُليم): ديارهم خيبر شرق المدينة المنورة

د/(عَدْوان): ديارهم بالقرب من مكة على طريق نجد.

٣/ **(ربيعة)**: ديارهم بين الجزيرة والعراق، وهو فصيلان:

أ/ (أسد): ديارهم بعد طيء قبل الكوفة ([١])

ب/ وائل: وتضم فرعين هما :

(i) تغلب: موطنهم بجزيرة الفرات.

(ii)بكر: موطنهم يمتد من اليمامة إلى البحرين

---

١ /صفة جزيرة العرب

اللغة العربية

اللغة العربية بمفهومها المعاصر هي اللغة الفصحى التي استخدمها العرب الجاهليون في أدبهم، وتلك اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، والتي ما زالت تُستخدم حتى اليوم في مواقف الخطاب الرسمي، وهي أيضاً جميع اللهجات العربية القديمة في الجاهلية، ومروراً بالعصور الإسلامية الأولى، وانتهاءً باللهجات العربية المعاصرة المستخدمة اليوم في جميع الأقطار العربية في المستوى الفصيح والعاميات باعتبارها لهجات تفرعَّتْ من الفُصحى. والسؤال الذي يفرض نفسه ما هو مصدر تلك اللغة المسماة (اللغة العربية)؟. نقول بناءً على ما ذكرنا في مواضع متفرقة من هذا الكتاب، أن اللغة العربية قبل تأطرها وصيرورتها لغة قائمةً بذاتها، قبل العصر الجاهلي – الذي لا نعرف عنه شيئاً قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين عاماً- كانت لهجةً أو بالأحرى لهجات للغة السامية الأم عندما تفرعت اللغة السامية إلى عدد من اللهجات، ومن ثم تطورت كلٌّ لهجة سامية على حدا، وتحولت إلى لغات بموت السامية الأم شيئاً فشيئاً. إذن إن أردنا التعرف على أصول اللغة العربية علينا أن نبدأ بطفولتها الأولى عندما كانت لهجة من اللهجات السامية – الأمر الذي لا نملك له وثائق وشواهد غير بعض النقوش المبتورة ([1]). وعليه بالرغم من ذلك نستطيع في الصفحات التالية أن نعرض بعضاً من جوانب الأطوار – بالأحرى أقدم – الأشكال اللغوية للغة العربية. متمثلة في طفولة اللغة العربية التي تمثلها النقوش اليمنية، وقد يتساءل البعض لمالا نجد أمثلة لأطوار اللغة العربية الأولى في شمال الجزيرة العربية؟. ونقول بدورنا أن العرب الجنوبيين

١ / لا تعتبر النقوش شواهد واضحة لدراسة الظواهر اللغوية بسبب مستوى لغة النقوش التي لا تصور إلا جملاً مبتورة وعبارات إعلانية يشتمل أغلبها على لغة شواهد القبور والأضرحة. ولا تصور اللغة بشكلها الكامل (مفردات مترابطة، وجمل) أي صور تركيبية متكاملة.

في اليمن كانوا أكثر تحضراً واستقراراً من عرب شمال الجزيرة، فاستطاعوا تصوير كثير من جوانب حياتهم التي بقيت آثارها إلى العصر الحديث شاهداً على ما اندثر في شمال الجزيرة (1). ومما سبق يتضح لنا أن الموطن الأصلي والأول للعرب هو جنوب الجزيرة العربية، ومن ثم هاجروا منه إلى شمالها، وصولاً إلى الشام وشمال أفريقيا قبل الإسلام. مما يشير إلى أن اللهجات اليمينية القديمة هي أول شكل يمثل العربية حينما كانت لهجة من اللهجات السامية، ومن ثم تكونت اللغة العربية، وبعدها انقسمت اللغة العربية إلى عدد من اللهجات المنتشرة بانتشار متكلميها من القبائل العربية إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية في العراق، والشام،وشمال أفريقيا كما رأينا، ومن ثم عادت مرة أخرى تلك اللهجات بعد تفرعها، عادت لتتحد مرةً أخرى بسبب عوامل اقتصادية، ودينية وأدبية – قبل الإسلام بنحو مائة عام ممثلة في لهجة قريش. وهذا الأمر نتخذه دليلاً على كون اللهجات العربية في العصر الجاهلي في الأصل كانت موحدَّة في لغة واحدة هي اللغة العربية، التي هي واحدة من الأخوات الساميات (الأكادية، السريانية.. وغيرها). ومن ثم انقسمت إلى لهجات، وبفعل العوامل الاقتصادية والدينية كان أمر توحدها مرة أخرى أمراً سهلاً سلساً. وهذا الأمر لم يحدث مع أي لغة أخرى غير العربية. وهو الأمر الذي يميِّز اللغة العربية عن غيرها من اللغات، بجانب أن نزول القرآن الكريم بها، واتخاذها من قبل الإسلام (لغة دين) لتكون لسانه في الصلاة وقراءة القرآن – برغم تعدد وتنوع لهجاتها- فأصبحت اللغة الإنسانية الوحيدة التي بقيت حيةً فتيةً عشرات القرون دون أن تنقسم إلى

1 / الأمر الذي يشير إلى قلة نفوش العربية في شمال الجزيرة العربية. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن اللهجات العربية في الشمال لم يكن لها وجود بل كانت حاضرة كما سنتحدث في الصفحات التالية.

لغات (1) كما حدث لكثير من اللغات التي عاصرتها، وتلك التي جاءت بعدها. على العموم فأقدم أشكال العربية قُسِّم إلى فرعين. عربية الجنوب، وعربية الشمال.

العربية الجنوبية:

أقدم اللهجات العربية هي تلك اللهجات التي انتشرت أولاً في جنوب الجزيرة العربية، ولذا تعددت الأسماء التي أطلقها اللغويون عليها مثل (اللهجات اليمنية)، (واللهجات الجنوبية)، و(اللهجات السبئية)، و(اللهجات الحميرية)، و(لهجات النقوش العربية). فنرى أن كل الأسماء التي أُطلقت على أقدم اللهجات العربية تُشيرُ إلى موطن العرب الأول، وهو جنوب الجزيرة العربية واليمن بالتحديد. ومصدر هذه اللهجات هو تلك النقوش التي عُثِر عليها في جنوب الجزيرة. وكما قلنا أن عرب جنوب الجزيرة كانوا أكثر تحضراً وتمدناً وبالتالي أكثر استقراراً مما ساعد على إنشاءهم الممالك المعروفة في التاريخ.

فالنقوش التي عبَّرت عن تلك اللهجات أثبتت أن المعينية والسبئية هما لهجتان عربيتان، إذ حدث بينهما صراع – هو في الأصل صراع بين دولتي معين وسبأ- ، انتهى ذاك الصراع بظهور مملكة سبأ، مما يعنى سواد اللهجة السبئية. فبقيت اللهجة السبئية ببقاء دولة سبأ، وظلت اللهجة السبئية مسيطرة على لسان أفراد المجتمع اليمني حتى ظهرت دولة حمير، التي قاد ظهورها إلى صراع بين اللهجتين الحميرية والسبئية السائدة، وفي هذه المرة انتصرت اللهجة الحميرية على اللهجة السبئية برسوخ دولة حمير. وبمرور الزمن وتطور الحياة الحضارية لأهل اليمن في

١ / تنقسم اللغة إلى لهجات وتتطور اللهجات وتصير لغات وينذر ذلك بموت اللغة الأم، وقد ضربنا الأمثل لذلك في صفحات سابقة من هذا الكتاب

ظل مملكة حمير، تطورت تبعاً لذلك اللهجة الحميرية مما قرّبها من العربية الشمالية، الأمر الذي مهّد لظهور اللغة العربية الموحّدة (1).

فمن الصراع السابق بين اللهجات اليمنية الثلاث نفهم أن اللهجات الثلاث كانت بمستوى متقارب من التطور والقدرة التعبيرية على مناحي الحياة الحضارية المختلفة في ذلك الزمان. فكل منها استطاع أن ينتصر على غيره بفعل عوامل خارجية – سياسية، وعصبية- ، وعندها صار لغةَ دولة يُعبِّر من خلالها عن كل النواحي الحضارية والسياسية. فهذا الاستنتاج يقودنا إلى التأكيد بأن هذه اللهجات الثلاث هي فروع للعربية الأم التي تباعدت المسافات الجغرافية بينها ومن بناتها (لهجاتها).

على كلٍ انقسمت الحميرية إلى عدد من اللهجات، وبقيت اللهجات تلك - المتفرعة عن الحميرية – في موطنها –جنوب الجزيرة- وفُرِضت عليها عزلة طبيعية تمثّلتْ في وعورة التضاريس، وإهمال بعامل اندثار ممالك اليمن، مما أدى لانكماشها، ولم يبق منها إلا بعض اللهجات. واللهجات الحميرية التي بقيت في اليمن هي اللهجة المهرية في منطقة (مهرة) شرق حضرموت، واللهجة الشحرية غرب المنطقة السابقة، واللهجة السوقطرية. أما الحميرية الأم فقد نزح كثير من متكلميها إلى الشمال حتى وصولوا إلى شمال الجزيرة، وشمال أفريقيا، والشام والعراق – كما ذكرنا في الهجرات العربية.

---

1 / عبد العزيز علام وعبد الله ربيع / المرجع السابق / ص١٣٤

العربية الشمالية

وهي اللهجات التي انتشرت في الجزء الشمالي من الجزيرة العربية. وتحدث بها العرب في تلك الأجزاء من الجزيرة. ويقسّمها المؤرخون إلى فرعين:

الأول: العربية البائدة (عربية النقوش)

وهي التي ماتت بموت متحدثيها واندثار الشعوب التي سادت بينها، ولا نعرِف عنها اليومَ إلا القليلَ من النقوش التي عُثِر عليها في مناطق متفرقة، منها (النقوش (الثمودية) التي ترجع إلى ثمود، والتي وجدت في كل من الجوف، وحائل، و العلاء، والحِجر، ومدائن صالح، و تبوك.. وغيرها. بجانب النقوش (اللحيانية)، والنقوش (الصفوية). وقد توصّل اللغويون إلى وجود تشابه في كثير من الظواهر اللغوية، اُتخِذتْ كشواهد على أنها تمثل لهجات للعربية (1)

ثانياً: العربية الباقية:

فالعربية الباقية هي تلك اللغة العربية التي نستخدمها الآن بلهجاتها القديمة الجاهلية والإسلامية والمعاصرة. ولكن – كما ذكرنا في بداية هذا الباب – أن اللهجات اليمنية هي المادة الخام والأرضية التي تكوّنتْ منها اللغة العربية التي نتحدث عنها. وذلك لأن الهجرات العربية – كما بيّنا- انطلقت من اليمن أصلاً ووصلت إلى جميع أنحاء الجزيرة، وبتلك الهجرات انتشرت اللغة العربية في جميع أنحاء الجزيرة بانتشار متكلميها. ولمّا لم يكن – في فترة ما قبل الجاهلي – ما يوِّحد تلك اللهجات العربية كانت متفرقة بين ألسنة متكلميها، مع احتفاظها بقدر

---

1 / أنظر المرجع السابق لتبيُّن الشواهد التى تشير إلى أن اللهجات الثمودية واللحيانية والصفوية لهجات للعربية. ص ١٣٨-١٣٩

مشترك بين جميع القبائل التي تستخدمها. وفي هذه المرحلة تغيرت ألقاب تلك اللهجات وأصبحنا نسمع – كما يروى لنا اللغويون المسلمون- لغة الحجاز، لغة تميم، لغة طيء، لغة ربيعة....الخ. واستمر استخدام تلك اللهجات إلى أن سكن الحجازيون مكة وما حولها، وسيطروا على تجارتها – من اليمن إلى الشام – وتولوا أمر حجاج بيتها. الأمر الذي مكّن قريش من السيطرة على الشعوب العربية في الجزيرة العربية من الناحية الدينية والاقتصادية. فكانت مكة قِبلة الحجاج من كل نواحي وأقاليم الجزيرة العربية. كما كان يفدها في مواسم الحج مختلف الأفراد من مختلف القبائل. ولمّا كان مركز الحجاز التجاري(الأسواق التجارية) تُعقَدُ في فترات متباعدة في العام، كانت تلك الأسواق بمثابة مهرجانات اقتصادية، يتجمع فيها التجار من كل حدب وصوب، ويستمر انعقاد السوق بضعة أشهر، مما يجعل الناس يقيمون برامج ومهرجانات أدبية (في سوق عكاظ خاصة). يتوافد إليها الشعراء والخطباء الاجتماعيون والدينيون من مختلف أصقاع الجزيرة العربية. فكانت لهجة قريش هي السائدة في ميدان التجارة والدين والشعر،والأدب، إذ أصبحت تمثّلُ القاسم المشترك الأعظم بين جميع اللهجات العربية في الجزيرة العربية.

ولذا مهما كانت لهجة الشاعر مثلاً، فإنّه يَعْمَدُ إلى تقديم نصه بلهجة قريش التي يعرفها الجميع دون استثناء، مما زاد من أهمية لهجة قريش، فأصبحت بمرور السنين لغة الأدب. إذن العاملان (الاقتصادي، والديني) ساعدا بدرجة كبيرة على اتساع رقعة لهجة قريش رأسياً فتطورت وصارت لغة الأدب و (الخطاب الرسمي)، أي أن قدراتِها التعبيرية اتسعت، وأصبحت قادرة على التعبير عن مختلف مناحي الحياة العامة، والاقتصادية، والأدبية والدينية ([1]). كما تطورت أفقياً بانتشارها في مختلف

---

١ / أي في الخطب الدينية والاجتماعية التي كانت تُعقد في أسواق الحجاز

جهات الجزيرة العربية بزيادة عدد متكلميها من رواد المركز الديني والاقتصادي والمشتغلين والمهتمين بالأدب.

على العموم هذا التطور الذي حدث للهجة قريش بفعل العوامل المذكورة، جعل القرآن الكريم يختارها لساناً له لما لها من شيوع وتطور، وقدرتها على تحمل التعبير عما ورد في القرآن من دلالات ومفاهيم جديدة على العرب، الأمر الذي زاد من قوة دفعها الذاتية، وأصبحت ليست مجرد لهجة بل أصبحت اللغة العربية الفصحى[1] للقرآن الكريم والدين الإسلامي، ولغة الأدب والعلم والفن. ومن ثم صارت لغة التأليف العلمي والأدبي.

أطوار اللغة العربية

هذا وقد مرَّت اللغة العربية بعدة أطوار أولها الطور الجاهلي وقد ذكرنا طرفاً منه في الصفحات السابقة.

١/ الطور الإسلامي: أثر الإسلام على اللغة العربية

وحينما جاء الإسلام نقل العربَ نقلة نوعية اجتماعية كبيرةً، إذ حوَّلهم من شعب تقوم حياة أغلب أفراده على الوثنية وعبادة الأصنام، والعصبية القبلية، وكل الأمراض الاجتماعية السائدة حين ذاك، إلى مجتمع مثال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، تسوده المساواة والوقار، ويعمر قلبه الإيمان المطلق برب العالمين، وحب الغير والخير للآخرين. وقد عبَّر القرآن الكريم عن كثير من قيمه الروحية بلغة لم يكن العرب يعرفونها قبل الإسلام. فهذه التغيرات الاجتماعية والعقلية والنفسية التي أحدثها الدين الإسلامي، والقرآن الكريم على العرب لابد أن يكون لها أثر واضح

١ / هذا مع اشتمال الفصحى على كثير من الظواهر اللغوية التي تناقض لهجة قريش مثل نبر الهمزة، وغيرها من ظواهر لغوية ترجع إلى قبائل عربية بعينها لا مثيل لها في لهجة قريش.

وبيِّنٌ على اللغة. فكان تأثير الإسلام على اللغة العربية قد شمل كثيرا من المستويات اللغوية (المورفولوجي، والدلالي، والأسلوبي).

المستوى المورفولوجي (الكلمة):

تأثرت مفردات اللغة العربية بالإسلام تأثراً كبيراً،وذلك إما من خلال تغير دلالات بعضها،أو توسيع دلالاتها أو حتى موتها، وظهور مفردات جديدة. إذن التغيرات التي حدثت لألفاظ العربية الجاهلية بعد الإسلام اتخذت عدة أشكال منها

الأول: هجر الألفاظ:

الألفاظ الجاهلية التي هُجِرتْ في الإسلام هي تلك الألفاظ المرتبطة والمتعلقة بالعادات الوثنية التي قضى الإسلامُ عليها. وانسحبت من الحياة بهجر الناس لها بانسحاب العادات المرتبطة بها عن ميدان الحياة بظهور مفاهيم الإسلام الروحية الجديدة مثل:

(البحيرة): هي الناقة تُشق أذنُها إذا ولِدت عشر بطون، ولا تُركب، ولا يُنتَفعُ بظهرها([1]).

(السائبة): وهي الناقة التي مات عنها صاحبها تُربط على قبره وتُترك إما تهلك أو تنجو.

(وصيلة): وهي الشاة التي تلد سبع أبطن، تُبجل فإن كان السابع ذكراً يُذبَح عند الآلة.

(حام): وهو الفحل إذا لقَّحَ عشر سنين يقال حمى ظهره فيُبجَّلُ. وقد نهى القرآنُ الكريم العرب عن تلك العادات بقوله " وما جَعَلَ اللّهُ من بحيرةٍ ولا سَائبة ولا وصيلةَ ولا حَام ولكن الذّين كفَروا يفتَرُون على اللّهِ الكَذِبَ وأكثرهم لا يَعقِلُون)([2])، ولمّا انتهى العرب من تلك العادات الوثنية ماتت المفردات المتعلقة بها، ولم يعُد لها وجود.

١ / أي أنجبت عشر مرات. أنظر أحمد بن فارس / معجم مقاييس اللغة / ج١/ص١٠٨

٢ / المائدة آية (١٠٣)

(المرياع): هو ربع الغنيمة الخالصة للرئيس.

(الصرورة): هو التبتل وترك الزواج.

(التطير): التشاؤم والتفاؤل.

(سادن الوثن): هو خادم زوار الصنم.

وألفاظ اقتصادية:

(الأتاوة، المكس، الحلوان، النوافج). **وعبارات التحية:** (عِمتِ صباح، عِمتِ مساء) أبيت اللعن،

وأسماء أيام الأسبوع:

السبت (شيار)، الأحد (أول)، الاثنين (أهون، أو أهود)، الثلاثاء (جُبَار)، الأربعاء ((دُبَار)، الخميس (مُونِس)، الجمعة (عَرُوبة). فأسماء الأسبوع التي بين الأقواس جاهلية ماتت وتغيرت، ولم يعد لها وجود.

وأسماء الشهور:

محرَّم(المُوتَمر)، صفر (نَاجِر)، ربيع الأول (خَوَّان)، ربيع الآخر (ونُصَان)، جمادي الأول (الحَنين)، جمادي الآخر (رُبَي)، رجَب (الأصم)، شعبان (عَادِل)، رمضان (نَاتِق) شوال (وَعَل)، ذو القعدة (ورْنَة)، ذو الحجة (بُرَك)[1].

فأسماء الشهور بين الأقواس هي ألفاظ جاهلية ماتت ولم يعد لها وجود.

١ / أنظر السيوطي / المزهر /ج١/ص٢٣

الثاني: توسع دلالات الألفاظ:

وهنا نأخذ نماذج لبعض الألفاظ – على سبيل المثال وليس الحصر- التي كانت مستخدمة في الجاهلية، ومن ثم انتقلت في الإسلام بدلالات جديدة، أي أن هناك توسع حدث في معانيها، أي أنها كانت تستخدم في الجاهلية بمعانٍ محددة ثم أصبحت تدل على معاني جديدة بجانب المعاني القديمة، بفعل عوامل (دينية، أو سياسية، أو إدارية، أو علمية).

ما توسعت دلالالته بعامل الدين: ألفاظ دينية

(المؤمن): في الأصل من الإيمان أي التصديق، وأصبحت تدل على الإيمان المطلق بالله وكتبه وملائكته ورسله، والقضاء والقدر. ومنها أيضاً (الإسلام، التوحيد، المُلْحِد، الفاسق، المصدق). (الكافر): من (كفر) أي غطي وستر الشيء، والكافر هو المزارع لأنه يغطي الحب أي يكفره. ومنها الكلمة الإنجليزية cover ثم أصبحت تدل على معنى ضد المؤمن.

(الفسق): فسقت الرطبة أي أخرجت ما فيها من نوى، توسع معناها، وأصبحت تدل على معنى الخروج عن الشرع بالفعل أو القول..

(الصلاة): تعني الدعاء مطلقاً، وأصبحت تعني عبادة مخصوصة بشروط محددة، وبطريقة محددة من أفعال وحركات وأقوال مصاحبة.

(السجود): أسجد الرجل تطأطأ وانحنى وأنشد قيس ليلى:

فقلن له: أسجَدَ لليلى لا اسجَدَا. أي طأطأ رأسه وانحنى. وأصبحت اليوم تدل على السجود المعروف تقرباً إلى الله تعالى.(1)

---

١ / أحمد بن فارس / معجم مقاييس اللغة /ج١/ص٥٨٧

(الصوم): وكان يعني الإمساك مطلقاً أي الامتناع عن الشيء، والصوم عن الكلام معروف كما ورد في سورة مريم (هزي إليك بجزع النخلة تُساقِط عليك رطباً جنيا، فكلي وأشربي وقري عيناً فإما ترين أحدا من البشر قولي إني نذرت للرحمن صوماً ولن أكلم اليوم إنسيا)، وكما ورد عن زكريا. وأصبحت تعني عبادة مخصوصة بشروط محددة.

(الحج): ويعنى القصد والسفر مطلقاً، وأصبحت الكلمة تعني السفر إلى مكة وأداء شعائر محددة وفق ميقات زماني ومكاني.

(الزكاة): وتعنى النماء والزيادة، وأصبحت تعني مال معين يدفع للمستحقين بشروط محددة إذا بلغ النِصاب ومر عليه الحول في ملك صاحبه.

معظم أسماء الله الحُسنى كانت في الجاهلية تدل على معانٍ حسية وأصبحت بعامل الدين تدل على معانٍ روحانية تجريدية.

(الإيمان): مادتها (أ، م، ن) وهي مادة سامية قديمة نجدها في العربية، والعبرية، الآرامية والسريانية والحبشية. والأصل الحسي لها هو القوة، ومنه جاء في العربية الأمين هو القوي لأنه يوثق بقوته ويؤمن ضعفه ([1]). وقال ابن الأثير (ناقة أمون أي وثيقة الخلق يؤمن فتورها وعِثارها ([2]).

ثم حدث تطور في دلالة الكلمة وأصبحت تدل على معنى تجريدي وهو الطمأنينة (أنت في آمن) أي في طمأنينة ضد الخوف، ثم بمعنى الاستجارة. ومن معنى الأمان جاء لفظ المؤمن كاسم من أسماء الله الحسنى، قال أبو حاتم المؤمن

١ / تاج العروس / مادة (أ م ن)
٢ / النهاية / مادة (أ م ن)

أصله من الأمان كأنه آمن عباده من أن يظلمهم أي أعطاهم الأمان على ذلك،لأنه العادل في حكمه لا يظلم خلقه ولا يجور عليهم (١).

ثم انتقلت دلالة الكلمة لتدل على التصديق، ما أنت بمؤمن لنا أي مصدِّق، أي من اعتقد التصديق في قلبه فقد أدي الأمانة وهو مؤمن. ويقول الراغب أن كلمة الإيمان تستخدم أحياناً لتدل على الشريعة وعلى ذلك قوله تعالى (الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين...)(٢)، ولذا سمى كل من يدخل شريعة الإسلام مؤمن بتحقيق القلب وإقرار اللسان، والعمل.

وقد استخدمت المادة لتدل على الصلاة في قوله تعالى (وما كان الله ليضيع أيمانكم). ثم استقر اللفظ (إيمان) لدى الفقهاء كمصطلح يعني (الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان (٣).

(الكُفْر): مادتها من (ك ف ر) وهي مادة سامية قديمة مشتركة في العربية والآرامية، والسريانية، والعبرية. وتدل على الستر والتغطية،وقال الأصمعي أصل الكفر تغطية الشيء تغطيه وتستهلكه سمي الليل كافراً(٤)

ثم تطور معنى الكلمة من المعنى الحسي إلى المعنى المجرد وأصبحت تدل على الجحود والإنكار، قال الراغب وكفر النعمة وكفرانها سترها ليترك آداء شكرها، ولمّا كان الكفر يقتضي جحود النعمة صار يستخدم بمعنى الجحود، ومنه قوله تعالى (ولا تكونوا أولَ كافر به) أي جاحد له وساتر. وفي العبرية تعني محا وغسل وطهر، وصدق في قوله تعالى (كفر عنهم سيئاتهم) مما يشير إلى أن

١ / تاج العروس / المادة السابقة
٢ / سورة البقرة / آية
٣ / انظر: حلمي خليل / المولد في العربية
٤ / تاج العروس / مادة ٠(ك ف ر)

القرآن استخدم الكلمة بالدلالتين. فالكفر في الإسلام بمعنى ضد الإيمان مطلقاً. ثم بمعنى مخالفة دين الإسلام خاصة وقال أبو حاتم الرازي وإنما سمى من خالف دين الإسلام كافراً لأن الله قد بعث محمداً (ص) وكان الأنبياء من قبله قد بَشَّروا به وذكروه في كتبهم ودلوا عليه حتى عرفه أهل الكتاب. ولما جاء كتموا ما عرفوا وستروه وهم أول من لزمهم لفظ الكفر. ومن المعنى الجديد للكفر اشتقت الكفارة من صدقة أو صوم إذ هي تمحو الذنوب وتزيلها كما في السريانية والعبرية.

(الجوالي): مشتق من مادة (ج و ل) ففي اللغات السامية (العربية والعبرية، الحبشية، الآرامية) ترجع دلالاتها الحسية إلى معني الكشف والظهور ([1])، ومنها تطورت لتدل على الخروج لأن من يخرج من مكان كأنما كشفه وأظهره، لذلك قالوا جلا القوم من المكان أي خرجوا منه، ومنها أجلوا بمعنى طردوا وتفرقوا وقديما قال العرب في ذاك المعنى (حربٌ مُجلية أو سِلم مخذية) ([2]). وقد وردت المادة في القرآن بنفس هذا المعنى (لولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذَّبهم في الدنيا). ثم تطور مدلول الكلمة وصارت تدل على الأمر الواضح البيِّن ومنه قول زهير:

فإنَّ الحقَّ مقطعه ثلاث يمين ونفارٌ أو جلاء

والجالية هم اللذين خرجوا من ديارهم وطردوا. ثم تطورت دلالة الكلمة وصارت تعنى كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد وإن لم يجلوا من

١ / حلمي خليل / المرجع السابق /ص٢٤٥
٢ /تاج العروس / مادة (ج و ل)

أوطانهم ([1]). وانفرد الشرع باستخدام الجلاء بمعنى الجزية. وعند الصوفية بمعنى الظهور (التجلي).

(الفريضة): مشتق من مادة (ف ر ض) التي يعود الأصل الحسي فيها إلى الشق والغسل والقطع، يقول الزبيدي أصل الفرض قطع الشيء الصلب ([2]). وكذلك في العبرية مع تغير الضاد إلى صاد، وفي الارامية كذلك تدل على نفس المعنى. ونجدها بنفس المعنى في العربية فرض الباب وسعه، والفراض فوهة النهر، الفراض من البحر محط السفن ([3]). ومن هذا الأصل الحسي أُشتق المعنى التجريدي وأصبحت تدل على التوقيت، والعطية المحددة. ثم دلت على ما فرضه الله تعالى وذلك لأن له معالم وحدود واضحة كما قال الجوهري لقطع الحكم فيه. وقد جاء الفرض بمعنى الوجوب، كما جاء عند أبي حاتم في تفسير قوله تعالى (سورة أنزلناها وفرضناها) أي أوجبنا العمل بما فيها، فالفرض عنده الواجب اللازم. ويسوي الشافعي بين الدلالتين لعدم التعارض بينهما أي وجوب الحكم والفصل فيه.

أما عند الفقهاء فنجد كلمة الفرض وهي أسم من فرض الشيء يفرضه فرضاً أي أوجبه نجدها تدل على ما يثبت بدليل مقطوع في الكتاب والسنة والإجماع. وهو نوعان فرض عين وهو ما يلزم أي واحد القيام به كالإيمان ونحوه، وفرض كفاية وهو ما يلزم جميع المسلمين إقامته ويسقط بإقامة البعض له كالجهاد وصلاة الجنازة. ويقال رجل فارض وفريض، أي عالم بالفرائض.

(الخليفة): من مادة (خ ل ف) مادة سامية قديمة نجدها في العبرية والآرامية والسريانية والحبشية، وتدل في الأصل على الابتعاد والتغير، ففي العبرية بمعنى (مرَّ

---

١ / حلمي خليل/ السابق /ص٢٤٦
٢ / تاج العروس / مادة (ف ر ض)
٣ / المرجع السابق نفس المادة

على، وابتعد، ومرَّ خلال، وحل محل، واستبدل) ([1])، أما في العربية خلف بمعنى ضد الأمام أي التأخر ([2])، ثم تطورت لتدل على معنى الفساد والقبح، مثل قولهم خلف فلان أي فسد، وخلف الفم أي تغيرت رائحته، والخلف القول الرديء. ومنه جاء الاختلاف بمعنى التنازع أي ضد الاتفاق، ومنه قيل رجل مخلف أي كثير الاخلاف لوعده. واستخدمت صفة رجل أخلف إي قليل العقل. ومنها الكلمة المعاصرة (مُتخلّف)، ثم تطورت دلالة الكلمة فأصبحت تدل على الباطل مطلقاً ([3]). وتخلّف أي تأخر ضد تقدم واشتقت كلمة (خلافة) أي تغير بمعنى النيابة عن الغير أو لغيبة المنوب عنه إما لموته أو لعجزه أو لتشريف المستخلف.

وما يؤكّد الدلالة الأخيرة قول بن خلدون " والخلافة هي حمل الكافة على مقتضي النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية، والدنيوية الراجعة إليها أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)([4]). ثم تطورت دلالة الكلمة الآن (الخليفة) وشملت عدم معان، ففي الطرق الصوفية أُستخدمتْ بمعنى نائب شيخ الطريقة وفي الحركة المهدية (الخليفة) هو خليفة المهدي، واستخدمت الكلمة نفسها للدلالة على المرأة التي تشرف على الجواري في البلاط، ولتدل على كاتب صغير في مكتب عام في تركيا، ونائب والى المدينة في المغرب، والحائك، والحلاّق، ورب السيف، والطاهي في الهند ([5]).

ومن المشتقات المولّدة (التخلف) بمعنى الاستهتار والمجون، والمخلفات بمعنى الأشياء الموروثة ([6]).وتطورت اليوم وأصبحت تعني النفايات الصناعية ومنها المخالفة بمعنى الغرامة لمخالفة القانون.

١ / حلمي خليل / السابق /ص٣٥٤
٢ / تاج العروس / مادة (خ ل ف)
٣ / السابق / نفس المادة
٤ / مقدمة ابن خلدون / ص١٥٩
٥ / حلمي خليل / السابق /ص٣٥٤
٦ / أنظر معجم دوزي مادة (خلف)

(الدولة): من (د و ل) التي تدل أصلاً على التغير والتحول، أي انقلاب الزمان والحال من البؤس، والضر إلى الغبطة والسرور. قال أبو العلاء الدولة في الحرب أن تدال أحدى الفئتين على الأخرى، ويقال كانت لنا عليهم دولة، والدولة في الملك السنين التي تتغير وتتبدل أي انقلاب الدهر من حال إلى حال. وتحولت لمعنى السعة مثل قولهم اندال البطن أي استرخى وخرج، ومنها دوالي الساق. ثم دلت على معنى تدوير في قوله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس). وقد استخدمت بمعنى الحكم والنظام السياسي،واعتبرها الجاحظ مولّدة. واستخدمت بمعنى الجزء من الكتاب، وبمعنى مؤتمر. ومما سبق يتضح لنا بجلاء مدى التغيرات التي طرأت على اللغة العربية، بسبب التغيرات الكبيرة التي حدثت لحياة العرب في تلك الفترة من سني الإسلام الأولى.

٢/ الطور الأموي:

عُرف أمراءُ بني أمية عبر التاريخ اللغوي للعربية بأنهم حماة العربية [١]، وكانوا يحذِّرون من اللحن [٢]. كما ساهموا إلى حد كبير في أكبر حركة تصحيحية حدثت للغة العربية وهي حركة تنقية اللغة العربية [٣]. والعامل الرئيس الذي قاد إلى بروز هذه الحركة، هو ظهور اللحن بمفهومه الواسع في ألسنة غير العرب من المسلمين من بين العامة، الذين كانوا يعيشون في مختلف المدن الإسلامية. إذن اللحن الذي ظهر إبان توسع الدولة الإسلامية بعد الفتوحات

١ / لم تكن الفصحى تسمى بهذا الاسم (الفصحى) حتى ذلك الوقت، وهذا لا يعنى عدم وجودها، بل كانت موجودة متمثلة في اللغة التي يستخدمها البدو والتي انتقلت إلى بلاط الأمراء الأمويين وسائر المدن الإسلامية في الجزيرة وخارجها.

٢ / (اللحن) مصطلح ظهر أولاً في عهد على بن أبي طالب ويعنى الخطأ في نطق الحركات الإعرابية، ولم يلبث أن تطور المصطلح وأصبح يطلق على الخطأ في اللغة العربية مطلقاً أنظر تطور ونشأة الكتابة في هذا الكتاب

٣/ يوهان فك /العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب / ص٥٠

الإسلامية، كان دافعاً لظهور الحركة التصحيحية (تنقية اللغة)، فحركة تنقية اللغة أسفرت في محصلتها علوم العربية المعروفة، بجانب حفظها لكثير من الأدب الذي كان يمكن أن يضيع قبل التدوين، وذلك لأن واضعي علوم العربية كانوا يستشهدون كثيراً بالشعر، للتأكيد على صحة ما يضعونه من قواعد استخدام اللغة خاصة الظواهر المورفولوجية (الاشتقاقية)، والنحوية. فحركة التصحيح وإصرار رجال البلاط الأموي والعرب البدو الذين انتشروا في أصقاع الدولة الإسلامية كلها كانت إجراءات ساهمت إلى حدٍ كبير في الحفاظ على سلامة اللسان العربي، واللغة العربية الفصحى.

إذن فتمسُّك الطبقةُ العليا من العرب – بني أمية – بالمحافظة على اللغة العربية التي كانت – هي لغة البدو- أدي إلى ظهور حركة تنقية اللغة، التي كانت تهدف إلى تطهير اللغة وتخليصها من الشوائب التي علقت بها، إذ يرون أنها كانت معرَّضة دائماً لخطر الفساد والانحلال في المدن بما تحتوي عليه هذه المدن من سكان خليط من غير العرب ([1]). هذا النشاط أدي إلى وجود الدافع لدراسة قواعد اللغة في نهاية القرن الأول، والتي تمثلت في تحديد الاستعمال اللغوي الصحيح بصورة أساسية. وعليه بناءً على ما سبق نستطيع أن نقول أنَّ العامل الرئيس الذي أدي للحفاظ على لغة البدو المعجمة هو موقف بني أمية في الحفاظ عليها وتكلُّمها في بلاطهم باعتبارها لغة اتصال، في مواقف الكلام العادية اليومية، بجانب انتقاداتهم لمن يلحُن أمامهم، الأمر الذي جعل غير العرب يلتزمون في كلامهم أمام أمراء بني أمية، يلتزمون لسان البدو العربي الفصيح، الأمر الذي قاد إلى تطوير تلك اللهجة البدوية التي نزل بها القرآن وتأطرت، وصارت اللغة العربية الفصحى.

١ / يو هان فك / العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب /ص٥٥

الطور العباسي:

المعروف عبر التاريخ أن الحركة العباسية كحركة سياسية إنما قامت باعتبارها،مناوئةً لبني أمية، وعليه كان من المحتمل أن يكون العصر العباسي ضد بني أمية في كل المناحي بما في ذلك اللغة، إلا أن الذي حدث في جانب اللغة عكس ذلك. إذ أن اللغة العربية - التي كانت تميِّز بني أمية –وجدت اهتماماً كبيراً في عصر بني العباس، مما دفعها في طريق التطور والنمو الرأسي والأفقي، وذلك - كما يبرره يوهان فك- أن لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم، أي كانت لغته الأصلية جزءً لا ينفصل من حقيقة الإسلام،حتى أن الفرس الذي باشروا الحكم إذ ذاك،ولم يكونوا يستطيعون التفكير في رفع أحدى اللهجات الإيرانية لتكون لغة الدولة، بل حتى في فارس حيث كانت الأسرة الجديدة (١) التي أخذت تبرز الطابع الديني لسلطانها بوجه خاص، وصارت تعلن أنها وريثة السلطان الإلهي الذي أسسه محمد (صلى الله عليه وسلّم) (٢). هذا وكانت الأسرة العباسية تفتخر بنسبها العربي الأصيل (٣) الأمر الذي نتج عنه مزيداً من الاهتمام باللغة العربية، ومزيداً من تطورها، مما أدي إلى تطور الأدب العربي، والشعر خاصة حيث بلغ ذروته في العصر العباسي (٤).

هذا ولم يقف تطور اللغة العربية في نهاية القرن الأول،والثاني كله في مجال الأدب بفرعيه فحسب، بل شمل تطورها المجالات الاجتماعية كلها السياسية والاقتصادية والإدارية. إذ دخلت في تلك الفترة مفاهيم سياسية وإدارية واقتصادية جديدة على المجتمع العربي لم يكن لها وجود من قبل،واستطاعت العربية

---

١ / يقصد بالجديدة الأسرة التي حكمت بلاد فارس من المسلمين بعد الحكم المجوسي لكسرى
٢ / يوهان فك / المرجع السابق / ص٥٩
٣ / يفخر الأمراء العباسيون بنسبهم العربي الذي يقولون أنه ينتهي عند العباس عم النبي (ص)
٤ / أنظر ما كُتِب عن الشعر العباسي عند كارك بروكلمان، وشوقي ضيف وغيره.

لطواعيتها وقدراتها أن تعبِّر عن تلك المفاهيم الجديدة بألفاظ عربية أصيلة دون الحاجة إلى استعارة ألفاظ من لغات الحضارة غيرها في ذاك الزمان. ومن هذه الألفاظ – نذكر بعضها أمثلةً وليس حصراً -

(الثغور، العواصم، الولاية، الحكومة، العامل، السكة، التوقيع، الوظيفة، الكاتب، الحاجب، الوزير، الأمير، البريد، الديوان، أرض الصلح)

بجانب ألفاظ تتعلق بالنواحي المالية مثل: (الخراج، الجزية، العشور، الرجعة، الجوالي، الجباية، الوقف، المصادرة، المراصد، دار الضرب، بيت المال، أهل الزمة، الراتب، الختم)

ألفاظ علمية وفنية

(التقليم، التسفرة، الإيقاع، التقطير، السحارة، المسجد، الجامع، المأذنة، المحراب، المنبر، القُبة. وألفاظ أدبية، أدب، سياق، متن، مقامة). وغيرها

وألفاظ عسكرية

(الدبابة، التعبئة، الميمنة، السرايا، الطلائع، الارصاف، المسالح، الدراجات، العساس، الجواسيس، المصاف، الساقة، المقدمة، الردء، المرتبة، الكمين. الخيل المدد المرتفعة، الممدة، المانعة، المنتبذة، المقوية، المترخية، المحتسبة، الرابطة، الشاكرية[١]) فنأخذ بعض من الألفاظ المذكورة ونتتبع دلالاتها عبر التاريخ لنقف على المراحل التي مرت بها عبر تغيرها الدلالي:

(الحاجب): من (ح ج ب) ترجع دلالتها الأصلية إلى معنى الستر والمنع [٢]، واستخدمت في العبرية بمعنى الجراد ويبدو لأنه يحجب الشمس لكثرته، والحجاب

١ / حلمي خليل / المولد في العربية / الصفحات ٣٣٧-٣٥٢

٢ / تاج العروس / مادة (ح ج ب)

أن تموت النفس وهي مشركة أي كأنها حجبت بالموت عن الإيمان. ثم تطورت دلالتها إلى معنى الحفظ والحماية (الحاجب) يحمي العين، وحجابة الكعبة أي حمايتها وسدنتها قديماً. ثم تطورت لتدل على المنع من الدخول (الحاجب) من يمنع دخول الناس إلى الأمير في عهد بني أمية خوفاً عليه، وتطور منصب الحاجب مع رقي الحياة السياسية في الإسلام حتى صار من أهم المناصب. ثم انحطت الكلمة وأصبحت تدل على البوّاب أي رجعت إلى معناها الأول.

أما الألفاظ الجديدة التي أدخلت على الذخيرة اللفظية العربية عبر التاريخ فكانت أيضاً بسبب نفس العوامل السابقة (السياسة، الإدارية، العلوم، الفنون، الصناعات، الأدوات) وكما ذكرنا من قبل.أن ما يعطي الكلمة كينونتها ووجودها هو استخدامها وانتشارها بين أفراد مجتمع متكلميها. ولا تنتشر الكلمة في مجتمع متحدثي اللغة، إلا إذا لاقت استحساناً لدي العامة بدقة قدرتها التعبيرية على مدلولها، وعليه فلا وجود لكلمات دون دلالات، وبالمقابل هناك كثير من الأشياء والمفاهيم التي ما نزال نبحث ونخترع ونشتق لها الكلمات. وعملية اختراع المفردات عملية مستمرة ودائمة لا يوقفها شيء إلا بتوقف الحياة الاجتماعية. فالمجتمع حينما يظهر عنده شيء أو مفهوم جديد لم يكن به عهد من قبل يحتاج أفراده لكلمة يُشار بها إليه مما ،يستدعي ضرورة إيجاد الكلمة المناسبة. فيلجأ الأفراد إلى اشتقاقها من أصل قديم، واستعارة لفظ من مدلوله ليدلوا به على المعنى الجديد مما أوجد ما عُرِف بالمجاز.

ولعل العامل الرئيس الذي يقود إلى الاستعارة هو أن الألفاظ مهما بلغت كثرتها فإنها لن تفي بالمعاني الجديدة مما يضطر الأدباء والعلماء التعبير عن تلك المعاني المتجددة باستعارة ألفاظ لها من دلالاتها الأصلية ليشيروا بها إلى تلك المعاني الجديدة. وبمرور الزمن تستمر الكلمة بالدلالة الجديدة، ويقل استخدام الناس لها في معناها الأصلي حتى تنفصل الكلمة عن دلالتها الأصلية، وتصبح الدلالة المجازية هي الوحيدة وعندها تصبح دلالة أصليةً. ولعل الأمثلة السابقة تبيِّن لنا الأمر عندما نرى كيف تحولت المفردة من دلالتها

الأصلية المباشرة الحسية إلى الدلالة الجديدة التجريدية. فإن المعنى التجريدي يمثل المرحلة الأولى من الاستعارة. مثل أن نسأل لم سُمي جاحد النعمة كافر مع أن المعنى الأصلي لكافر هو مغطى، فانتقال دلالة كافر من مغطي الشيء (حساً) إلى جحود النعمة تمت هذه النقلة عن طريق المشابهة بين الحالتين. واستعير لمعنى إخفاء الكفر وإظهار الإيمان لفظ (منافق) من نافاقا اليربوع وذلك لوجود التشابه بين المعنيين. وهكذا كل التحوُّل الذي تم للمفردات العربية الجاهلية من دلالتها الحسية إلى دلالتها التجريدية كان عن طريق المجاز بعامل من عوامله المختلفة المتمثلة في ما عرف بالعلاقات المجازية.

عصر هارون الرشيد:

طبعاً هذا العصر هو امتداد طبيعي للعصر العباسي، إلا أنه يأتي في نهاية القرن الثاني (١٧٠إلى ١٩٣). ورأينا أن نفرد صفحات خاصة لهذا العصر لنبيِّن من خلاله شكل اللغة العربية بمستواها العامي، التي يستخدمها السكان في المدن بمختلف أعراقهم العربية أو غير العربية التي تحدَّروا منها. وبالنظر إلى الفصحى نجدها آخذة في التطور فتيةً قويةً معبِّرة عن زمانها وعصرها، لما كُتب بها من إنتاج أدبي، وبحوث لغوية، صبت كل اهتمامها بالقرآن الكريم تفسيراً وفقهً وغيره من دراسات لغوية تناولت حصر الألفاظ العربية المستخدمة من أفواه المتكلمين، وتبيين أصالتها العربية البدوية، مثل مؤلفات الأصمعي (١) التي كانت مادةً خصبةً استخدمها المعجميون بعده لبناء معاجمهم اللغوية، وألفوا المعاجم اللغوية العربية فيما بعد. والجاحظ (٢) وابن قتيبة، وابن طيفور، والإمام الصولي، والمرزباني وغيرهم (٣). هذا من ناحية الفصحى. أمَّا العامية فكان ظهورها في ألسنة العامة ممن يتحدرون من مختلف الأعراق غير العربية. وكان أول ظهورها في المدن الإسلامية الكبرى، التي يقل ويندر فيها لسان البادية الذي يمثل الفصحى. فزاد

---

١ / الأصمعي ولد ١١٢ توفي ٢١٦ من أبرز مؤلفاته الفرق والأجناس،خلق الإنسان، وخلق الفرس والإبل، والشجر والنخيل والحياة العامة الفرس،

٢/ توفي ٢٢٥ كتب عن الخطابة،والبلاغة والرسائل، والشعر، والحيوان، وغيرها من رسائل مثلت الخطوة الأولى في التأليف.

٣ / أنظر مصطفي الشكعة / مناهج التأليف عند العلماء العرب

مستخدموها ولم يستطع الحادبون على الفصحى الوقوف في وجه استشراء اللسان العامي في المدن بين العامة. فأصبح موضوع مواجهتها همّاً علمياً شغل كثير من اللغويين، فأصبحت المسألة حركةً هدفها مكافحة استشراء اللسان العامي، فنتج عن هذا الهمّ تأليف كثير من الكتب التي تتخذ من كلمة (لحن العامة) عنواناً لها، ولعل أبرزها كتاب الكسائي (لحن العامة)، الذي ألفه لهارون الرشيد كما جاء في مقدمة الكتاب. إذ يحتوي الكتاب على مائة واثنين فقرة، كلها تدور حول الاستخدام الصحيح للغة. وتبدأ بـ(تقول " والصواب كذا وكذا)، وبعضها يبدأ لا تقول (كذا – ومن ثم يذكر الصيغة الخطأ-) بل قل كذا، ومن ثم يورد نصاً من القرآن الكريم أو الشعر يؤيِّد به النموذج اللغوي للظاهرة الذي ينبغي إتباعه.

حتى ذلك الوقت كانوا يطلقون على ظاهرة اللسان العامي (اللحن). وعندما زاد ابتعاد العامية عن الفصحى في مواقف الخطاب العام (١)، وأصبحت ظاهرة سريعة الانتشار عندها صارت كأنها لسان قائم بذاته حتى سماها اللغويون (العربية المولَّدة). وكانت أول شكل من أشكال العامية في اللغة العربية، وكان ذلك في نهاية القرن الثاني، وقد أُستخدمت تلك اللهجة العامية المولَّدة المتحررة من الإعراب المحتشدة بالمفردات السريانية والرومية والفارسية، أول مرة في نصوص مكتوبة، على يد طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية (٢)، ويبرر يوهان فك استخدام هذه الفئة للعامية بدلاً من الفصحى – لسان البدو- بأنهم لم تُتح لهم الفرصة في معاشرة ومعايشة العرب في بوادي الجزيرة العربية(٣)، إلا أننا نجد أن تبريره هذا غير صحيح، بل فعل اليهود والنصارى ذلك استخفافاً بالعربية البدوية – الفصحى- لأنها لغة القرآن، ولغة

١ / نعني مواقف الكلام غير الرسمي، غير المكتوب، وعند اتصال العامة بعضهم البعض في البيوت والأسواق والأماكن العامة، واللقاءات الشخصية بين بعضهم البعض. أما في البلاط العباسي، والأموي من قبله فكانت تستخدم اللغة البدوية التي هي نواة الفصحى التي بها القرآن الكريم، ولسان الحديث الشريف، ولغة التأليف.

٢ / أي في الأمصار العربية في العراق، والشام، وشمال أفريقيا، إذ كانوا ضمن النسيج الاجتماعي للمجتمع العربي المسلم منذ القرن الأول إلى اليوم.

٣ / يوهان فك / المرجع السابق/ ص١١٠

الإسلام، ولسان النبي (ص) الذي يجدونه مكتوبٌ في كتبهم. على كُلٍّ ما يميُّز تلك العامية هو خلوها من الإعراب، واعتمادها تسكين أواخر الكلمات، مما قاد إلى إتباعها ترتيب واحد لمفردات الجملة دون تقديم أو تأخير، بجاب احتشادها بألفاظ موَّلدة أي ليست من العربية، وتغييرها لبعض صوامت العربية، وهذا ما نجده في كثير من العاميات (اللهجات) العربية المعاصرة.

وفي القرن الثالث بدأت الفصحى تتأثر بعض الشيء بالعاميات المنتشرة في المدن الكبرى، بالدرجة التي أحس فيها كثير من العلماء مثل ابن قتيبة الذي شكا كثيراً في كتبه من هذه الظاهرة، وألف كتاب تعليمي سماه " أدب الكاتب "، خصصه لتنوير الكتَّاب بفن الكتابة، كما ذكر في أحد فصوله (١).

واستمر حال العربية بمستويين الفصيح الرسمي المستخدم في مواقف الخطاب الرسمي(الأدب) الملتزم بسائر القواعد اللغوية. والأخر العامي الذي تستخدمه العامة في شؤونها الحياتية العامة. ومع انتشار المستوى الثاني في الأمصار العربية، أصبح في القرن الرابع لكل إقليم لهجته العامية التي تميِّزه عن غيره، إذ صوَّر لنا ذلك المقدسي في كتابه (٢). إذ يقول:

" أصبحت العربية في جزيرة العرب عند هذيل، ثم في قسمي نجد، ثم آخيراً بقية الحجاز " ثم يصف لغة السواحل الأحقاف بأن لسانهم وحش....وفي مدينة الثغر (صحار) تسود اللغة الفارسية في التجارة والمعاملة، وكذلك الثغران جُدة، وعدن، أكثر أهلها فرس، بيد أن العربية هي لغة التفاهم والكتابة" (٣).

---

١ / أنظر أدب الكاتب ابن قتيبة

٢ / سمى المقدس أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، إذ وصف فيه العالم الإسلامي محاولا تمييز كل إقليم من الوجه اللغوية بذكر التعبيرات اللغوية الخاصة بكل إقليم. يوهان فك المرجع السابق / ص١٧٤

٣ / يوهان فك/المرجع السابق/ ص١٩٩

فهذا التصوير للوضع اللغوي في الأقاليم ليس دقيقاً، إذ لا يُعقلُ أن تكون الفارسية هي لغة الاتصال في ثغور (جدة) و(عدن) بأي حال من الأحوال، وعليه قد تكون زيارة المقدسي لهذين الثغرين اقتصرت على الميناء، وتصادف وجود تجمع من العمال من الأصول الفارسية. فاليوم عند دخولك سوق من أسواق المملكة السعودية، تجد الأردية منتشرة بشكل واسع جداً، وهذا لا يعني بأي حال أن الأردية هي لغة أسواق المملكة.

على أي حال استمرت العربية بالمستويين العامي عند عامة الناس في مختلف الطبقات، والفصيح عند الطبقة الراقية، والبدو والأدباء والفقهاء والعلماء وغيرهم. ولكن في نهاية القرن الرابع ظهر واحد من الشعراء الماجنين، اختار العامية وسيلة للتعبير بشعر ركيك، مستخفاً بمسألة تنقية اللغة. ولكن لم يُكتب لشعره الذيوع لما فيه من ضِعةٍ، وبذاءة، وقذر وضر (1). وكانت محاولته مقدَّمة قادت إلى ظهور نوع من الشعر تحرَّر من القافية، واتجه أغلبه للإقلال والتحرر نوعاً ما من قيود الفصحى. وكان رائد هذا التحرر اللغوي ابن سناء الملك.

---

1 / الشاعر هو ابن الحجاج، انحدر من أسرة رفيعة من ذوي الجاه، وسبق أن شغل منصب المحتسب في بغداد في ظل حكم بختيار البويهي / يوهان فك / المرجع السبق / ص١٨٩-١٩٣

الباب الرابع

التطور اللغوي

التطور اللغوي العام

اللغة مثلها مثل سائر الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور، بل والتغير. ولا يستطيع أي فرد مهما كان أن يقفَ أمامَ تطور اللغة وتغيرها. مهما حاول بوضع القوانين والقواعد التي ينبغي أن يتَّبعها مستخدمو اللغة، فلا القواعد والقوانين اللغوية (الصوتية، والنوحية، والصرفية، الدلالية)، ولا وضع المعاجم بأنواعها المختلفة وميادينها المتعددة تستطيع أن تقفَ في وجه تطور لغة ما. لأنه ببساطة ليس في مقدور أحدٍ ما أن يُحدِّد للناس كيفية التعبير عما في أنفسهم [1]. وتطور لغة ما لا يكون وفقاً لأهواء مستخدميها، وليس وفقاً أيضاً للصدف والملابسات العابرة، بل يكون وفق عوامل متعددة، منها ما هو متعلِّق باللغة نفسها، ومنها ما هو خارج إطار اللغة، يتمثل في العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والعرفية، وغيرها من عوامل تحدثنا عنها في علاقة اللغة بالمجتمع [2]. وأظن أن عدم قدرة الأفراد على الوقوف في وجه التطور اللغوي، هو أن القواعد اللغوية - صوتية، صرفية، نحوية، أسلوبية، دلالية - التي يضعها العلماء، ما هي في الأصل إلا ما تمثله اللغة من أشكال وطرق وظواهر مستخدمة فعلاً. إذ أن العَالِمَ الذي يهتدي إلى قاعدة لغوية، إنما يصل إليها عن طريق جمع مادة لغوية – للغة المعنية- ومن ثم يتتبع تلك الظواهر اللغوية في تلك اللغة ويخضعها للمنهج العلمي، ويستنتج تتابعها وترددها، ومن ذاك التردد المتكرر للظاهرة اللغوية المحددة يستخلص القاعدة العامة التي تحكم استخدام المادة أو الظاهرة اللغوية كما وردت عند متكلميها. إذن القواعد اللغوية جاءت بعد ظهور

---

١ / الشواهد كثيرة على ذلك مثل محاولة بعض اللغويين والسياسيين والاقتصاديين لوضع لغة أو اختراع لغة عالمية سموها سبرانتو Saprano، فهي في الأصل مزيج من اللغات الأوروبية. ولكن لم يكتب لها النجاح، لأن ظهورها للوجود ليس بسبب حاجة الناس لها بقدر ما هي اختراع بشري خاص.

٢ / أنظر باب علم اللغة الاجتماعي من هذا الكتاب.

اللغة وكمالها، وليست سابقة للغة ليهتدي بها الناس في استخدامهم للغة. بمعنى آخر أن الأفراد يستخلصون قواعدهم اللغوية من الطرائق التي يستخدمون بها اللغة. والتطور اللغوي في حد ذاته يدخل ضمن الطرائق التي تُستخلص منها القواعد، لأنه في نهاية الأمر ما هو إلا تغير في طريقة من طرق الاستخدام اللغوي سواء كان صوتي أو صرفي أو دلالي أو غيره.

إن كان الأمر كذلك لما نجهد في وضع أو بالأحرى استخلاص القواعد اللغوية ؟، بمعنى ما هو هدف استخلاص القواعد اللغوية؟ ونجيب على هذه التساؤلات بأنا نستخلص القواعد اللغوية لمساعدة متعلمي اللغة بهدف تمكّينهم من الاستخدام اللغوي الصحيح، وذلك بهدف استعمال اللغة وسيلة لتوصيل الأفكار والتعبير عما في النفس والعقل، إذ تأتي معرفة القواعد لضمان سلامة قناة الاتصال التي هي اللغة، ولضمان توصيل الرسالة سليمة دون أي لبس. وذلك لأن اللغة أهم وسائل الاتصال. إذن نستطيع تقنين الاستخدام اللغوي في المستوى الرسمي (الفصيح) (standard) لأنه هو الذي يُستخدم كأهم وسيلة للتعليم النظامي. ولكن على المستوى العامي – استخدام العامة للغة – فهو في حلٍّ من هذه القواعد والقوانين، ولذا فالتغير اللغوي قلما يطرأ على الفصحى إلا بعد فترات زمنية طويلة جداً. بينما المستوى العامي هو الأكثر عُرضةً للتغير بأي من العوامل المذكورة سابقاً، وفي فترات زمنية متقاربة، إذ يمكن أن يحدث تغير دلالي لمفردة ما في لغة ما عدة مرات في جيل واحد من الأجيال اللغوية. وذلك لأن الذخيرة اللغوية لدي الأفراد تتزايد بتزايد خبراتهم وتطور حياتهم، الأمر الذي يُحتِّم التطور اللغوي لهؤلاء الأفراد مستخدمي اللغة. إذ أن تطور الحياة الاجتماعية يتطلب دخول كثير من المفاهيم والأدوات والمعاني التي لم يكن لها وجود عند

الأجيال السابقة، مما يحتّم عليهم إيجاد مفردات لمقابلة تلك المستجدات الحياتية، ويتم ذلك إما عن طريق تحويل دلالات المفردات الموجودة أصلاً في اللغة،أو توسيع أو تضييق دلالاتها، أو حتى اختراع ألفاظ جديدة باستخدام طرق قد تتعارض في كثير في جوانبها مع القواعد اللغوية، مثل التركيب، أو النحت، أو التعريب والاشتقاق وغيرها من طرق النمو اللغوي.

نخلص مما سبق إلى إن مسألة التطور اللغوي مسألة حتمية، واللغة العربية ليست بدعاً بين اللغات، بل مرَّت من قبل العصر الجاهلي إلى الآن بسلسلة من المراحل في تطورها حتى بلغت الذروة في العصر العباسي ([1]). والدليل على ذلك أن الفصحى – التي يدَّعي البعضُ أنها في حلٍّ من التطور والتغير – تشتمل على كثير من المظاهر التي تشير إلى بعض حلقات التطور التي مرَّتْ بها من قبل، مثل أن نجدَ صورتين أو أكثر لظاهرة لغوية واحدة، فبعض هذه الصور يمثِّلُ مرحلةً تاريخيةً ما، مما يشير إلى وجود طريقتين للكلام في فترة ما عبر التاريخ، واحد منها حديث معاصر والآخر قديم تقليدي محافظ عاشا جنباً إلى جنب فترة طويلة من الزمان([2]).

فحتمية التطور لا يعنى بالنسبة للعربية، أنها تنقسم إلى لهجات - طرائق استخدام متباينة حسب المستوى المحدد- ومن ثم تتطور تلك اللهجات، وتبدأ بالابتعاد عن الأصل شيئاً فشيئاً حتى تصل مرحلة الانفصال عن اللغة الأم وتصير لغات قائمةً بذاتها مع موت اللغة الأم. وذلك لأن اللغة العربية في هذا الأمر بالذات تختلف عن غيرها من اللغات، إذ أن الله سبحانه وتعالى اختارها من بين لغات البشر لتكون وعاء القرآن الكريم، وهي محفوظة بتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم. وما يؤكّد ذلك أن اللغات التي عاصرت العربية جميعها ماتت ولم

---

١ / رمضان عبد التوّاب / التطور اللغوي مظاهره وعلله / ص١٢
٢ / ماريوباي / لغات البشر / ص٤٢

يعد لها وجود ،وأنه حتى اللغات التي نشأت وظهرت بعدها لم يُكتب لها حياة تضاهى حياة اللغة العربية عمراً، فأقدم اللغات بعد العربية وأطولها عمراً لا يزيد عمرها عن القرنين. فاليوم لا يستطيع أي متكلم إنجليزية في انجلترا آن يقرأ ويفهم نص كُتبَ باللغة الإنجليزية قبل قرن واحد من الزمان، وذلك لأن الإنجليزية قبل مائة عام ليست هي المستخدمة الآن. بينما يستطيع العربي أن يقوأ ويفهم نصاً كُتِب بالعربية يرجع عمره إلى أكثر من ستة عشر قرناً، مما يشير إلى بقاء ومقاومة اللغة العربية الفصحى للتفتت، الذي لحِقَ بكثير من اللغات التي عاصرتها.

ولكن بالرغم مما ذكرنا إلا أنا نُصِّرُ على أن العربية ليست في حلٍ من التطور، ولكنه تطور لا يقودها إلى التفتت والموت كما حدث مع غيرها بسبب القرآن والكريم والدين الإسلامي.

جوانب التطور اللغوي

يشمل التطور اللغوي كل مستويات اللغة (الصوتي، الصرفي، والنحوي، والدلالي، والأسلوبي). فقلمًا يحدث التطور في المستوى الصوتي لدي الأفراد في جيل واحد، وذلك لأنه بطئ من ناحية، ولأن الأفراد حينما يتعلمون لغة ما منذ صغرهم، تتعود مخارجهم الصوتية على إنتاج أصوات تلك اللغة، وقلما تتغير طرق نطقهم لأصوات تلك اللغة طوال فترة حياتهم ([1]). وهذا لا يعنى أن التطور اللغوي لا يقع في المستوى الصوتي للغة، بل يحدث التغير الصوتي لكن من جيل إلى آخر. أما المستوى المورفولوجي (الصرفي) فهو أكثر المستويات عُرضةً للتغير والتطور بما في ذلك الفصحى، فالمفردات دائمةُ التزايد والتوارد إلى أذهان مستخدمي اللغة، وأن المفردات الجديدة ([2]) لا تطرد المفردات القديمة، بل تبقى معها جنباً إلى جنب، وهنا تكمن

١ / رمضان عبد التواب / المرجع السابق/ ص١٥
٢ / وإن كانت جدتها تتمثل في تغير دلالاتها، بالتوسع أو التغيير أو التضييق

عبقرية الإنسان وتميّزُ قدراته الذهنية. وفي هذه الناحية تختلف وتتعارض التغيرات الصوتية مع التغيرات المورفولوجية، بأن التغيرات الصوتية إن حدثت فلا تبقى الصورتان للنطق – القديمة والجديدة الواقعة بفعل التطور – جنباً إلى جنب كما هو الحال في المستوى المورفولوجي، بل يموت الشكل القديم ويبقى الشكل الجديد حالاً محله. بينما يعيش الشكلان القديم والجديد في التطور المورفولوجي فيعيشان جنباً إلى جنب، فيثبت الجديد ويبقى القديم تحت قائمة الشاذ. ويسميه الدكتور رمضان عبد التواب (الركام اللغوي).

وقد يشمل التطور ظواهر نحوية، أو تركيبية أو حتى أسلوبية. وبالنظر إلى اللغة العربية الآن وما كانت عليه منذ العصر الجاهلي، نستطيع من خلال علم اللغة التاريخي الوقوف على كثير من الظواهر اللغوية التي حدث فيها تطور ما في المستويات المذكورة سابقاً. ولا يسمح المجال هنا في هذا الكتاب لاستيعاب مظاهر التطور اللغوي في المستويات المختلفة. وعليه سنتناول بعض الظواهر اللغوية التي وقع عليها التطور.

عوامل التطور اللغوي

العوامل الموضوعية التي تقود إلى التطور اللغوي هي تلك التي ذكرناها في الباب الأول تحت عنوان الصراع اللغوي (١). بجانب ما ذكرنا نجد أيضاً عوامل اجتماعية ونفسية وجغرافياً ذكرناها في موضعها في علم اللغة الاجتماعي والجغرافي(٢). كما هناك عامل آخر وهو تخلخل السكان وقلة تماسكهم الاجتماعي، إضافة إلى عدم وجود قاسم مشترك قوي محفّز للوحدة اللغوية، مثل

١ / أنظر الصراع اللغوي في الباب الأول من هذا الكتاب
٢ / أنظر باب علم اللغة الاجتماعي، والجغرافي والنفسي

عامل العقيدة أو الدين، كما حدث لكثير من اللغات التي تفتتتْ إلى لهجات، وتطورت لهجاتها وصارت لغات، مما قاد بمرور الزمن إلى موت اللغة الأم.

مظاهر التطور اللغوي

التطور الصوتي

نخصص هذه الصفحات لإيراد بعض الأمثلة للتطور اللغوي. كما يذكر رمضان عبد التواب أن التطور اللغوي لا يحدث على نحو مشتت غير مطرد بل يحدث وفقاً لقواعد ثابتة، يمكن صياغتها في صورة قوانين دقيقة تسمى القوانين الصوتية (قوانين جريم Grimm) التي نشرها جريم حسب دراساته في اللغات الجرمانية عام ١٨٢٢ (١). القوانين الصوتية تعبِّر عن حالتين متتابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي معين (٢)، وهي ليست قوانين عامة مثل قوانين العلوم الطبيعية، ولذا قد نجد تطوراً صوتياً في لهجة ما ولا نجد له أثر في لهجة أخرى.

خصائص التطور الصوتي:

١/ أنه غير شعوري، أي أنه تلقائي غير متعمِّد وغير مقصود، ولا دخل فيه للإرادة الإنسانية. فالطفل حينما يبدأ الكلام يظن أنه يقوم بنفس الحركات الصوتية التي يقوم بها الكبار، مع أنه يخالفها، فهو لا يعي ذلك بدليل استمراره في استخدامها.

٢/أنه غير فردي – كما يظن البعض (٣)- . كثير من الناس يظنون أن التغير الصوتي أول منشأه يحدث من قبل فرد ما، ومن ثم يقلده أقرانه فيه، مما يمهِّد لانتشاره بين الجماعة اللغوية الواحدة. ولكن د. رمضان يرى أن مسألة التقليد

١ / رمضان عبد التواب / المرجع السابق / ص ١٨

٢ / فندريس / اللغة / ص٧١

٣ / بعض العلماء حسب الاعتقاد القديم يقولون أن جميع الظواهر الاجتماعية فردية المنشأة وتصبح اجتماعية بالتقليد.

نفسها إن لم تجد ميلاً طبيعياً من العامة لتحقيق الظاهرة الجديدة فلن يحدث التقليد، إذن يظن أن التغير الصوتي تغير جماعي وليس فردي، فإن لم يجد القبول من الجماعة فلن يُكتب له الانتشار، لأنه ليس في إمكان أحد ما فرضه على الآخرين إن لم يجد قبولاً عندهم. (1)

٣/ أنه يسير ببطء وتدرُّج، فتطور الأصوات لا يتم بين يوم وليلة، إنما يظهر أثره بعد عدة أجيال، (2).

٤/ أنه محدود بمكان معين، بمعنى أن تطور ظاهرة صوتية ما، لا يكون مطرداً وثابتاً في جميع اللغات، بل يحدث في لغة ما في زمن ما ومكان ما، دون غيره من أمكنة وزمان ولغة أخرى.

٥/ أنه محدد بزمان معين، أي أنه قد يظهر في فترة ما وينتهي بعد فترة معينة. ولا يظهر بعدها أصلاً. مثال الشين في الآرامية تقابلها سين في العربية، فالقانون الصوتي يشير إلى أن كل شين في الآرامية تقابل سين في العربية كما في كلمة (شارية) فهي في العربية (سارية)، ولكن هذا القانون تغير بدليل أن الكلمات الآرامية التي اشتملت على صوت الشين، والتي دخلت العربية بعد تلك الفترة، لم تتغير فيها الشين إلى سين مثل (شرقراق) (3)، و(شمس).

٦/ أنه مطرد في اللغة والمجتمع اللغوي الذي يظهر فيه، بمعنى أن التطور الذي يحدث مثلاً في صوت من الأصوات فإن ذلك ينطبق على الصوت في جميع صياغاته وأحواله في جميع الكلمات التي تشتمل على هذا الصوت، وعند جميع الأفراد الذين يعيشون في البيئة التي ظهر فيها التغير (4).

---

١ / رمضان عبد التواب / المرجع السابق / ص٢٠
٢ / أنظر ما ذكرناه في بداية هذا الباب
٣ / فندريس / اللغة / ص٧٤
٤ / رمضان عبد التواب / التطور اللغوي مظاهره وعلله/ ص٢٢

أنواع التطورات الصوتية:

تنقسم التغيرات الصوتية إلى قسمين، الأول هو التغيرات التاريخية وهي التغيرات التي تحدث في صوت من الأصوات وتقود إلى تغيره وتحوله إلى صوت آخر في جميع الصياغات اللغوية التي يرد فيها ذلك الصوت. والثاني التغيرات التركيبية فهي التغيرات التي تصيب الأصوات نتيجة لتأثرها مع بعضها البعض في التركيب.

أمثلة للتغيرات التاريخية:

١/ الـپاء (پ، p) ([١]) يُنطق هذا الصوت في السامية الشمالية كالعبرية والأكدية مهموساً، فتطور في اللغات السامية الجنوبية (العربية، والحبشية) إلى فاء ([٢]). وذلك في فكلمة (پول pol) العبرية أصبحت (فول fol) في العربية و (فالfal) في الحبشية. وكلمة (پالاگ palag) في العبرية و (پالاگو palago) في الآرامية والتي تعني (شق)، فهي في العربية (فلج $falad_{ٍ٣}$).

٢/ الجيم $d_{٣}$: ([٣]) فالجيم في اللغات السامية كلها هو (گاء) ([٤]) فالكلمة الدالة على الجمل في العبرية هي (گمَل gamal) وفي الآرامية (گاملا gamla)، بينما في العربية (جمل $d_{٣}mal$)، إذن الجيم العربية أصلها گاف تحولت في تطور صوتي إلى الجيم الحالية. وصوت الجيم هو من أكثر الأصوات اللغوية التي حدث بها تطور، إذ يُنطَقُ في اليمن چاء ch ([٥]). كما ينطق دالاً في شرق

---

١ / P يُوصف بأنه شفوي انفجاري مهموس، نظيره المجهور هو الباء b
٢ / لعل هذا هو السبب الذي جعل القدماء يعرّبون Paradiues (paradise) إلى فردوس
٣ / يوصف بأنه وسط حنكي متوسط مجهور
٤ / گـ قصي حنكي انفجاري مجهور، نظيره المهموس الكاف، كما ينطقه المصريون اليوم فيما يُعرف بلهجة القاهرة
٥ / گـاء يوصف بأنه وسط حنكي إنفجاري مهموس

السودان سجائر تُنطق (سداير sidajir)، ويأءً في غرب أفريقيا والسودان، فمسجد تنطق (مَسيدmasjid). وهذا ليس بدعاً جاءت به العامية السودانية، بل هذا النطق امتداد طبيعي للهجات العربية القديمة إذ ورد عند بني تميم أنهم يقولون في (صهريج، ويجمع صهاريج) يقولون (صهري، وصهاري)، وكما يقولون (شيرة) لشجرة. وأنشدتْ أم الهيثم:

إذا لم يكن فيكن ظلّ و لا جنى ❖ فأبعد كنّ اللهُ من شيرات أي شجرات ([1])

٣/ القاف q: ([2]) فهو مهموس في كل اللغات السامية والعربية الفصحى، ولكن وصفه ابن جني بأنه مجهور ([3]) وأنه يقلب كافاً عند تميم (قشطتُ، تقول تميم كشطتُ)، فهذا الوصف يشير إلى أنه قد حدث تطوراً صوتياً للقاف فتحولت من الهمس إلى الجهر في زمن ابن جني، وعادت مرة أخرى إلى الهمس كما هو الحال الآن في الفصحى.

ومازال التطور والتغير يحدث لهذا الصامت إلى الآن، إذ تحوّل إلى همزة في اللهجات المعاصرة في الشام، ومصر، فتنطق القاف همزةً باطراد في كل التراكيب التي تشتمل على قاف. كما تحول في اللهجة السودانية إلى (غين) ([4])، وإلى غين، إذ يقول السودانيون للقلم (گلم galam)، أو (غلم) عند التفصُّح ([5]).

١ / رمضان عبد التواب / فصول في فقة العربية / ص١٣٢-١٣٣

٢ / القاف العربية تُوصف بأنها لهوي إنفجاري مهموس

٣ / ابن جني /سر صناعة الإعراب/ مجلد١/ص٢٨٧

٤ / الغين حلقي احتكاكي مجهور

٣ / أنظر/ د.موسى حامد موسى خليفة / جوانب من أصالة لهجة البقارة / بحث لمقدّم لنيل درجة الماجستير في اللغويات / معهد الخرطوم الدولي للغة العربية.

التغيرات الصوتية التركيبية:

تتأثر الأصوات بعضها البعض نتيجة لتجاورها، مما يقود إلى أن يؤثِّر صوت على آخر. ويسمى ذلك بالمماثلة الصوتية، التي تعنى حسب تعريف دانيال جونز([1]) بأنها عملية استبدال صوت بصوت آخر، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه، في الكلمة أو في الجملة([2]). وعلى العموم تخضع المماثلة الصوتية (التغيرات التركيبية) لقانونين. الأول هو قانون المماثلة Assimilation الذي يقود صوتين متخالفين إلى التماثل، بمعنى أن يجتمع صوتان مختلفان في سياق أو تركيب فيؤثر واحد على الآخر فيحوله إليه ويصبح الصوتان صوتاً واحداً فيدغم الأول في الثاني ويُعبَّر عن ذلك الإدغام بالشدة (التضعيف). أما الثاني فهو قانون المخالفة Dissimilation الذي يقود إلى تخالف صوتين متماثلين ([3]).

ويذكر رمضان عبد التواب أنواع التأثير والتأثر بين الأصوات منها، إذا ما أثر الصوت الأول في الثاني فيسمى تأثر (مُقْبِل)، وإن حدث العكس أثر الثاني في الأول يسمى (مُدْبِر)، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين يسمى تأثر (كُلّي) سواء كان مُقْبِل أم مُدْبِر. أما إن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فيسمى (جزئي) ([4]). الأمثلة التالية تبيِّن ذلك:

---

١ / دانيال جونز هو من وضع واقترع الحركات المعيارية cordial vowels

٢/ رمضان عبد التواب / التطور اللغوي مظاهره وعلله / ص٣٠

٣ / من أبرز أمثلته ما يعرف بفك الإدغام الذي يُقضي بتحويل أحد الصوتين المدغمين إلى اخر مخالف له كما في الأمثلة المذكورة.

٤ / رمضان عبد التواب / المرجع السابق/ ص٣١

قانون المماثلة الصوتية (Assimilation)

أ/ التأثر المُقْبِل الكلي:

١/ تتأثر تاء الافتعال بالدال قبلها، فتُقْلب دالاً وتُدغم الدال المتحولة من تاء الافتعال في دال الفعل (١) مثلاً عند بناء الأفعال (درك، دهن) إلى افتعل نقول (ادَّرك، ادَّهن) أصل الكلمتين (ادترك، ادتهن) (٢) فكل من الدال والتاء أسناني لثوي إنفجاري، غير أنَّ الدال مجهور، بينما التاء مهموس (٣)، فأثرتْ الدال المجهورة على التاء المهموسة فحولتها من الهمس إلى الجهر فصارت التاء دالاً، ومن ثمَّ أدغمت الدال التي كانت تاء في الدال الأصلية في الكلمة، فأصبحتْ الكلمات (ادّرك، ادَّهن)

كما تتأثر تاء الافتعال بالطاء قبلها، فتُقْلب طاءً وتُدغم الطاء المتحولة من تاء الافتعال في طاء الفعل – عند بناء الفعل الذي أوله طاء إلى الافتعال- مثلاً عند بناء (طلب، طلع) إلى افتعل نقول (اطَّلب، اطَّلع) أصل الكلمتين (اطتلب، اطتلع). فكل من الطاء والتاء أسناني لثوي إنفجاري مهموس، غير أنَّ الطاء مُفخَّم، بينما التاء مرقق (٤)، فأثرتْ الطاء المفخمة على التاء المرققة فحولتها من الترقيق إلى التفخيم فصارت التاء طاءً، ومن ثمَّ أدغمت الطاء التي كانت تاء في الطاء الأصلية في الكلمة، فأصبحتْ الكلمات (اطَّلب، اطَّلع)

كما تتأثر تاء الافتعال بالذال، فتُقلب دالاً (٥)، عند بناء (ذكر) على افتعل، يصبح (ادَّكر)، فأصلها (اذتكر) فانتقل مخرج التاء من أسناني لثوي إلى ما بين أسناني، فصارت ذالاً، وعندها ادغمت الذال في الأخرى وصارت الكلمة (ادَّكر).

١ / وذلك عند بناء فعل فاءه دال (دهن، درج.. الخ) إلى صيغة الافتعال (افتعل ومشتقاتها)

٢/ لأن بناء الفعل على افتعل يعنى، إدخال همزة افتعل في أول الفعل قبل فاءه، ومن ثمَّ إدخال تاء افتعل بين فاء الفعل وعينه

٣ / التاء هي النظير الهموس للدال، والدال هي النظير المجهور للتاء، إذ أن كلاهما أسناني لثوي انفجاري. فتحول التاء إلى الجهر تصبح دالاً، والعكس تحول الدال من الجهر إلى الهمس تصبح تاءً

٤ / التاء هي النظير المرقق للطاء، والطاء هي النظير المفخم للتاء، إذ أن كلاهما أسناني لثوي انفجاري مهموس. فتحول التاء إلى التفخيم تصبح طاءً، والعكس تتحول الطاء من التفخيم إلى الترقيق فتصبح تاءً.

٥ / الذال يوصف بأنه صوت ما بين أسناني احتكاكي مجهور، والدال كما ذكرناها. فهناك مماثلة بين التاء والذال، يتمثل في انتقال المخرج.

كما تتأثر تاء الافتعال بالصاد التي قبلها فتتحول إلى صاد ([1])، وذلك عند بناء الأفعال التي فاؤها صاد إلى افتعل مثل صبر(اصَّبر)، فأصل الكلمة (اصتبر).

وكذلك تتأثر تاء الافتعال بالضاد قبلها فتنقلب إلى ضاد([2])،عند بناء الفعل الثلاثي الذي فاؤه ضاد إلى افتعل، مثل ضجع (اضَّجع) فالكلمة في الأصل(اتضجع)، فتأثرت التاء بالضاد بسبب كون آن الضاد هي النظير المرقق المهموس للضاد، بينما الضاد هي النظير المفخم المجهور للتاء. ولذا أثرت الضاد على التاء وحولّتها من الهمس إلى الجهر، ومن الترقيق إلى التفخيم وصارت عندها التاء ضاداً، وصارت الكلمة(اضَّجع).

٢/ تتأثر الواو الساكنة بالكسرة القصيرة التي قبلها، فتتحول إلى كسرةٍ، وتتحد هذه الكسرة بالكسرة قبلها فتصبح كسرة طويلة - أي ياء مد- مثل كلمة (ميزان) أصلها (مِوْزان) لأن الفعل في الأصل المشتق منه الكلمة (وَزَنَ) فهنا تحولت الواو الساكنة إلى كسرة متأثرة بالكسرة قبلها، وأُدغمت الكسرتان وصارت الحركة ياء مد (مِيزان). وتتأثر الواو الساكنة بالفتحة قبلها فتحولها إلى حركة([3])، وتصبح إمالة ([4])، مثل كلمة (يَوْم jaom) تُنطق في العامية (يوم jom). كما تتأثر الياء الساكنة

---

١ / الصاد لثوي احتكاكي مهموس
٢ / الضاد المعاصرة كما ننطقها اليوم تُصف بأنها أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم. وليس كما كانت قديما حسب وصف ابن جني واستخدام البدو اليوم.
٣ / هذا الأمر يحدث في اللهجات قديمها وحديثها وليس في الفصحى
٤ / وهي إمالة الفتحة إلى الضمة

بالفتحة التي قبلها فتتحول إلى حركة بين الفتحة والكسرة [1] – إمالة الفتح نحو الكسر- مثل (بيْت bajt، زيْت zajt) فتصبح (بيت bet، زيت zet).

٣/ تتأثر حركة الضم في ضميري النصب والجر الغائب سواء كان مفرد مذكر (ـهُ) أو جمع مذكر (هُم) أو جمع مؤنث (هُن) أو مثنى (هُما) بما قبلها إن كان قبلها كسرة طويلة أو قصيرة، أو ياء. فتُقلب الضمةُ في الضمير كسرةً. مثل (بِرجلِه، فِيهِ، عليهِ، ضربْتِهِ، بصاحِبِهِم، قاضِيهِم، بِهِنَّ، بِهِما) فهي في الأصل على التوالي (برِجلِهُ، فيهُ، عليهُ، ضربْتِهُ، بصاحِبِهُم، قاضيهُم، بِهُنَّ، بِهُما). وذلك لأن الهاء المذكورة يفترض أن تكونَ مضمومة، ولكنها تأثرت بما قبلها من كسرة قصيرة، وكسرة طويلة وياء كما في الأمثلة [2].

ب/ التأثر المقبل الجزئي

١/ تتأثر تاء الافتعال بالجيم [3] فتقلب تاء الافتعال دالاً [4] مثل (اجتمع، اجتزر) تصبح (اجدمع، واجدز) [5]

---

١ / في العامية أيضاً. وهنا أثرت الفتحة على الياء التي هي نصف حركة كسرة مما أحدث هذه الحركة، إمالة الفتحة نحو الكسرة

٢ / رمضان عبد التواب / المرجع السابق /ص٣٤

٣ / إن كانت الجيم فاء الفعل الذي يُبنى على افتعل

٤ / ذلك ليس في الفصحى، بل في بعض اللهجات العربية القديمة والمعاصرة

٥ / فالجيم كما وصفت تتحول إلى دال بانتقال المخرج، والمماثلة بينهما أن كلتيهما مجهور، بنما التاء مهموس

٢/ تتأثر الثاء بالأصوات المجهورة قبلها فتنقلب ذالاً ([1])، مثل (يجذو) أصلها (يجثو)، (تلعذم) أصلها (تلعثم). ويقول ابن جني في ذلك أن (يجثو، ويجذو) لغتان لم يحدث فيها إبدال صوتي ([2]).

٣/ تتأثر السين بالراء فتقلب زاي ([3]). فحين تتحول السين من الهمس إلى الجهر تصبح زاي. وسبب تحولها ذلك هو تأثُّرها بالراء المجهورة ([4]). مثل (مهراز) أصلها (مهراس) من (هرس).

٤/ تتأثر السين المهموسة بالياء المجهورة ([5]) قبلها، مثل كلمة (يزحف) أصلها (يسحف)

التأثر المُدْبِر الكلي:

١/ تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إن كانت صوتاً من الأصوات الصفير ([6])، وذلك عند بناء الفعل على صيغتي (تفعَّل، وتفاعل). مثل:

(يذَّكَّرُ، اذَّكَّرُ) أصلها (يتذكر، اتذكر) فتأثرت التاء بما بعدها وهي الذال، فأثرت الذال على التاء وحولتها من الهمس إلى الجهر، فأصبحت التاء ذالاً. وكذلك (يثَّاقل) أصلها (يتثاقل) لأن ثُقُل بني على (افتعل)، فهنا تأثرت التاء بالثاء بعدها وتحولت إلى ثاء.([7])

---

١ / فالثاء والذال كلاهما ما بين أسناني احتكاكي، غير أن الثاء مهموس، بينما الذال مجهور. فالمماثلة بينهما واقعة. فتحول الذال إلى ثاء ما هو إلا تحول من الهمس إلى الجهر، والعكس صحيح

٢ / ابن جني / سر صناعة الإعراب / ج١/ص٢٠١

٣ / الزاي لثوي احتكاكي مجهور بينما السين كما وصفناها هي النظير المهموس للزاي. وبالتالي الزاي النظير المجهور للسين،

٤ / الراء وسط حنكي تكراي trill مجهور كلي

٥ / الياء وسط حنكي احتكاكي مجهور كلي (نصف حركة). وهذه الأمثلة كلها من اللهجات وليست في الفصحى.

٦ /أصوات الصفير هي السين، الثاء، الذال

٧ / وقد وردت الصيغة في القرآن الكريم في قوله تعالى "..اثاقلتم إلى الأرض.. " سورة التوبة الأية ٣٨

٢/ تتأثر النون (١) بالميم التي تليها في (إنْ، أنْ، مَنْ، عَنْ) عندما تأتي بعدها أدوات تبدأ بالميم مثل (ما) الموصولة. (إمَّا، أمَّا، مِمَّا، عَمَّ)، فالأصل فيما سبق هو (إنْما، أنْما، منْما، عنْما) فتأثرت النون بالميم (٢) بسبب وجود المماثلة بينهما فكلاهما مؤنف، بيد أن النون أسناني لثوي، بينما الميم شفوي، فالتحول حدث بانتقال المخرج. فصارت النون ميماً وأدغمت الميم في الميم. (٣)

قانون المخالفة (Dissimilation).

قانون المخالفة عكس قانون المماثلة، إذ يقضي بتحوُّل واحد من الصوتين المتطابقين تماماً، إلى صوت آخر مختلف تماماً. وأبرز مثال لهذا القانون يورده رمضان عبد التواب في كلمة (شمس) العربية، فهي في الأصل في اللغات السامية (الآرامية، العبرية، والآكادية) (شمش)، فمن المفترض أن تصير الكلمة في العربية (سمس)(٤)، إلا أن المخالفة الصوتية بين السينين أدت إلى تحول الأولى شيناً (٥). ومنها (اترنج، إنجّانة)، آصلها (اترجّ، إجّانة) فالجيم المضعّفة عند فك إدغامها تحولت الأولى إلى نون. " يزيدون النون في هذه الكلمات فيقال اترجّ، وإجَانة، وإجّاص، هذه الأحرف باسقاط النون (٦).

ويُفكُّ الادغام في الدال في (هدَّم)، وفي الميم (خمَّش)، فتبدل إلى راء (هردم، خرمش)، أي قلب الدال الأولى (هددم)، والميم الأولى (خممش) إلى راء بعد فك

١ / النون أسناني لثوي مجهور كلي مؤنف
٢ / الميم شفوي مجهور كلي مؤنف
٣ / تحتشد كتب الإبدال، وكتب اللحن بهذه الأمثلة.
٤ / ذكرنا ذلك في الصفحات السابقة
٥ / رمضان عبد التواب / المرجع السابق/ الصفحات ٥٧، ٥٨
٦ / الكسائي / ما تلحن فيه العامة / ص١١٦

الإدغام. وكذلك (فطّح)، و(لوّح) عند فك الأدغام تصبح (فلطح) بقلب الطاء الأولى لام، (لولح) بقلب الواو الأولى لام بعد فك الادغام ([1]).

ثالثاً: قانون السهولة والتيسير:

تحدث التغيرات الصوتية في كثير من الأحيان ليس تبعاً لأي من القوانين السابقة، بل بعامل السهولة والتيسير، إذ إن كثير من التتابعات الصوتية تتطلب جهداً عضلياً أكبر عند النطق بها بطريقة مثاليةٍ سليمة. مما يجعل الفرد الناطق باللغة مضطراً إلى إحداث تغيير صوتي في بعض أصوات بعض الكلمات التي تتطلب منه جهداً زائداً.عند نطقها. ومن أمثلة السهولة والتيسير.

١/ سقوط الهمزة.

معلوم أن نطق الهمزة عند ورودها في السياق يكون صعباً نوعاً ما. مما جعل بعض القبائل العربية ([2]) تتخلص منها. فتتحول إلى جنس الحركة التي قبلها، وبالتالي تصير حركة طويلة(مد) مثل قولهم (بير، رَاس، رُوس)، في (بئر، رأس، رؤوس) فهنا لم تسقط الهمزة بل تحولت إلى كسرة، وأدغمت في الكسرة قبلها وصارت (ياء مد)، وكذلك تأثرت الهمزة في (رأس) بالفتحة قبلها فتحولت إلى فتحة، وأدغمت وصارت (ألف مد). وكذلك في (رؤوس).([3]). وفي اللهجات السودانية تسقط تماماً في بعض المفردات كما في لهجة البقارة الذين يقولون (براهيم، سماعين، سبوع، سِنان، مرة، سما، حمره، بيضه، زرقه، صفره) في (إبراهيم،

---

١ / وذلك في لهجة البقارة. أنظر موسى حامد موسي / مرجع سابق

٢ / القبائل الحجازية خاصة

٣ / المعروف أن كل الصوائت (الحركات) مجهورة كليا، وأقربها إلى الهمزة هو الفتحة. ولمّا لم تكن هناك مماثلة بين الهمزة وغيرها من الصوامت، أصبحت الهمزة أقرب الصوامت للحركات إذ أن مخرجها الحنجرة موضع الوترين الصوتيين (أداة التصويت Phonation) الذي هو أبرز مميّز للحركات عن الصوامت

إسماعيل، أسبوع، أسنان، امرأة، سماء، حمراء، بيضاء، زرقاْ، صفراء) على التوالي ([1]).

٢/ تحوُّل الأصوات ما بين الأسنانية:

الصوامت مابين الأسنانية هي (الثاء Ǿ، الذال ð، والظاء ð) ([2]). وتحوُّل تلك الصوامت إلى غيرها – كما سنبيِّن – محكوم بقانون السهولة والتيسير كما ذكر ابن دُريد في مقدمه معجمه " أعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة، وأقلَّ ما يستعملون لثِقلِها على ألسنتهم الظاء، ثم الذال، ثم الثاء...... مما يدلك أنهم لا يألفون الحروف المتقاربة المخارج، أنهم ربما لزمهم ذلك في كلمتين أو حرف زائد فيحولون أحد الحرفين([3]).

أ/ الثاء تتحول إلى:

(i) تاء: (ثوم) تُنطقُ (توم) / (ثوب) تُنطقُ (توب)

(ii) سين: (ثابت) تُنطقُ (سابت) / (ثغر) تُنطقُ (سغر).

ب/ الذال تتحول إلى:

(i) زاي: (ذكر) تُنطقُ (زكر) / (ذهب) تُنطقُ (زهب)

(ii) دال: (ذقن) تُنطقُ (دقن)، (فخذ) تُنطقُ (فخْد)

(iii) ضاد: (ذنب) تُنطقُ (ضنب)، (ذكر) تُنطقُ (ضكر)

ج/ الظاء تتحول إلى:

---

١ / موسى حامد موسى / مرجع سابق / ص٤٥-٤٦

٢ / (الثاء Ǿ،) ما بين أسناني احتكاكي مهموس، (الذال ð) ما بين أسناني احتكاكي مجهور (والظاء ð) ما بين أسناني احتكاكي مجهور مفخَّم.

٣ / ابن دريد / جمهرة اللغة / ج١/ص١٢

(أ) ضاد: (ظِل) تُنطقُ (ضل) / (ظهْر) تُنطقُ (ضهر) (حنظل، تُنطقُ (حنضل).

٣/ القلب:

ونعنى به تغيير ترتيب صوامت الكلمة، وهو يخضع لقانون السهولة والتيسير أيضاً مثل (جذب) تبدل الباء مكان الذال (جبذ) وهذه الظاهرة قديمة ذكرها ابن السكيت بقوله أنشدني الفرَّاءُ أن بعض بني تميم يقولون:

ثُمَّ انتجيتُ فجبذتُ جبذةً ◆ حررت منها لقفاى أرتمِزُ (١)

ومثل تبديل الصاد والعين في (صاعقة) عند بني تميم (صاقعة)، أورد المبرِّد أمَا العربَ فتقول صاعِقة وصواعِق وبني تميم تقول صاقعة وصولقع (٢). ويقول ابن القوطية صقع الإنسان بمعنى صعق عند بني تميم. ويقول ابن الأحمر:

ألم تر أنَّ المجونَ أصابهم ◆ صواقعُ لا بل هُنَّ فوقَ الصواقِع

ويروي ابن ابني النجم عن أبي حيَّان:

يحكون بالمصقول القواطع ◆ تشقُّقُ البرقُ عند الصواقِع (٣)

ويقول ابن جني القلب في كلامهم كثير (٤). وكلمة (رُكبة) هي في الأصل مقلوب (بُركة) لأنها من الفعل (برك)، كما أنها في العبرية (بيريه bereh) وفي الآرامية (بُركه burkah) وفي الحبشية بيركberk)، وفي الأكدية بُرُكburuk). عواميد (عماويد)(٥)

١/ ابن السكيت / إصلاح المنطق /ص٨٢
٢ / المبرد / الكامل / ص١٩٦
٣ / ابن القوطية / الأفعال / ص٢٣٤
٤ / ابن جني / الخصائص ج٢/ص٨٢
٥ / رمضان عبد التواب / المرجع السابق / ص٩٠

التغيرات الصرفية:

من مظاهر قانون السهولة والتيسير القضاء على التفريعات الكثيرة والظواهر المتعددة للظاهرة الواحدة في اللغة. مثل ما حدث لعلامات التأنيث في اللهجات العربية. إذ أن في العربية ثلاث علامات للتأنيث هي التاء، الألف المقصورة، والألف الممدودة. فسقطت العلامتين الثانية والثالثة وحلّ محلها العلامة الأولى بفعل قانون السهولة والتيسير (1). مثل الكلمات في الفصحى (حمراء، بيضاء، صحراء، ، صفراء، عمياء، ميناء، عرجاء) صارت في العامية (حمرة، بيضة، صحرة، صفرة، عمية، مينة، عرجة) على التوالي. ويذكر د. رمضان عبد التواب أن هذه الظاهرة قديمة إذ ورد في ديوان الطرماح:

كأني إذا ما باشرتُ سلمةً خالياً ❖ على رَمْلَةٍ ميثاء للمتبطِّح (2)

---

1 / المرجع السابق / ص87
2 / المرجع السابق / ص87

نشأة الكتابة

عرف الإنسان اللغة منطوقة أولاً بشكلها الصوتي المستخدم الآن، وهو الأساس فيها. ولم يعرف الشكل المكتوب منها ولم يتعلم الكتابة إلا بعد أن استخدم اللغة المنطوقة فترة زمنيةً طويلةً، عندما احتاج لطريقة يستطيع من خلالها حفظ ما يقوله من كلام، كان ذلك سبباً في اكتشافه الكتابة (التدوين)، بعد أن مرت جهوده بسلسلة من المراحل. وعليه لم يعرف الإنسان اللغة المكتوبة (الكتابة) بين يومٍ وليلةٍ بقدر ما عرفها عبر سلسلة من الأطوار والمراحل حسب افتراضات اللغويين. والأطوار هي:

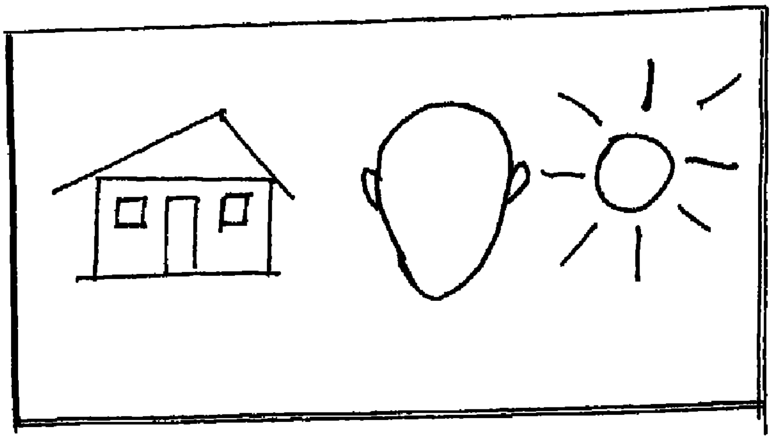
١. الطور الصوري الذاتي: وهو الطور الذي استخدم فيه الإنسان الصورة لتفريغ شحناته العاطفية، أو للترويح عن النفس،وهو الطور الذي ما زال الفنانون يستخدمونه في لوحاتهم الفنية.

٢. الطور الصوري الرمزي: وهو الطور الذي استخدم فيه الإنسان الصورة ليرمز بها لبعض الأحداث العظيمة التي مرت به في حياته في المرحلة الأولى، ومن ثم تطور واستخدم الصورة ليرمز بها عن مفاهيم ومدركات حسية محددة. ولعل هذا الطور ما زال مستخدما في لغة اللوحات مثل علامات المرور المتعددة والمختلفة، والعلامات المستخدمة في الصناعات،والأدوية،وتوجيهات السواح والأجانب في مختلف البلدان. ويعتبر هذا الطور لغةً عالمية يفهمها جميع أفراد البشر باختلاف لغاتهم. وقد استخدم الإنسان هذا الطور في تطور لاحق وصار يستخدم الصورة باعتبارها إشارة إلى كلمةٍ كاملةٍ ليعبر بها عن أحداث مرت به. كما هو الحال اليوم إذ نرمز للسلام بصورة الحمامة أو غصن الزيتون.

٣. الطور الصوري المقطعي: وهو الطور الذي استخدم فيه الإنسان الصورة للتعبير عن مقطع من الكلمة وليس الكلمة كلها كما كان الحال في الطور السابق. وهذا الطور مستخدم في الكتابة الهيروغولوفية.

٤. الطور الرمزي: وهو الطور الذي استخدمت فيه الصورة للإشارة إلى الحرف الواحد (الأول) في الكلمة، فمثلاً إذا أردنا أن نعبِّر عن معنى ومفهوم الشراب نرسم ثلاث صور هي: الأولى صورة الشمس إشارة إلى حرف (صوت) الشين، وصورة الرأس إشارة إلى حرف (صوت) الراء، ومعها صورة البيت إشارة إلى حرف (صوت) الباء.

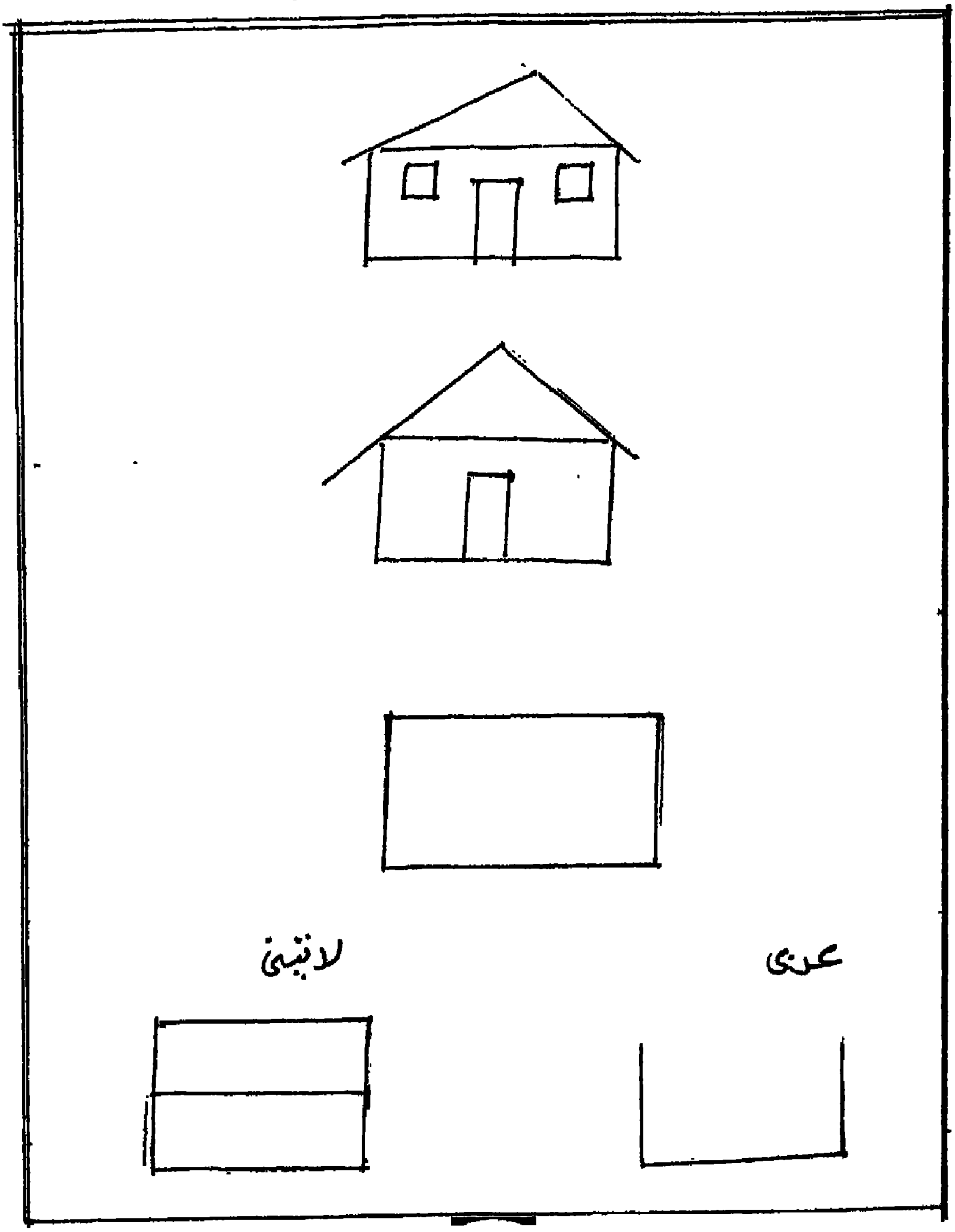
شكل رقم (١) يبين الطور الصوري الرمزي



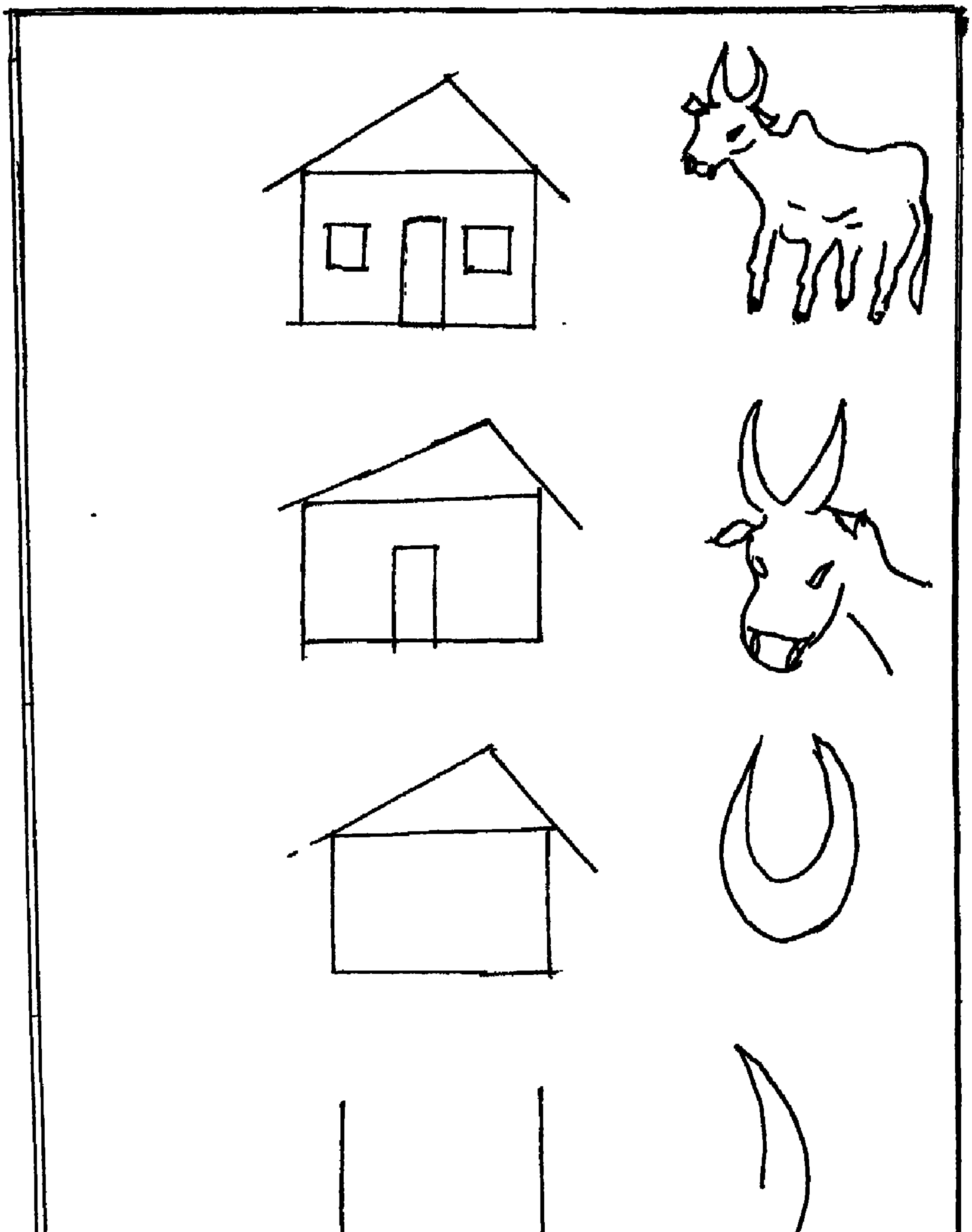
١. الطور الرمزي البحت: وهو الطور الذي نستخدمه الآن في كتابة جميع اللغات الحية اليوم، وهو في الأصل منبثق من الطور السابق بعد إجراء كثير من التعديلات عليه. ففي الأصل كانت اللغة الآرامية تستخدم الطور الصوري فترسم صورة الثور alfa ويسمى ألفا في الآرامية للتعبير عن صوت الألف، وصورة البيت (في الآرامية بيتا bita) للتعبير عن صوت الباء، وصورة الجمل (في الآرامية gamla

للتعبير عن صوت الجيم وهكذا. ففي مرحلةٍ تالية فكر الرسامون في اختصار الصورة فبدلا من رسم صورة الثور كاملة رسموا رأسه، ومن ثم في تطور لاحق اختصروا صورة رأس الثور فرسموا قرناه فقط. ثم اختصروها أكثر فرسموا قرناً واحداً وهو الرمز الذي أخذته العربية (ل)، ثم أخذته اللاتينية فأضافت له خطاً أفقياً (A). وهذا ما حدث لبيتا bita أيضاً (صورة البيت) التي تسمى في الآرامية بيتا. فرُسِمتْ صورة البيت في المرحلة الأولى كاملة بيت بسقف ونوافذ وباب، ومن ثم أُختُصِرت إلى صورة بيت بلا نوافذ، ومن ثم أُختُصِرت إلى صورة في المرحلة الثالثة إلى صورة بيت بلا نوافذ وباب، ومن ثم أُختُصِرت في المرحلة الأخيرة إلى صورة بيت هو مربع بلا نوافذ أو سقف وباب وهو الرمز الذي استخدمته العربية (دون نقط) وأخذته اللاتينية وأضافت له خطاً أفقياً (⊟). وهكذا مع بقية الصور، فصورة الجمل (الذي يُسمى گـاملا gamla) في الآرامية، أُختصِرتْ برسم رأسه، ومن ثم في مرحلة لاحقه اختصرت إلى أذنيه، ومن ثم في مرحلة أخيرة رُسمت أذنه (إذن واحدة)، وهو الرمز التي أخذته العربية (ج) بدون نقطة تحتها. وهو الرمز الذي أخذته اللاتينية(G) وهكذا مع بقية الصور البالغ عددها (٢٢) صورة اختصرت كل صورة ولم يبق منها إلا جزء - رمز الصورة- أي (٢٢) رمز، يشير كل واحد من الرموز إلى صوت من أصوات اللغة، وهو الذي عُرِف فيما بعد بالحرف الكتابي.

شكل رقم (٢) يبيِّن أطوار الطور الرمزي البحت



إذا أردنا كتابة كلمة (أب) على افتراض أنها هي نفسها في الآرامية فإن الرسم التالي يبين أطوار كتابتها:



الأبجدية العربية:

كما قلنا أخذت العربية من الآرامية الرموز الأبجدية التي هي في الأصل صور كاملة وتم اختصارها كما قلنا. وكان عدد الحروف الأبجدية في الآرامية ست وعشرون رمزاً أو حرفاً وهي كما أخذتها العربية واستخدمتها في الأبجدية بنفس ترتيبها في لغتها الأصل، ولم تكن هذه الحروف منقّطة: وكانت كالآتي:

ا - ں - ح - د - هـ - و - ر - ح

ط - ى - كـ - ل - م - ں - س - ع

و - ص - و - ر - س - ں

وهي: - (أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت) (1) يحفظها الناس بـ (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)

فعندما أخذت العربية تلك الحروف، وجدت أنها لا تكفي صوامت اللغة العربية المستخدمة في سياق الكلام حقيقة، أي أن هناك صوامت في اللغة العربية لا وجود لها في الآرامية مما يعني عدم وجود رموز تشير إليها. مما جعل العرب يضيفون

1 / بعد التنقيط (وضع النقط الذي جاء فيما بعد) وقمت بكتابتها للتوضيح فقط.

للرموز الآرامية ستةً رموز أخرى، وهي تلك التي تُعبِّر عن الصوامت العربية غير الموجودة في الآرامية، وسموها بالروادف وهي (ض، ذ، ث، غ، ظ، خ).

وحتى ذلك الوقت لم تكن هذه الحروف منقَّطة. وهي الحروف التي تعبِّر عن الأصوات غير الموجودة في اللغة الآرامية وموجودة في اللغة العربية. ومن يومها أصبحت الحروف الثماني والعشرين تمثل الأبجدية العربية. دون نقاط.

وظل العرب حتى نزول الإسلام،وإلى عهد على بن أبي طالب يستخدمون الحروف الثماني والعشرون دون نقط. وكانوا يُفرِّقُون بين الحروف المتشابهة الشكل بالسليقة والفطرة والخبرة. وفي عهد على بن آبي طالب دخل المجتمع الإسلامي العربي كثير ممن هم من غير الأصول العربية، أولئك الذين لم تكن اللغة العربية لغةً أماً لهم، الأمر الذي أدي إلي تفشي ظاهرة " اللحن " في ألسنتهم، وظاهرة (اللحن) تعني الخطأ في نطق الحركة المصاحبة أواخر الكلمات في الجملة العربية بسبب تغير هذه الحركة حسب وظيفة الكلمة في الجملة. أي حسب موقعها الإعرابي. ولمّا لم يكن للإعراب وجود في اللغات الأخرى غير العربية كان من البديهي أن يُخطِئُ غير العرب في هذا الأمر. ولما وصل أمر اللحن الدرجة التي خاف معها على ابن أبي طالب على سلامة اللسان عند قراءة المسلمين غير الناطقين بالعربية للقرآن الكريم، كلّف أبا الأسود الدوؤلي لبحث الظاهرة والعمل على حلها.

ويُقال أن تكليف أبي الأسود كان أمراً من الوالي زياد بن آبيه، ومنهم من يقول أن الأمر كان تكليفاً من الخليفة على بن أبي طالب نفسه لحفظ القرآن من الفساد على ألسنة الداخلين حديثاً إلى الإسلام(1)، على آية حال اهتدى أبو الأسود

1 / يوهان فك / العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب /ص ٢٣. كما راجع طبقات ابن سلام.

الدؤولي إلى اختراع ما عُرِفَ حينها بنقاط الإعراب. وهي نقط استخدمها لتحديد حركة الحرف الأخير في الكلمة للتعبير عن الضمة أو الفتحة أو الكسرة حسب نطقها، أي كما ينطقها العرب الخُلّص أي موقع الكلمة من الإعراب ([1]). وكانت نقاط الإعراب على النحو التالي:

١/ نقطة فوق الحرف إشارة إلى الضمة.

٢/ نقطة بين يدي الحرف إشارة إلى الفتحة

٣/ نقطة تحت الحرف إشارة للكسرة.

فمثلاً نكتب جملة شربَ الولدُ اللبنَ في الصباحِ كالآتي:

سرب. الولد اللـــــس. وى الصــــاح.

وبذلك كان عمل أبو الأسود الدوؤلي هذا أول مجهود لتطوير نظام الكتابة العربية، مما سهَّل تعلم اللغة العربية ([2])، وقد ساهم هذا الجهد كثيراً في تخفيف ظاهرة اللحن.

واستمر استخدام نظام نقط الإعراب إلى أن حدثت مشكلة أخرى تتعلق بالكتابة وتعلُّمها في عهد عبد الملك بن مروان هي مشكلة " التصحيف " و تعني الخلط بين الحروف المتشابهة الشكل، وطبعاً الظاهرة تفشت بين الناطقين بلغات أخرى غير العربية، فكُلِّف هذه المرة عالمين جليلين هما نصر بن عاصم،

١ / ملاحظة لم يكن علم النحو نشأة في ذلك الوقت ولكن نعنى الحركة حسب تعود العرب على نطقها.
٢ / ونعني هنا تعلُّم اللغة العربية كتابة وقراءة، وليس تحدثًا.

ويحي بن يعمر للعمل على حل المشكلة والقضاء على هذه الظاهرة. وبعد تفكير وتمحيص اهتديا لما سموه (بنقاط الإعجام)، والإعجام هنا يُقصَدُ به التوضيح. وهي النقط المستخدمة حتى اليوم مثل النقطة تحت الباء للتفريق بينها وبين النون التي وضعوا نقطة فوقها، والباء التي وضعوا تحتها نقطة واحدة لتمييزها عن التاء التي وضعوا فوقها نقطتين لتمييزها عن الثاء التي وضعوا فوقها ثلاث نقاط. ووضعوا نقطة فوق الخاء للتفريق بينها وبين الحاء، ونقطة فوق الغين للتفريق بينها وبين العين، وثلاث نقاط فوق الشين للتفريق بينها وبين السين، ونقطة فوق الذال للتفريق بينها وبين الدال، و نقطة فوق الظاء للتفريق بينها وبين الطاء ونقطة فوق الضاد للتفريق بينها وبين الصاد، ووضِعتْ نقطتان فوق القاف للتفريق بينها وبين الفاء، التي وضعوا فوقها نقطة واحدة وهكذا.

ولم يقم هذان العالمان بذلك فحسب بل لكي يسهّلوا عملية حفظ الحروف على المتعلمين ومستخدمي الكتابة بعد تنقيط الحروف قاموا بإعادة ترتيب الأبجدية العربية، اعتماداً على فكرة وضع الحروف المتشابه الشكل جنباً إلى جنب، اعتماداً على الترتيب (أبجد، هوز، حطي كلمن، سعفص، قرشت).

فبدئوا بالألف لأنها أول الحروف، ثم وضعوا بعدها الباء، ثم وضعوا شبيهاتها وهما التاء والثاء، ثم انتقلوا إلى الجيم التي وضعوا بعهدها شبيهتيها وهما الحاء والخاء، ثم انتقلوا إلى الحرف الرابع في " ابجد هوز " وهو الدال فوضعوا الدال ثم شبيهتها الذال. ثم الراء، و شبيهتها الزاي، ثم تجاوزا الهاء - حسب الترتيب- بسبب أنه ليس لها شبيه في الشكل. وكذلك تجاوزا الواو لأنها منقلبة إذ تتحول إلى ياء أو ألف أحياناً، ثم تجاوزوا الزاي لأنهم وضعوها مع الراء والدال. ثم تجاوزوا الحاء

لأنها وضعت بجانب الجيم، ثم تجاوزوا الطاء لعدم وجود شبيه لها (1)، ثم تجاوزوا الياء لأنها ضعيفة ومتغيرة. ثم تجاوزوا الكاف واللام والميم والنون لعدم وجود شبيهات لها. ثم وضعوا السين (2) بجانبها ما يشبهها الشين والصاد والضاد. ثم وضعوا معها الحروف المفخمة وهي الطاء والظاء. ثم وضعوا العين ومعها شبيهتها الغين، ثم وضعوا الفاء و شبيهتها القاف، وتجاوزوا التاء لأنها وضِعَتْ مع الباء. ثم أعادوا الكرة وبدئوا يدونون الحروف التي تجاوزوها، والتي ليس لها شبيهات وهي الكاف، واللام، والميم، والنون، وثم وضعوا الحروف الضعيفة والمتغيرة وهي: الهاء، والواو، والياء بعد ذلك.وكان الناتج وهو الترتيب الذي ما زلنا نستخدمه إلى الآن حسب الجدول التالي.

أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ،
ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي

استمر الحال على ما هو عليه، باستخدام نوعين من النقاط الأول الذي وضعه أبو الأسود الدوؤلي (نقاط الإعراب) والذي يبيِّن حركة الحرف الأخير من الكلمة،والثاني الذي وضعه نصر بن عاصم (نقاط الإعجام). وكان الذين يقومون بالكتابة يستخدمون لونين من المداد للكتابة إذ يضعون نقاط الإعجام بلون المداد الذي يكتبون به، بينما يضعون نقاط الإعراب بلون مختلف عن اللون الذي يكتبون به الحروف والكلمات.

---

١ / لم يكن للطاء شبيه بغياب الظاء التي هي من الروادف

٢ / حسب الترتيب الأبجدي تأتي السين (سعفص) بعد النون

ولمّا لم يكن في مقدور جميع الكتّاب توفير نوعين مختلفي اللون من الحبر (المداد) الأمر الذي جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري يفكّر في طريقة لمعالجة مشكلة التعارض بين نقاط الإعراب ونقاط الإعجام. فاهتدى إلى ما عُرِف بعلامات الإعراب المعروفة والتي ما زلنا نستخدمها إلى اليوم.

فعبَّر عن الفتحة بألف صغيرة مبسوطة فوق الحرف، لأنه وجد أن الفتحة ما هي إلا ألف قصيرة. ورمز للكسرة بألف مبسوطة صغيرة توضع تحت الحرف (1)، وعبِّر عن الضمة بواو صغيرة فوق الحرف، لأن الضمة ما هي إلا واو قصيرة. كما وضع علامة فرَّق بها بين الألف والهمزة وهي عبارة عن عين صغيرة وضعها فوق الهمزة، وذلك لاشتراك الهمزة والعين في المخرج (2). كما وضع عين صغيرة أيضاً فوق الكاف للتفريق بينها وبين اللام. كما عبِّر عن الحرف الشديد (المشدد) بوضع شين صغيرة فوقه إشارة إلى كلمة شديد.

ويمكننا أن نجمل علامات الخليل بن أحمد الفراهيدي في الآتي:

١. الفتحة: ـَ ٢. الضمة: ـُ ٣.الكسرة: ـِ

٤.الهمزة: ء ٥.الكاف: ك ٦.الحرف المشدد: ـّ

أفضلية نظام الكتابة العربية على نظم كتابة اللغات المعاصرة:

يعتبر نظام الكتابة العربية أفضل نظام كتابة للغات الإنسانية، وذلك

---

١ / ولمّا لم يكن في الإمكان (من ناحية عملية، تطبيقية) وضع ياء صغيرة (فوق، أو تحت الحرف) للإشارة إلى الكسرة بسبب وجود نقط تحت الياء، أستعار رمز الألف ووضعها تحت الحرف للتعبير عن الكسرة، ووضعها تحت الحرف ليميّز بينها وبين الفتحة.

٢ / معروف أن الخليل بن أحمد كان أصواتيا، ومن شده ولعه بعلم الأصوات صنّف معجما لغويا رتّب أبوابه حسب مخارج الحروف (معجم العين)

أولاً: لأنه لم يتغير منذ القرن الثالث الهجري كما ذكرنا، إذ يستطيع أي قارئ الآن أن يقرأ بكل سهولةٍ ويسر أي نص كُتِبَ منذ أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ثانياً: لأن أي رمز (حرف) في اللغة العربية يُسْتخدمُ للإشارة إلى صوت محدد دون أي خلط مع أي رمز أو صوت آخر، كما أن أي صوت في اللغة العربية له رمزٌ واحدٌ فقط يقابله.

ولكي نقف على صحة ما ذهبنا إليه فلننظر إلى اللغات المعاصرة وأهمها اللغة الإنجليزية ونقارن بينها وبين اللغة العربية في نظام الكتابة، ونتيجة هذه المقارنة نجد عيوباً كبيرة في نظام كتابة اللغة الإنجليزية(1)، مما يُحدث التباساً لدي متعلمي الكتابة في الإنجليزية حتى بالنسبة للناطقين بها ولا سيِّما الناطقين بغيرها ونستطيع أن نعطي بعض الأمثلة التالية التي تؤكِّد ذلك وهي:

أولاً:

في اللغة الإنجليزية نجد أصوات تُستخدَمُ في الكلام وليس لها رموز تقابلها في الكتابة مثل صوت الشين، وصوت الذال، وصوت الثاء وصوت النغاء (ŋ)، مما جعلهم يستخدمون رموزاً مركبة أُستعيرتْ من رموز أخرى، ووضعت واُستخدِمتْ في الأصل للإشارة إلى أصوات أخرى:

1/ صوت الشين يعبرون عنه كتابة بالطرق المختلفة التالية:

آ/ رمز س (S): في الكلمات:

1 / ولعل سبب اضطراب نظام كتابة اللغة الإنجليزية هو التطور الكبير والمتسارع فى أصواتها على ألسنة متكلميها، مما يجعل القائمين بأمر الكتابة لا يستطيعون مجاراة التغيرات المتسارعة، مما أحدث هذه المفارقات بين ما يُنطق حقيقة ويُعبّر عن هذا المنطوق رمزا. بجانب ما دخل على الإنجليزية من ألفاظ من أغلب اللغات الحية، والميتة، وأصبحت جزء منها.

surer - - Sugar measure -

فهنا السين (s)أصلاً رمز مستقل بذاته

ب/ رمز (C) في الكلمات:

commercial - social - racial -

فهنا حرف (c) أصلاً رمز مستقل بذاته،

ج/ رمزان هما (س، هـ) (sh) في كلمات:-

She - shall - shine -

فهنا السين (s) أصلاً رمز مستقل بذاته و كذلك الهاء (h).

د/ ثلاث رموز هي (tio) في الكلمات:

Lotion - presentation - discrimination

فهنا (t) أصلاً رمز مستقل بذاته وكذلك (o، i).

٢/ صوت الذال والثاء: موجودان في اللغة الإنجليزية وليس لأي منهما رمز يدل عليه في الكتابة، الأمر الذي جعلهم يستعيرون رمزي التاء والهاء (th) ليعبروا بهذا المركب على الذال والثاء معاً:

أمثلة للذال: the - that - there - this - they

أمثلة للثاء: theses - theory - faithful – method

٣/ صوت النغاء (ŋ) صوت موجود في اللغة الإنجليزية بكثرة، وعند إضافته للأفعال يعطي معنى نحوي وهو المعنى الدال على الاستمرارية (continuous) وبالرغم من ذلك فليس له رمز مستقل يعبِّر عنه، الأمر الذي

جعلهم يستعيرون رمزين كل منهما دال على صوت مختلف وركّبوا منهما رمزاً للإشارة إلى هذا الصوت والرمزان هما النون والجيم (ng) أمثلة:

coming – going – speaking - listing – dancing

ثانياً:

هناك رموز في اللغة الإنجليزية ليس لها أصوات تقابلها، بل تستخدم هذه الرموز للإشارة إلى أصوات أصلاً لها رموزها الخاصة بها، بمعنى آخر نجد الصوت الواحد له أكثر من رمز، وذلك مثل صوت الكاف الذي يعبّرون عنه برموز مختلفة هي: k مرة وبـ c مرة أخرى، وبـ q مرة ثالثة: أمثلة

١/ k :- black - silk - milk - kids

٢/ C: - - cut - come - company

٣/ q " - quiet – quickly - queen

بجانب الفاء (f) التي لها أكثر من رمز يعبّر عنها وهي (f - ph - ough) في الأمثلة:

١/((f) :following - merciful - far - food - fat

٢/(ph): phenomena - morpheme - phone - elephant

٣/(ough): tough - rough - Enough

ثالثاً: وجود رموز (حروف) في كلمات لا تُنطق هذه الحروف (silent) مثل:

١/(er [1]) في نهاية الكلمة: maker - letter - father

٢/(gh) في وسط الكلمة: - bought - brought –

٣/(L) اللام في وسط الكلمة: - should – could

فهنا عُبِّر عن الحركة المركزية (ə) المسماة (schwa) بـ(er) وكان بالأحرى تخصيص رمز مستقل لهذه الحركة. كما عُبِّرَ عن الحركة (ō) برمز مركّب من عدد من الرموز المستقلة المستخدمة للإشارة إلى حركات (vowels) و هي (ou). إضافة إلى إقحام رمز (L) في (could- should) و الـ(gh) في (bought) مع عدم وجود صوت يقابلها في الكلمات عند النطق على الأقل الآن في لسان مستخدمي اللغة الإنجليزية.

وغيرها كثير. ونكتفي بهذا القدر. وأظن أن الأمثلة التي ذكرناها كافية للرد على ضعاف النفوس المدسوسين بيننا المنادين بضرورة إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي لعدم قدرة الحرف العربي على التعبير عما يقوله الناس – كما يدّعون – ويكفي أننا أثبتنا بالدليل القاطع والأمثلة الكافية أفضلية، وثبات ودقة الحرف العربي على التعبير عن كل ما يقوله الناس. ويكفي أن اللغة العربية ثابتة وراسخة بثبات ورسوخ القرآن الكريم الذي حماها وحافظ عليها طوال أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. بينما اللغات التي عاصرتها ماتت منذ قديم الزمان وبقيت العربية حية فتية بحياة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه وتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه.

١ / (er) يستخدم رمزا لما يُعرف في الإنجليزية ب(Schwa) وهي الحركة المعيارية التاسعة في مخطط دانيل جونز. إذن هي حركة (vowel) وليست صامت (consonant)، ولكن رُمز لها برمز مركّب وهو (e) حركة + (r) صامت يُستخدم كرمز قائم بذاته للصوت التكراري (trill) أو retroflex) في بعض السياقات اللغوية في الإنجليزية.

التفكير اللغوي

رأينا أن نفرد الصفحات التالية لعرض موجز عن أقدم نشاط علمي يتخذ من اللغة موضوعاً ومحوراً له. وهذا الأمر أول ما بدأ ، بدأ عند ثلاث من الشعوب، هم الهنود، واليونان، والعرب.

التفكير اللغوي عند الهنود:

يعتبر الهنود أول الشعوب التي اهتمت بدراسة اللغة، دراسةً علميةً لا تقل في طرقها ونتائجها عن تلك التي نقوم بها اليوم فيما يُعرف بعلم اللغة العام General Linguistics. ومن أقدم الآثار التي وصلت إلينا في هذا الأمر من الهنود هو وصْفُ (بانيني) اللغةَ السنسكريتية، في القرن الخامس قبل الميلاد. فهذا الأثر كان محط إعجاب اللغويين المحدثين لما فيه من وصف دقيق وبسيط وميسَّر للغة السنسكريتية، مع معالجته بعض القضايا اللغوية وسرده لعدد من تعريفات العناصر اللغوية. الأمر الذي يؤكّد أن هذا العمل الذي قام به (بانيني) قد سبقته بحوث وأنشطة دارت حول اللغة السنسكريتية،مما يشير أن عمل (بانيني) انبي على نتائج تلك الدراسات السابقة التي لم يصل إلينا منها شيء. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت اللغة السنسكريتة لغة علمٍ وأدب في فترة سبقت كتاب (بانيني) بنحو ١٥٠٠ عام[1]. ونسبة لأهمية هذا الكتاب ظهرت مجموعة من الشروح لكتابه عُرِفتْ بالكتب الثمانية، التي آلفها مجموعة من اللغويين الهنود، مما يشير إلى اتساع النشاط اللغوي في ذلك الزمان – القرن الخامس قبل

١ عبد العزيز أحمد علام/ و عبد الله بيع /فى فقه اللغة / ص٢٢٠

الميلاد –وتزايد أعداد العاملين في دراسة اللغة السنسكريتية ونحوها وأصواتها وصرفها.

استمر البحث اللغوي عند الهنود عدة قرون، حتى عاصر الحضارة الإسلامية – كما يُقال- ونسبة لطول الفترة التي استمر فيها النشاط البحثي في اللغة عندهم، ظهرت كثير من المدارس اللغوية التي بلغ عددها عشر مدارس لغوية ونحوية. ويُظَنُّ أن المنهج الذي استخدمه الهنود في دراستهم للغتهم هو المنهج البنيوي، إذ اتبعوا الطريقة الوصفية التي تنظر في حقائق اللغة ذاتها.

ويعتبر الهنود أول من وضع أبجدية للغة من اللغات الإنسانية– اللغة السنسكريتية- ، وكان ذلك بهدف المحافظة على كتابهم المقدَّس (الفيدا). وكانت أبجديتهم دقيقة جداً ([1]) بمعنى أن كل رمز فيها يشير إلى صوت محدد من أصوات اللغة السنسكريتية دون التباس أو تكرار مما يدل على أنهم قدَّموا مجهوداً صوتياً مضنياً تمثل في التعرف على صوامت لغتهم ومخارجها وصفاتها وتميزها، ويمكننا إجمال دور الهنود في التفكير الصوتي في النقاط التالية:

أ/ وضع أبجدية للسنسكريتية مميزة بأن جعلوا لكل صامت رمزاً مستقلا معبِّرا عنه بدقة.

ب/ قسَّموا الأصوات اللغوية حسب مخارجها.

ج/ عرفوا النبر والتنغيم وأهميته في الأداء للتعبير عن الدلالات المختلفة.([2])

---

١ / تتمثل دقة الأبجدية في أنهم وضعوا لكل صوت (صامت) في السنسكريتية رمزا خاصا به، مما يشير إلى ما ذهبنا إليه من هناك نشاط بحثي لغوي استقرائي نتج عنه التعرّف على البنية الصوتية، وملاحظة تتابعات عناصرها، مما أدي إلى تعرّفهم على مميزات وصفات كل صوت من أصواتها.

٢ / مجلة اللسانيات الجزائرية /ص ٣٧-٤١

كما درسوا بجانب أصوات لغتهم، درسوا تراكيبها أيضاً، واستخرجوا منها قواعدها النحوية، ودرسوا دلالات مكوناتها فتوصلوا إلى نظامها المعجمي.

التفكير اللغوي عند اليونان:

بدا التفكير اللغوي عند اليونان من وجه نظر فلاسفته، إذ أن أول من تطرق للحديث عن الظواهر اللغوية من اليونان هم الفلاسفة، ولذا اختلطت آراؤهم اللغوية بآرائهم الفلسفية، أو أنهم يتناولون ظواهر لغوية بالدراسة والتحليل من وجه نظر فلسفية. ومن أول المسائل اللغوية التي تناولها اليونان هي مسألة نشأة اللغة، التي شغلتهم ردحاً من الزمان، واتخذها الفلاسفة موضوعاً لنقاشاتهم المتعددة. وقد شاعت في زمان افلاطون نظريتان فلسفيتان تناولتا نشأة اللغة من جهة، وعلاقة اللفظ بالمعنى من جهة أخرى، ولم تنفصل القضيتين عندهم إذ كانوا يتحدثون عن علاقة اللفظ بالمعنى من خلال مناقشة موضوع نشأة اللغة. على العموم المبدأين هما: الأول هو مبدأ الوقف، الذي تبناه هيرقليطس Heraclites، والثاني هو مبدأ التواضع، والاتفاق تبناه ديمقريتسDemocritus .

وكانت نظرية هيرقليطس تدور حول تحليل الأسماء ظناً منه أنَّ الأسماءَ تُعطَى من لدُن الآلهة، ولذلك فالأسماء عنده جاءت وفق مسمياتها ([1]). إذن كان يؤمن بحتمية علاقة اللفظ بمعناه. أما ديمقريتس يرى أن علاقة الأسماء بمسمياتها علاقة اعتباطية تواطئية اصطلاحية ([2])، ويدلل على ذلك بأن الشيء الواحد يقبل أسماءَ متعددة، كما أن الشيئ الواحد نفسه يظل هو هو على الرغم من تطوره... أو تغيره، أو حتى

---

١ / هذا ما ذهبت إليه نظرية الوقف في نشأة اللغة، اعتمادا على أدلة نقلية انظر نظريات نشأة اللغة في الباب الأول من هذا الكتاب

٢ / واضح أنه من مؤيدي ومؤسسي مدرسة التواضع والاتفاق في نشأة اللغة. أنظر باب نشأة اللغة

تنازله عن اسمه (1). فمن خلال ما سبق نستطيع أن نقول أن دراسة اللغة عند اليونان بدأت من أعلى، أي من أصعب وأعقد جوانبها، وهو الجانب الفكري الفلسفي الذي يبحث في أمور غيبية، بسبب الطرق التي يُبحث بها، تلك الطرق الفلسفية التي قامت على إعمال الفكر والاستنباط وليس الاستقراء وتتبع الظاهرة المحددة. على العموم استمر الجدل بين المدرستين الفلسفيتين قروناً طويلة. حتى تحررت دراسة اللغة من الفلسفة فنتج عن ذلك ظهور دراسات وبحوث تناولت ظواهر لغوية تمثلت في تحليل مستويات اللغة اليونانية(القديمة طبعاً). ونتج عن ذلك ظهور عدة مدارس، أشهرها مدرسة الإسكندرية. التي أنتجت أول كتاب نحوي لليونانية وهو (الجراماتيكا)(2)،الذي ألفه دينيسيوس،وقد شرح في مقدمة الكتاب (الجراماتيكا) بأنه المعرفة المتعمّقة لكل ما هو راجع إلى اللغة، بحسب الاستعمالات الشائعة عند المؤلفين نظماً ونثراً. (3). ومن إسهاماتهم اللغوية كتاب التراكيب الذي لا يقل حجمه عن أربعة مجلدات، ألفه (أبولينوس ديسكولي)، الذي حاول فيه تعريف أجزاء الكلام تعريفاً لغوياً وليس فلسفياً كما فعل السابقون. فالكلمة عنده هي لفظة ذات صيغة خاصة تدل على الزمان، وعلى الفعل والانفعال وعلى الفاعلين وعددهم (4).

أما في مجال دراسة أصوات لغتهم فقد اتبعوا المنهج التحليلي الذي أوصلهم إلى عدد من النتائج، بعد أن أخذوا أبجديتهم في كتابة اللغة اليونانية من اللغات السامية التي سبقتهم في ذلك، إذا أنهم أضافوا مجهودات صوتية طوروا بها معرفتهم الصوتية تمثلت في:

---

1 / البدراوي زهران/ مبحث في قضية الرمزية الصوتية /ص19

2 /عبد العزيز أحمد علام، وعبد الله ربيع أحمد / في فقه اللغة / ص223

3 / مجلة اللسانيات الجزائرية / الجزء الثاني ص2

4 / بينما يعرّف أرسطو الكلمة تعريفاً فلسفياً ويقول (أنها تعني ما يدل -مع ما يدل عليه- على زمان، وهي دائما دليل ما يُقال على غيره.. وهي ما يقال على موضوع.

أ/ وضعوا رموزاً للأصوات الصائتة (الحركات Vowels).

ب/ وضعوا رموزاً للأصوات اللغوية في لغتهم التي لا توجد في اللغات السامية.

ج/ فرقوا بين الصوامت Consonant والصوائت Vowels.

د/ عرفوا المقطع اللغوي Syllables وهو أصغر من الكلمة وأكبر من الصوت

هـ/ ميزوا بين الصوامت المجهورة Voiced والمهموسة Voiceless

التفكير اللغوي عند العرب:

يعتقد كثير من الباحثين في تاريخ الدراسات اللغوية العربية، أن النشاط اللغوي المنهجي لدراسة اللغة العربية بدأ بعد نزول القرآن الكريم الذي كان محور الدراسات اللغوية، والباعث لها. بمعنى أن سبر أغوار اللغة العربية لم يبدأ عند العرب إلا بعد الإسلام. غير أن الشواهد العقلية تدل على غير ذلك، إذ أن تطور اللغة مرتبط إلى حدٍ كبير بمجتمع متكلميها من ناحية تطورهم حضارياً، وما ينتجه المجتمع من أدب راق. فالأدب الجاهلي لا يشك أحد في أنه يمثّلُ الذروة أو القمة التي وصل إليها في الفترة الممتدة قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين عاماً. فهذا يشير إلى أن الأدب الجاهلي قد مرَّ بعدة أطوار قبل وصوله إلى الذروة. متجاوباً مع مراحل سنن التطور، وبالنظر إلى عناصر الأدب الجاهلي نجد فيها الشعر بإيقاعه الموسيقي الذي يتطلب خلفية صوتية (١)، وما فيه من عناصر جمالية في الأساليب، والألفاظ وغيرها من عناصر لغوية. وكذلك النثر، فلا يُعقلُ أن يكون تطُور الأدب الجاهلي تم دون الإفادة من نتائج دراسات لغوية

١ / الإيقاع الشعري يعتمد اعتمادا كاملا على مبدأ تقسيم الأصوات اللغوية لصوامت، وصوائت، مما يتطلب جهدا في التعرُّف على عناصر الكلام ومكوناته.

(صوتية، نحوية، تركيبية، دلالية سابقة) في مرحلة من مراحل تطوره. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلننظر إلى التطور الذي وصلت إليه الأبجدية العربية([1]). فلا يُعقل بأي حال من الأحوال أن يهتدي مجتمعُ ما إلى اقتراع أبجدية لأصوات لغته، دون أن يسبق ذلك مسح لغوي استقرائي لجميع المكونات الصوتية للغة، بهدف تحديد تلك المكونات (صوامت، صوائت)، وتحديد الفروق الدقيقة بين كل صامت وآخر، بمعرفة مخرجه، وصفاته المميزة له. إذن لا يمكن وضع أبجدية في غياب دراسة صوتية وصفية استقرائية مسبقة. وكما نعلم أن العربَ عرَفُوا الكتابة قبل الإسلام بزمن طويل. إذ أنه حينما أُنزِلَ القرآن الكريم على النبي ﷺ متواتراً في خمس وعشرين سنة ([2])، كان النبي يُكلِّفُ بعض صحابته ممن يعرفون القراءة والكتابة بتدوينه، مثل آبي بن كعب، و زيد بن ثابت الأنصاري، وعثمان بن عفان، وأبَّان بن سعيد، وخالد بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، ومعاوية بن أبي سفيان، ثم حنظلة بن سعيد الذي عُرف بحنظلة الكاتب ([3]). فكل هؤلاء تعلموا الكتابة والقراءة في الجاهلية، وساهموا بمعرفتهم لها في تدوين القرآن في اللخاف والجلود وغيرها في السنوات الأولى من فترة النبوة.

إذن عرف العرب الكتابة والقراءة قبل الإسلام ([4]).وعلى كُلٍ لم يصلنا شيء من هذا النشاط اللغوي المفترض، ذلك السابق للأبجدية اللغوية.

---

١ / أنظر نشأة وتطور الكتابة في هذا الباب

٢ / أختلف في فترة نزول منهم من قال خمسة وعشرين، ومنهم قال ستة وعشرين، ومن قال أربعة وعشرين عاما

٣ / مصطفي الشكعة / مناهج التأليف عند العلماء العرب / ص٢٤

٤ / الأمر الذي يتطلب نشاطا علميا يتخذ من الظواهر الصوتية موضوعا له؛ لتمييز الصوامت والتعرف على خصائص كل صوت لوضع الرمز المناسب الذي يكافئه

وما نعرفه من تاريخ الدراسات اللغوية عند العرب فيما يتعلق بالتفكير اللغوي، هو ما بدأه أبو الأسود الدؤلي، حينما كُلِّفَ من قِبلِ على ابن أبي طالب([1]) نتيجة عامل رئيس وهو دراسة القرآن الكريم من زاوية تجويده وصحةِ قراءاته من زاوية أخرى. بجانب الدراسات التي تمت في بقيه مستويات اللغة الأخرى. ويمكن توضيح الدور التفصيلي لكل من ساهم في التفكير اللغوي (في الجانب الصوتي) حسب الشخصيات وترتيب ظهورها على مسرح الدراسات الصوتية:

١/ أبو الأسود الدؤلي:

تمثل دوره عندما ظهر (اللحن) وهو الخطأ في نطق أواخر المفردات حسب موقعها ووظيفتها الإعرابية، وكان ذلك في عهد على ابن أبي طالب، حيث كلِّف لبحث الظاهرة. فدرس الظاهرة وتوصل إلى ما عُرِف بنقاط الإعراب ([2]). ولم يكن في مقدور أبي الأسود التوصل إلى معرفة طبيعة الظاهرة (اللحن) ووضع حلول لها لولا قيامه بنشاط علمي مكثَّف في أصوات اللغة العربية وملاحظته للتغيرات التي تطرأ على حركة أواخر كلماتها (الإعراب)، ووضع نقاط الإعراب

٢/ نصر بن عاصم، ويحي بن يعمر:

حدثت في عهدهما ظاهرة التصحيف – وهي الخلط بين الحروف المتشابهة الشكل – وعملوا على حلها بوضع ما سمي وقتها بنقاط الإعجام، وهي وضع نقط على الحروف المتشابهة الشكل لتمييزها عن بعضها البعض ([3])، كما قاموا بإعادة

---

١ / أنظر نشأة الكتابة وتطورها في هذا الكتاب

٢ / أنظر المبحث السابق تطور الكتابة في هدا الكتاب

٣/ المرجع السابق

ترتيب الحروف العربية لتسهيل حفظها لدي متعلمي الكتابة. وهذه الإضافة تمثل جهداً في التفكير اللغوي.

٣/ الخليل بن أحمد الفراهيدي:

يمكن إجمال دوره في

أ/ استبدل نقاط الإعراب التي وضعها أبو الأسود بعلامات الإعراب المعروفة اليوم وذلك لالتباسها بنقاط الإعجام التي وضعها نصر بن عاصم.

ب/ وضع معجم العين ورتَّب مادته على أساس مخارج الأصوات اللغوية العربية، وهذا يدل على سعة خلفيته الصوتية وإدراكه للفروق الصوتية الدقيقة بين أصوات اللغة العربية، وتحديد مخارجها تحديداً دقيقاً لا يختلف كثيراً عن معرفتنا لها اليوم رقم اعتمادنا على الأجهزة العلمية الحديثة([1]).

ج/ عرف التنغيم، والإيقاع الصوتي، واستقل معرفته الصوتية بهذين الأمرين في وضع علم العروض، حيث قام بتقسيم الشعر العربي حسب الإيقاع إلى بحور.

٤/ ابن جني:

وضع كتاباً يعد خلاصة تفكيره الصوتي سماه (سر صناعة الإعراب) آهم ما ورد فيه:

أ/ عدَّد حروف المعجم ورتَّبها حسب دلالة جذورها.

ب/ وصف مخارج الأصوات وصفاً دقيقاً.

ج/ حدد صفات الأصوات العربية (رخو، شديد، صفيري، غير صفيري.. الخ

[1] / انظر كتابي علم الدلالة والمعاجم.

د/ تحدَّث عن تغير الصوت وصفته في بنية الكلمة فتعرَّف على الإبدال، والإعلال، والنقل، والحذف، والإضافة.. وغيره من أمور لغوية.

هـ/حدد نظرية فصاحة الكلمة – التي تبناها البلاغيون من بعده- وهي لكي تكون الكلمة فصيحة لا بد أن تتألف من حروف متباعدة المخارج.

و/ يعتبر أول من استخدم مصطلح علم الأصوات Phonetics.

ومن بعدهم ظهرت مجموعة من التصنيفات الصوتية منها:

١/ القلب والإبدال: ابن السكيت.

٢/ الإبدال والمعاقبة والنظائر: الزدجَّاجي.

٣/ الإبدال: أبو الطيب اللغوي ٣٥١هـ.

ومن ناحية المستوى النحوي فأول من أعد دراسة لغوية جادة منظّمة عن البني النحوية ووظائف العناصر اللغوية في التراكيب هو سيبويه، الذي وضع كتابه (الكتاب)، مستفيداً من جهود سابقيه من آساتذته مثل الخليل،والأخفش،وأبو عمر العلاء وغيرهم كثيرون. حيث كان لهؤلاء – الذين بلغ عددهم آكثر من ثمانين- يقدّمون آراءَ نحوية عند تناولهم موضوعات فقهية أو موضوعات تتعلق بتفسير القرآن أو أي نصوص لغوية عربية. فقام سيبويه بمجهود خارق في جمع هذه الملاحظات، والتعليق عليها وتبويبها، واستخلاص القواعد العامة للنحو العربي.

ومن بعده تعددت المدارس النحوية، فظهرت مدرسة البصرة([1])،ومدرسة الكوفة([2])،ومدرسة بغداد([3])، ومدرسة الأندلس([3])،ومدرسة مصر([4]) فكان لكل مدرسة من هذه المدارس مذهبها([5]).

وكان نتاج تلك المدارس مجموعة من المصنفات هي:

١/ المقتضب: للمبرِّد ت ٢٨٥

٢/ أصول النحو: للسيرافي

٣/ المسائل: لأبي على الفارسي.

٤/ الإيضاح: لأبي على الفارسي

٥/ التكملة في الصرف: لأبي على الفارسي

٦/ التصريف: للمازني.

٧/ الجُمل: للزجاجي.

٨/ الموجز في النحو: لأبن السرَّاج.

٩/ الفصيح: لثعلب.

١٠/ الألفية: لأبن مالك

١١/.الكافية: لأبن الحاجب

١٢ / مُغني البيب: لأبن هشام

---

١ / أهم روادها أبو اسحق الحضرمي، وأبو عمر بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وسيبويه، والأخفش، ابن السرّاج، والزجاج

٢ / أشهر روادها الكسائي، الفرّاء، وأبو العبّاس ثعلب

٣ / من أبرز روادها ابن كيسان، وابن شقير، وابن الخيّاط

٣ / من روادها ابن عثمان المغربي، ومحمد بن موسى، ومحمد بن يحى، والزبيدي

٤ / من روادها محمد التميمى، والأخفش الصغير، ابن القطّاع.

٥ / أبى الطيب اللغوي/ مراتب النحويين

١٣/ أوضح المسالك: لأبن هشام

١٤/.همع الهوامع: للسيوطي.

١٥/ الأشباه والنظائر: للسيوطي.

أما الدراسات المورفولوجية (الصرفية) فكانت متناثرة بين كتب النحو التي ظهرت في المدارس المذكورة. ولم يستمر زمن طويل حتى ظهرت جهود في هذا المضمار، تمثلت في مجموعة من المصنَّفات الصرفية، منها ما تناول بني الفعل، ومنها ما تناول بني الاسم، مثل:

١/ أبنية الأفعال:

أ/ فعل، وأفعل: للسجستاني

ب/ فعل، وأفعل: للزجاج ٢٥٥ هـ

ج/ كتاب الأفعال: لأبن القوطية.٣٦٧ هـ

د/ كتاب الأفعال: للسرقسطي ت ٤٠٠هـ

هـ/كتاب الأفعال: لأبن القطّاع ت ٥١٥ هـ

٢/ أبنية الأسماء

آ/ الممدود والمقصور: للفرّاء.

ب/ الممدود والمقصور: للقالي.

ج/ الممدود والمقصور: لأبن ولاّد.

د/ المذكر والمؤنث: لأبن فرَّاء ت ٢٠٧ هـ

هـ/ المذكر والمؤنث: لأبي حاتم السجستاني ٢٥٥هـ

و/ المذكر والمؤنث: للمبرِّد.

ز/ المذكر والمؤنث: للمفضل بن سلمة. ٢٠٩ هـ

ح/ المذكر والمؤنث: للأنباري ٣٢٨ ÷ت

ط/ المذكر والمؤنث: لأبن فارس ٣٩٥ هـ

ي/ المذكر المؤنث: لأبن جني ٢٩٢هـ

أما في المستوى الدلالي فظهرت أولاً مصنفات، اختُصرت في جمع بعض الألفاظ المستخدمة في اللغة العربية، دون تحديد ارتباطاتها الدلالية، ولكننا نعتبر تلك المرحلة مهمةً إذ أنها مهدَّت لظهور المعاجم اللغوية بأنواعها. ومن تلك المصنفات في مرحلة الجمع اللغوي التي بدأها الأصمعي وأبو زيد الأنصاري في خلق الإنسان، و خلق الإبل، وخلق الخيل، وخلق الوحش، وخلق النبات، وخلق الشجر، واللبن، والمطر، والنبات، والشجر (لأبي زيد الأنصاري).

فكانت تلك المؤلفات المقدِّمة الطبيعية لظهور المعاجم اللغوية، إذ كان تأليف المعاجم موازي لمرحلة الجمع اللغوي في القرن الرابع والخامس الهجري. مثل:١/ معاجم الألفاظ:

الألفاظ الكتابية مؤلفه عبد الرحمن الهمذاني

أ/ المرتبة حسب مخارج الحروف

١/ العين: مؤلفه الخليل بن أحمد الفراهيدي.

٢/ البارع: مؤلفه أبو على للقالي ت ٣٥٦ هـ

٣/ تهذيب اللغة: مؤلفه الأزهر ت ٣٧٠هـ

٤/ المحيط: مؤلفه الصاحب بن عُباد ت ٣٥٨ هـ

٥/ المحكم، المحيط الأكبر: مؤلفه بن سيدة ت ٤٥٨هـ

ب/ المرتبة حسب الحروف الهجائية:

١/ الحروف (الجيم): مؤلفه الشيباني ت ٢٠٦

٢/ ديوان الأدب: مؤلفه الفارابي ت ٣٥٠ هـ

٣/ الصحاح: مؤلفه الجوهري ت ٣٩٣ هـ

٤/ جمهرة اللغة: مؤلفه ابن دريد ت ٣٢١هـ

٥/ المجمل: مؤلفه أحمد بن فارس

ج / المعاجم الموسوعية:

١/ لسان العرب: مؤلفه ابن منظور ت ٧١١ هـ

٢/ تاج العروس: مؤلفه الزبيدي ١٢٠٥ هـ

د/ المعاجم الدلالية ذات الترتيب الألفبائي:

١/ غريب القلآن للأصفهاني

٢/مجاز القرآن مؤلفهالمثنى.

٣/ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

هـ/ المعاجم الخاصة بالألفاظ الدخيلة:

١/ المعرّب في الكلام الاعجمي

٢/ التعريفات: مؤلفه على بن محمد الجرجاني

٣/ اصطلاحات الفنون مؤلفه التهانوي ت ١١٥٨هـ

٢/ المعاجم الموضوعية

١/ الغريب المصنف: مؤلفه ابن سلام ت ٢٢٢هـ

٢/ الألفاظ: مؤلفه ابن السكيت

٣/ متخير الألفاظ مؤلفه أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ

٤/ فقه اللغة مؤلفه الثعالبي (أبو منصور)

٥/ المخصص مؤلفه ابن سيدة.

رابعاً: كتب التصنيف اللغوي (لحن العامة)

١/ ما تلحن فيه العامة: الكسائي ت ١٨٩ هـ

٢/ إصلاح المنطق: ابن السكيت ٢٤٤ هـ

٣/أدب الكاتب: ابن قتيبة ٢٧٦هـ

٤/ درة الغواص: الحريري ٥١٦ هـ

٥/ تقويم اللسان: ابن الجوزي ٥٧٩ هـ

٦/ لحن العوام: أبي بكر اليزيدي ٣٧٩ هـ

٧/ تثقيف اللسان: أبي نكي الصقلي ٥٠١هـ

٨/ الجمانة في إزالة الرطانة: ابن الإمام ٨٢٧ هـ [1]

---

١ / مصطفي الشكعة / مناهج التأليف عند العلماء العرب / صفحات متفرقة.

المراجع والمصادر:

١/ ابن السكيت: إصلاح المنطق، القاهرة ١٩٥٦

تحقيق أحمد شاكر هارون

٢/ابن الفقيه: مختصر البلدان

٣/ابن جني: الخصائص، دار الكتب المصرية ، *تحقيق محمد على النجّار* الطبعة الثانية.

٣/ابن جني: سِر صناعة الإعراب، منشورات محمد علي بيضون، *تحقيق: محمد* محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية ، بيروت.

حسن محمد إسماعيل: منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية / بيروت لبنان، ب ت

ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، مصر

٤/ ابن منظور: لسان العرب، مكتبة بولاق، القاهرة ١٣٠٧

٥/ أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين

٦/ أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة ، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩

٧/أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة،

تحقيق مصطفى التويمي: بيروت، ١٩٦٣

٨/أحمد علم الجندي: اللهجات العربي في التراث، الدار العربية للتراث، ١٩٧٨

٩/البدراوي زهران: مبحث في قضية الرمزية الصوتية، دار المعارف، ١٩٩٩

١٠/بروفيسور عبد الله الطيب: محاضرات في التفسير، الإذاعة السودانية

١١/البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع

١٢/جونز لوبنز: نعوم جومسكي، معهد الترجمة الإسلامي

ترجمة *بابكر عمر عبد الماجد*: الخرطوم، ١٩٩٧

١٣/ حسن ظاظا: اللسان والإنسان، دار المعارف، ١٩٧١

١٤/ حلمي خليل: المولّد في العربية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٨٥

١٥/ رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧

١٦/ رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٩٩

: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧

١٧/ الزبيدي: تاج العروس، دار الفكر، بيروت

١٨/ السيوطي: المزهر، القاهرة، ١٩٥٨

تحقيق أبو الفضل إبراهيم:

١٩/ شوقي ضيف: الأدب الجاهلي، دار المعارف

٢٠/ عبد العزيز أحمد علاّم، : في فقه اللغة، مكتبة الرشد، جدة٢٠٠٤

وعبد الله ربيع

٢١/على عبد الواحد وافي: علم اللغة، القاهرة ١٩٦٢

٢٢/ فندريس: اللغة، البيان العربي، القاهرة ١٩٥٠

ترجمة الدواخلي والقصاص:

٢٣/ القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان

٢٤/كارل بركلمان: تاريخ الأدب العربي، القاهرة ١٩٦٠

٢٥/ كمال محمد بشر: قضايا لغوية، مكتبة دار المعارف١٩٧٠

٢٦/ ماريو باي: اللغة، ليبيا، طرابلس، ١٩٥٠

ترجمة أحمد مختار عمر

٢٧/المبرّد: الكامل

٢٨/ محمد أحمد أبو الفتوح: مقدمة لدارسة فقه اللغة، الطبعة الأولى ١٩٦٦

٢٩/ محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر

العربي، الطبعة الثانية ١٩٩٧

٣٠/ موسى حامد موسى: جوانب من أصالة لهجة البقارة، بحث ماجستير، غير منشور، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية

٣١/ ياقوت الحموي ابن حزم: معجم البلدان، مكتبة السعادة، ١٩٠٦

٣٢/ يوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، *ترجمة رمضان عبد التواب* مكتبة الخانجي ٢٠٠٣

الأجنبية

١/ Jack Richards K and John Platt, and Hiedi Weber, Dictionary of Applied Linguistics, Long man ١٩٨٥

٢/ Joseph Green Berg, Languages of Africa. Long man ١٩٦٠

٣/Historical Linguistics,.

فهرس الموضوعات:

الموضوع	**الصفحة**



4 002536 281140

مكتبة الرشد
ناشرون

ألوان للطباعة
ALWAN PRINTING
ت: ٢٤٢٣١٣٠ ف: ٢٤٢٣١٢٥